دكتور هاشم جودة

العقائد المسيحية
بين
القرآن والعقل

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

دكتور هاشم جودة
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بأسيوط

العقائد المسيحية بين القرآن والعقل

« وما من إله إلا إله واحد »

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من نهلتُ من نبع حكمتها أشهى روائع الحكم .

وتعلمتُ فى رحب ساحتها أجل فضائل القيم .

وهزمتُ من فوق قمتها أشد أنواع الألم .

واستلهمتُ من فيض قوتها أدق أسرار القلم .

إلى الحقيقة وإلى الباحثين عنها فى كل مكان .

أقدم هذا البحث الجاد هدية وتحية .

راجياً الله سبحانه أن ينفع به قراءه حيثما كانوا ، وكيفما كانوا .

وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين ؟

دكتور هاشم جوده

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيها أبدا ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ .

والصلاة والسلام على من بلغ هذا الكتاب المعجز الخالد إلى الناس كما أنزله — الله — عليه آية آية ، بل حرفا حرفا ، دون أدنى تغيير أو تبديل ، ولا زيادة أو نقصان ، فتلقفته الكافة من أصحابه عليه الصلاة والسلام فأودعوه فى سويداء القلوب ، وحشاشات النفوس ، وحفظوه فى مكنون العقول ومسطور الكتب وذادوا عنه بالمهج والأرواح ، حتى بلغوه إلى من بعدهم كما أخذوه من فم نبيهم لا يزيدون حرفا ولا ينقصون حرفا ، ولا يبدلون آية مكان آية ، ولا كلمة بدل كلمة ، وبلغه مَن بعدهم إلى مَن دونهم كما أخذوه من أفواه الصحابة — رضوان الله عليهم — دون ما تحريف ولا تبديل .

وهكذا ظل كل جيل يحوط هذا الكتاب العزيز بمزيد العناية وموفور الرعاية ، جامعاً فى ذلك بين الصدور والسطور ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر فى حفظ هذا الكتاب الكريم ، حتى يسلمه إلى الجيل الذى يليه إلى أن وصل إلينا غضا طريا كما أنزله الله — عز وجل — ، وسيظل كذلك إنشاء الله — تعالى — إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وبعد ... فقد لزمنا محراب القرآن الكريم ، والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وما دار فى فلكهما من مؤلفات زهاء خمس سنوات أو يزيد ، نتحسس جرسهما ، ونتسمع همسهما ، ونتتبع خطوهما ، ونستجلى اسرارهما ، ونستنطق أخبارهما ، بحثاً عن موضوعنا الذى اخترناه لرسالة الدكتوراه وهو : « نوح عليه السلام فى القرآن والتوراة » .

وبينما كنا نسبح فى هذا البحر الواسع طلباً للبغية وتحقيقاً للمراد ، كان يعرض لنا من القضايا والمشكلات ماهو فى نظرنا جد جدير بالبحث الهادىء العميق والدراسة المستأنية الجادة ، ولم نكن بالطبع نضع شيئاً من ذلك فى بؤرة التفكير المركز لامتلائها آن ذاك بموضوعنا السالف الذكر ، حتى إذا فرغنا من هذا الموضوع وأتم الله لنا به المراد ، تاقت النفس الطامحة إلى التطواف مرة أخرى فى هذا الخضم الزاخر ،

فعدنا من جديد إلى رحاب القرآن المجيد ، والـكتاب المقدس لا لنبحث فى هذه المرة عن نوح عليه السلام وطوفانه ، ولـكن بحثاً عن الحقيقة المجردة فى موضوع شغل الناس فى القديم والحديث ألا وهو ما يقول به المسيحيون من صلب المسيح وعقيدة التثليث .

وقد توخينا فى هذا البحث المنهج العلمى الجاد ، والمنطق العقلى السليم ، بعيدين كل البعد عن الهوى والتعصب لأنه لا غرض لنا مما نـكتب إلا إبراز حقائق هذا الموضوع ، كما هى فى هذين المصدرين ومناقشتها بما يبين صحيحها من فاسدها ، وغثها من ثمينها حتى يهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

من هنا كان منهجنا فى بحثنا هذا قائماً على معالجة موضوعاته بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المقنعة ، فقدمنا بين يديه بتمهيد بينا فيه بالأدلة الواضحة أن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة لا شك فيها ، عامة لا خصوص فيها ، وأوردنا شبهات المشككين فى تلك الرسالة ، ورددنا عليها بما يبطلها ويبين افتراء أصحابها ، ثم أعقبنا ذلك بالتدليل على حقية القرآن وثبوته ، ونفى شبهات المشككين فيه من أهل الـكتاب وغيرهم ، ثم ناقشنا عقيدة التثليث بمنطق العقل الحـكيم والقرآن الـكريم ، بعدما أوردنا شيئاً عن العقيدة فى المسيحية أيام المسيح عليه السلام ، وذكرنا الأطوار التى الصحيحة مرت بها عقيدة التثليث حتى أرسيت قواعدها فى مجمع نيقية سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة ميلادية وأتبعنا ذلك ببيان مفهوم تلك العقيدة الثالوثية

عند أصحابها دون زيادة ولا نقصان ، ثم أعقبنا ذلك بالحديث عن صلب المسيح فأوردنا أدلة المسيحيين على ذلك من جهة النقل والعقل وناقشناها كلها من منطلق العقل السليم والقرآن الحكيم ، ثم ختمنا بحثنا هذا بخلاصة لما تضمنه من أفكار كان حاديها ورائدها طلب الحق ، والحق وحده ؛ رجاء أن يهدى الله بمعرفته أرباب البصائر وأولى الألباب .

دكتور هاشم جودة
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين

تمهيد

إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ورد شبهات المشككين فيها

من المسلم به لدى عامة المسلمين وخاصتهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله حقاً وخاتم النبيين صدقاً ، وأن رسالته عامة للعالم كله في سائر أرجاء الأرض ولا تنتهي بانتهاء زمان معين بل هي باقية إلى يوم القيامة .

ومن يقل منهم بغير هذا فهو مرتد كافر وهو في الآخرة من الخاسرين ، أما غير المسلمين من الكفار كاليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا فقدأ باحوا لأنفسهم الخوض في ميدان من ميادين الكفر والانحراف ، ألا وهو التشكيك في ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ، رجاء أن يستطيعوا بذلك هدم ما جاء به الكتاب العزيز من تشريعات وأحكام ، وطمس ما ذكره القرآن من فضائحهم وقبائحهم التي لولا القرآن ما استطاع الناس الوقوف على حقائقها لكثرة ما أحاطوها به من الكهانة والغموض والأسرار .

وليس هذا بعجيب من أقوام اجترأ أسلافهم من قبل على أنبيائهم فنفوا عنهم العصمة ونسبوا لهم القبائح والفضائح ووسموهم بارتكاب أبشع الجرائم وأنكر الآثام .

ولا هو بعجيب أيضا من أقوام هووا بأنفسهم إلى أدنى درجات الانحطاط فعبدوا النار والأحجار .

وقد ذهب هـؤلاء وأولئك يختلقون من الأكاذيب والادعاءات شبهات مفتريات يطعنون بها فى نبوة محمد ﷺ ، وهيهات هيهات أن ينالوا منه بمثل هذه الترّهات ، فمنـذ متى كان نفخ الأفواه يطفىء نور الشمس ؟ ومنذ متى كان نطح الأوعال يحطم الصخور .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون[١] ﴾ .

الشبهة الاولى وردها :

من تلك المفتريات ماذكره النصارى ولا سيما البروتستنت من أنه لو كان محمد نبى الله حقاً ما استمرأ سفك الدم داخل الجزيرة العربية وخارجها لنشر دعوته وإخضاع الناس لها بقوة السيف لا بقوة الحق والمنطق، وماحث أتباعه فى كل عصر ومصر على قتل الرجال واسترقاق الأطفال ، وسبى النساء ، ونهب الأموال تحت شعار الجهاد فى سبيل الله مؤكدا لهم بشتى الوسائل أنهـم سوف يثابون فى الآخرة على ذلك العمل أعظم الثواب وأجزله ، لـكنه فعل ذلك كله فدل على أنه ليس بنبى ولـكنه سفاك دماء وأين قول محمد لأتباعه فيما يدعى أنه آتاه من عند الله ؟ .

﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم[٢] ﴾ ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم[٣] ﴾ .

---

(١) التوبة ٣٢ . (٢) البقرة ٣٢ . (٣) التوبة ٥ .

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن[١] ﴾ ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده[٢] ﴾ .

أين هذا كله من قول المسيح عيسى لأتباعه ؟ .

« لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين من سألك فأعطه[٣] » .

تلك فرية رددها النصارى قديما وحديثا ، وجهلوا أو تجاهلوا أمورا هامة تدحض فريتهم هذه وتجعلها هباءً منثورا من تلك الأمور ما يأتى :

أولا : مازعمه النصارى منقصة فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من كونه يقاتل الكفار والعصاة هو قانون الله فى خلقه منذ فجر التاريخ ، فهو سبحانه يكره الكفر والعصيان ويجازى عليهما فى الآخرة جزاء شديدا ، وقد يعاقب أهلهما فى الدنيا بالعقاب الأليم الذى يكون تارة بالإغراق العام كما حدث لقوم نوح عليه السلام ، وتارة بالإغراق الخاص كما حدث لفرعون وجنوده ، وتارة بالإهلاك المفاجىء كما حدث لبكر كل إنسان وبهيمة من أهل مصر فى ليلة خروج بنى إسرائيل منها على ماصرح به الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج[٤] ، وتارة

(١) التوبة ١١١ . (٢) الحج ٧٨ .

(٣) اظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندى ، ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ت أحمد السقا ص ٤٩٥ .

(٤) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ١٠٤ .

بالأوبئة والأمراض كما حدث فى إهلاك الأشدوديين ، على ما صرح به به الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول[1] . إلى آخر ماجاء فى العهد القديم الذى يؤمنون به من العبارات الدالة على عقاب العصاة والكفار فى الدنيا بمختلف أنواع العذاب ، فهل مثل ذلك منقصة فى حق الله — سبحانه وتعالى — ؟ وكيف آمنوا به وصدقوه كدين لهم حتى إذا ماوقع من رسول الله — ﷺ — ، تنفيذاً لحكم الله تعالى — فى العصاة والكفار جعلوا منه وسيلة لإطالة ألسنتهم على النبى صلى الله — تعالى — عليه وسلم بالقول الفاحش البذىء .

ثانياً : ما عابوه على النبى صلى الله عليه وسلم من الجهاد فى سبيل الله قد وقع من الأنبياء السابقين فهو أمر عام فى شريعة الإسلام وغيرها من الشرائع الأخرى ، وقد صرحت بذلك أسفار العهدين الجديد والقديم فجاء فى الإصحاح العشرين من سفر التثنية ما نصه :

حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل لجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .

---

(١) الكتاب المقدس القديم ط عنتر ص ٤٣٢ .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك [١] .

وجاء فى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد ما نصه :

كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم . تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم ، الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه ، حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له حسب أسباط آبائكم تقتسمون ، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم [٢] .

وجاء فى الإصحاح السابع من سفر التثنيه ما نصه :

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم

---

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٣١١ الفقرات من ١٠ : ١٧

(٢) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٢٧٣ الفقرات من ٥١ : ٥٦

لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ... ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار [١].

وجاء فى الإصحاح الحادى عشر من الرسالة إلى العبرانيين فى العهد الجديد ما نصه :

وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب هزموا جيوش غرباء [٢].

من هذه النصوص ونظائرها فى أسفار العهدين القديم والجديد يتضح أن موسى عليه السلام كان مأموراً بقتال المارقين فإذا ظفر بهم قتل الرجال وسبى الأطفال والنساء إلا أمما معينة نص التوراة على ذكر أسمائها فلا يجوز لموسى ومن معه أن يستبقوا منها شيئاً ، بل عليهم قتل رجالها ونسائها وأطفالها وإحراق معالمها وتخريب ديارها تخريبا كاملا لا يبقى ولا يذر .

وأن بولس قديس النصارى قد اعتبر قهر الأنبياء للممالك المتجبرين وهزيمتهم لجيوش الكفار من جنس البر الذى يثاب عليه فاعله لا من

---

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٣٦٦ الفقرات من ١ : ٣٥

(٢) الكتاب المقدس ط عنتر العهد الجديد ص ٣٦٦ الفقرات ٣٢ : ٣٤

جنس الاثم الذى يعاقب عليه مرتكبوه، وفى هذا كله دلالة على أن ما عابه النصارى علينا من الجهاد وشككوا به فى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . هو نفسه الذى آمنوا به فى عهديهم القديم والجديد.

وهناك فرق كبير بين الشريعة المحمدية والشريعة الموسوية فى الجهاد.

ففى الشريعة المحمدية لا يقاتَل الناس إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فإن أبوا وكانوا من المشركين أو المرتدين قوتلوا ولا شىء غير ذلك ، وإن لم يكونوا من المشركين خيروا بين أداء الجزية والحرب فإن اختاروا الأولى صارلهم ما لنا وعليهم ماعلينا، وإلا فالحرب بيننا وبينهم وليس هذا فى الشريعة الموسوية .

وفى الشريعة المحمدية كذلك أن قتل الصبية والنساء غير جائز وإن كانوا من المشركين بخلاف الشريعة الموسوية فإن قتل الصبية والنساء جائز فى الأمم السبعة التى أسلفنا ذكرها فيما نقلنا من نصوص التوراة وأين هذا من ذاك ؟ .

ثالثاً : لا تعنى دعوة عيسى عليه السلام إلى الحب والتسامح إبطال الجهاد وقتال المارقين والكفار والملحدين ، بل إن عيسى نفسه سوف يقتل بعد نزوله الدجالَ وعسكره كما هو مصرح به فى الإصحاح الثانى من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى ، وكما هو مصرح به أيضاً فى الإصحاح التاسع عشر من المشاهدات (١) .

وكما وردت به السنة المطهرة فقد روى الأمام مسلم بسنده عن

---

(١) أنظر الكتاب المقدس العهد الجديد ص ٣٣٦ وما بعدها، ص ٤١٧ وما بعدها

عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يخرج الدجال فى أمتي فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتي لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » .

قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم ، حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا [١] قال وأول من يسمعه رجل يلوط [٢] حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يأيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق » [٣] .

---

(١) أصغى أى أمال ، ورفع أى رفع رأسه مستيقنا والليت بكسر اللام صفحة العنق

(٢) يلوط أى يبنى ويصلح

(٣) صحيح الإمام مسلم ط المطبعة المصرية ج ١٨ ص ٧٥ وما بعدها

فلا ينبغى بعد ذلك أن يؤخذ كلام عيسى عليه السلام دليلا يلوّح به المغرضون فى وجه الحقيقة من آن لآخر ، بغية التهريج والتشويش دون رعاية لإحقاق الحق وإنصافه دأب كل من أطغاه الهوى وأعماه الغرور

رابعا : لا صحة لما ادعاه النصارى من انتشار الإسلام بالسيف لأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد مكث نحواً من ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الإيمان بالله دون أن يلجأ هو وأصحابه إلى الشدة ، حتى إذا ما ظهر الحق وبانت للعقول معالمه ، وأصبح الذين ينكرون دين الله لا ينكرونه عن جهل به وإنما يدفعهم إلى ذلك العناد والمكابرة ، ولجأ الكفار إلى مطاردة المسلمين ومحاربتهم دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه إلى مجالدة السيف بالسيف ، ومقابلة الحرب بالحرب ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾[1]

ومن عجب أن هؤلاء الضالين قد مارسوا فى القديم والحديث ظلم الإنسان وسفك دمه ونهب أمواله وانتهاك أعراضه كأبشع ما تكون الممارسة ، وما الحروب الصليبية عنا ببعيدة فكيف يبيحون لأنفسهم ما ينكرونه على غيرهم ويعيبونهم به ؟

وكيف يجعلون من الجهاد الشريف المقدس الذى يرتفع عن شراستهم ووحشيتهم فى قتال الناس واستعمارهم ارتفاعا عظيما ، مطعنا يطعنون به فى نبوة محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم .

خامسا : إن الجهاد الذى جعلوا منه وسيلة للتشكيك فى نبوة محمد

---

(١) الحج ٣٩

صلى الله — تعالى — عليه وسلم من ناحية ، ولوصف الإسلام بالوحشية من ناحية أخرى ، ثابت بالنقل والعقل ، أما النقل فقد قدمنا من النصوص ما فيه كفاية للتدليل على صحته ، وأما العقل فإن المليين يكادون يجمعون على أن إصلاح العقيدة مقدم على إصلاح العمل ، فلا جدوى لعمل بدون إيمان ، ولا يستطيع النصارى معارضة هذه القاعدة المسلمة فعندهم أن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام .

وقد ثبت بالتجربة أن من كان فى منعة من قومه لا يرضخ للحق ولا يخضع له فإذا زالت عنه هذه المنعة أصغى لسماع كلمة الحق ، ثم خضع لها واستجاب لما احتوت عليه من صلاح وإصلاح .

وكذا قد ثبت بالتجربة أيضا أن المبطلين إذا رأوا ضعفا فى أهل الحق تسلطوا عليهم وأفسدوا كل ما أصلحوه إفسادا عظيما يمس الدين والدنيا على السواء ، لذلك كان لزاما على حماة الحق وأنصاره أن يتسلحوا بالقوة حتى يقهروا أعداءهم ويتمكنوا من نشر العدل والطمأنينة بين الناس فى كل مكان ، ومع أن النصارى يعلمون هذه الحقائق كغيرهم من المسلمين ويؤمنون بها إيمانا عمليا جعلهم يتسلحون بشتى الأسلحة ليصدوا بها مناوئيهم بل ليغزوا بها بلدانا آمنة ليمتصوا خيراتهـــا ويشاركوا أهلها بالقوة فى كل شىء حتى لقمة العيش التى يعيشون عليها ، مع كل هذا فإنهم قد شككوا فى نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم بهذه الأوهام وتلك الخرافات وما يريدون بذلك إلا أن يضعفوا قوة المسلمين

حتى لا يقاوموهم ويظل نفوذهم سائدا متسلطا على كل بلاد الإسلام وإلا فلماذا لم يكفوا هم عن ذلك الغزو العسكرى المتساقط هنا وهناك رافعين شعار التسامح الذى طالما تشدقوا به ، وهم أبعد الناس عن تنفيذه ؟

أما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقد كان فكره واضحا أمام كل الناس لا اعوجاج فيه ولا التواء ولا التباس من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر حُقن دمه وماله ، ومن ظل على كفره قوتل حتى يؤمن أو يقتل إن كان من المشركين أو المرتدين ، وإن كان من أهل الكتاب قوتل حتى يؤمن أو يعطى الجزية وحينئذ يكون آمنا مطمئنا ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم فهل فوق هذا عدل؟ وهل وراء هذا إنصاف؟

ولا شك أن أولئك المشككين يعلمون كثيرا من هذه الأشياء ولكنهم يعاندون ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون[1] ﴾

ولم يكن من حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده حربا على الإسلام بعد دخولهم فيه ، بل كانوا حربا على أعداء هذا الدين وقد غزا بهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه آفاق الأرض شرقا وغربا ، وأحرز بهم للاسلام انتصارات بهرت أخبارها سمع الدنيا وبصرها ، فلو كانت حربه حرب انتقام أو استيلاء وقهر ، أو تسلط واستنزاف ، ما استطاع أن يغزو بمن حاربهم كل هذه الآفاق الواسعة من الأرض ، وما انضووا تحت لوائه يحدوهم الحب العميق له والاقتناع

---

(١) البقرة ١٤٦

الكامل بدعوته ، والإيمان الراسخ بأن هذا هو الصراط المستقيم والبون شاسع بين من نفذوا لرسول الله أوامره ونواهيه ، والتزموا بكل ما جاء به وبين أولئك الذين قادتهم قوى الغزو جبرا وقهرا ، وحملتهم على تنفيذ ما يريدونه قسراً ، فما كان إلا أن استجابوا حتى واتت الفرصة فتركوهم فى أحلك الظروف ، بل انقلبوا عليهم ، ليردوا انتقاما بانتقام ، وتسلطاً بتسلط . وكيف لا ، والأولون كانوا تحت لواء الله يعملون ، والآخرون كانوا تحت لواء المطامع والشهوات يقهرون .

الشبهة الثانية وجوابها :

ومن شبههم الباطلة أيضا ما رددوه أن محمداً لو كان نبى الله حقا لتأيدت دعوته بمعجزات تظهر على يديه ، إذ من شروط النبوة إظهار المعجزة على يد مدعيها ، لكن ذلك لم يحدث وقد اعترف هو نفسه بعدم وقوع ذلك منه حيث يقول فى سورة الأنعام من القرآن الذى يدعى نزوله عليه من عند الله ﴿ ما عندى ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ [1]

ويقول فى سورة الإسراء ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة

---

(١) الأنعام ٥٧ ، ١٠٩

قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا ﴾(١)

فدل هذا على أنه ليس بنبى ولكنه يدعى النبوة من غير أن يكون معه من المعجزات ما يدل عليها، ذلك مطعن من مطاعنهم للتشكيك فى نبوة محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم قالوه بتبجح مغفلين حقائق هامة لو ذكروها ما استباحوا لأنفسهم التفوه بمثل هذا الكلام.

من تلك الحقائق ما يلى :

أولا : حملت الأخبار الصحيحة المتصلة الأسانيد التى تكاد تبلغ فى مجموعها حد التواتر إلى العالم كله من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم حسية كانت أو معنوية، الشىء الكثير .

فأما المعجزات الحسية فإنها تربو على ألف معجزة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :

(أ) نبع الماء من بين أصابعه الشريفة .

« روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع فى ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة فتوضأ الناس حتى توضئوا عن آخرهم »

---

(١) الاسراء ٩٠ : ٩٣

وقد كانت هذه المعجزة على ما قاله غير واحد من العلماء بالزوراء عند سوق المدينة ، ولم يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ، بل تكرر عدة مرات فى مناسبات مختلفة كما حدث فى يوم الحديبية ، وفى غزوة تبوك على ما وردت به الروايات عن جابر بن عبدالله ومعاذ ابن جبل وعمران بن حصين رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وكما شاهد الناس معجزة النبى ظاهرة فى الماء القليل يُسقى منه القوم الكثير ، فقد شاهدوها جلية واضحة فى الطعام القليل يأكل منه الجمع الكثير أو يكفى الجماعة ردحا طويلا من الزمان فعن جابر رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاستطعمه شطر وثق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال لو لم تكله لأكلت منه ، ولقام بكم .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أى إبطه .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق [1] قال جابر رضى الله عنه فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتغط كما هى ، وأن عجيننا ليخبز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك [2] .

---

(١) العناق بفتح أوله هى الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة وتغط بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهمله أى تغلى من حرارة النار تحتها .

(٢) أنظر ما جاء فى صحيح مسلم جـ ١٥ ص ٣٨ ومابعدها ط المطبعة المصرية وصحيح البخارى ط المطبعة الاميرية جـ ٤ ص ١٩١ وما بعدها .

(ب) نطق الشجرة بين يديه صلى الله عليه وسلم. عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى سفر فدنا منه أعرابى فقال : يا أعرابى أين تريد ؟ قال أهلى قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال من يشهد لك على ماتقول ؟ قال هذه الشجرة السمرة ، وهى بشاطىء الوادى ، فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها ، وكما شهد الأعرابى ذلك المشهد الرائع على يد النبى صلى الله — تعالى — عليه وسلم فقد شهد الناس فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهداً أروع منه وأبدع . فعن جابر رضى الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، وفى رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره ، وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به .

وفى رواية المطلب : حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت[1] والخبر بأنين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهور عند السلف والخلف ، وباعتبار معناه متواتر تواتراً يفيد العلم القطعى ، رواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبى بن كعب وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن

(١) أنظر ما جاء عن ذلك فى صحيح البخارى ط المطبعة الأميرية جـ ٤ ص ٩٥

سعد الساعدى ، وأبو سعيد الخدرى ، وبريدة ، وأم سلمة ، والمطلب ابن أبى وداعة — رضى الله عنهم . كلهم يحدثون بمعنى هـذا الحديث وإن كانت ألفاظهم مختلفة فى باب التحديث ، فلا شك فى حصول التواتر المعنوى .

هذه أمثلة لبعض المعجزات الحسية التى أجراها الله — تعالى — على يد نبيه صلى الله عليه وسلم تصديقاً له فى دعوى النبوة والرسالة ونقلتها الأخبار الصحيحة فماذا يقول المبطلون ؟

وأما معجزاته المعنوية :

فإن أعلاها وأعظمها ما سارت به الركبان فى كل مكان ، وتداوله الناس فى كل عصر وآن ، وجعلوه فى سويداء القلوب ومكنون العقول ، وأخذوا منه ما يصلح دينهم ودنياهم ، ذلك هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد حمل القرآن فى طياته معجزات كثيرة منها :

إخباره عن كثير من الأمور الماضية كقصص الأولين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الذين لهم دور بارز فى صنع بعض معالم التاريخ ، وإلى هذا كله يشير القرآن بقوله للنبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ [١] .

ومنها : إخباره عن أمور مستقبلة شهد تحققها بعض الناس بعد تحدثه عنها بزمن طويل كقوله سبحانه ﴿ غلبت الروم فى أدنى

---

(١) هود : ٤٩

الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾[1] .

ومنها : إشاراته العلمية التى تبهر كل من يعرفها من أساطين علماء الدنيا فى شتى مجالات العلم والمعرفة مادية كانت أو روحية ، ولم تكن هذه المعجزة الخالدة هى المعجزة المعنوية الوحيدة للنبى صلى الله عليه وسلم بل له إلى جانبها من هذا النوع معجزات كثيرة منها :

ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن خيبر تفتح على يد على — رضى الله عنه — فى غد يومه ، وأنهم يقتسمون كنوز ملك فارس وملك الروم ، وأن بنات فارس تخدمهم ؟

وهذه الأمور كلهاقدوقعت فى زمن الصحابة — رضى الله عنهم — كما أخبر ، وأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأن فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً ، والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر ، هيهات إلى آخر الدهر ، والمراد بالروم الفرنج والنصارى .

وقد تحقق كل ما أخبر به دون ما زيادة أو نقصان فماذا يقول المفترون ؟

ثانيا : أن الآيات التى استدلوا بها على عدم وقوع المعجزة من

---

(١) الروم : ٢ ، ٤

النبى صلى الله عليه وسلم ، لا تنهض دليلا لهم على دعواهم تلك ، لأن معنى قوله تعالى ﴿ما عندى ما تستعجلون به﴾ الآية ، كما أجمع عليه المفسرون ليس عندى العذاب الذى تستعجلون نزوله بكم ولو كان ذلك إلىَّ لقضى الأمر بينى وبينكم بأن أهلكت الظالمين ، ولكن هذا الأمر قد استأثر الله به ينزله متى شاء على من يشاء من عباده ، وهو الذى يقص الحق وهو خير الفاصلين .

وقد صرح القرآن بطلبهم هذا فى آية أخرى حيث يقول ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾[1] .

ومعنى قوله ﴿ وأقسموا بالله جهد إيمانهم ﴾ الآية

أن المشركين قد أقسموا بأغلظ الأيمان لئن جاءتهم آية من الآيات الكونية التى اقترحوا على النبى — صلى الله عليه وسلم — فعلها ليؤمنن بما دعاهم إليه بسببها . فأمر النبى — صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بقوله إنما الآيات عند الله — تعالى — : فهو وحده القادر عليها ، والمتصرف فيها يعطيها من يشاء ويمنعها عمن يشاء بحكمته ﴿ وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله ﴾[2] :

وكمال الأدب مع الله تعالى أن يفوض إليه الأمر فى ذلك ، ولكنهم لما لم يصلوا إلى مستوى الأدب مع الله فيما طلبوا بل طلبوها استهزاءا وعنادا حرمهم الله خيرها فلم يُجرِها لهم على يد نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأنفال : ٣٢ (٢) الرعد : ٣٨

روى أبو الشيخ عن ابن جريج أن هذا نزل فى المستهزئين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الآية [١] .

وليس لكم أيها المؤمنون أدنى علم يشعركم بهذا الأمر الغيبى الذى لا يعلمه إلا الله ، وهو أنهم لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية على وفق ما طلبوا ، وقد صرح القرآن بعدم إيمان المعاندين حتى ولو رأوا الآيات البينات رأى العين ، ولمسوها باليد فقال :

﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين [٢] ﴾ .

أى ولو أننا نزلنا عليك كتابا من السماء فى قرطاس كما اقترحوا فرأوه نازلا منها بأعينهم ، ولمسوه عند وصوله إلى الأرض بأيديهم لقال الذين كفروا منهم كفر العناد والاستكبار ، ما هذا الذى رأينا ولمسنا إلا سحر مبين فى نفسه ، ثابت فى نوعه ، وإنما خيل إلينا أننا رأينا كتابا ، ولمسناه ، وما ثم كتاب نزل ، ولا قرطاس رؤى ، ولا لمس ا . هـ [٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون [٤] ﴾ .

قال صاحب المنار عند تفسير هذه الآية قل أيها الرسول إن الله

---

(١) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٧ ص ٩ .
(٢) الأنعام : ٧
(٣) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٧ ص ٢٥٩
(٤) الأنعام . ٣٧

تعالى قادر على تنزيل آية مما اقترحوا ، وإنما ينزلها إذا اقتضت حكمته تنزيلها ، لا إذا تعلقت شهوتهم بتعجيز الرسول بطلبها ا . هـ [١] .

وعلى هذا المعنى الذى أوردنا الآيات السالفة يتنزل قول الله تعالى فى سورة الإسراء .

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنـــا من الأرض ينبوعا ﴾ الآيات الأربع .

لا على ما أولوها به من تأويلات ترضى شهواتهم الباطلة ومطامعهم المغرضة للتشكيك فى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فالمقصود من النفى فى مثل هذه الآيات هو نفى حصول المعجزات التى اقترحها الكفار عنادا واستهزاءا ، لا نفى أصل المعجزة كما زعم المشككون .

وليس بلازم على الأنبياء أن يظهروا ما طلبه المنكرون من المعجزات ، بل هم لا يظهرونها إذا طلبها المنكرون عنادا أو امتحانا أو استهزاءا ، كما حدث من النبى صلى الله عليه وسلم رداً على المعاندين فيما طلبوا من معجزات ، وكما حدث من عيسى عليه السلام رداً على الفريسيين فيما طلبوا من آيات ، فقد جاء فى الإصحاح الثامن من انجيل مرقس ما نصه :

« فخرج الفريسيون وابتدءوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه ، فتنهد بروحه ، وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ . الحق

---

(١) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ ٧ ص ٣٢٣

أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية [١] » .

قال صاحب الإظهار تعليقاً على هذه الفقرة ما نصه :

فالفريسيون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان ، فما أظهر معجزة ، ولا أحال فى ذلك الوقت إلى معجزة صدرت عنه فيما قبل ، ولا وعد باظهارها فيما بعد أيضاً ، بل قوله « لن يعطى هذا الجيل آية » يدل على أن المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا البتة ، لأن لفظ الجيل يشمل جميع الذين كانوا فى زمانه ا . هـ [٢] .

وفى الإصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا ما نصه :

« وأما هيرودوس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداده ، فاحتقره هيرودوس مع عسكره واستهزأ به ، وألبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس » [٣]

فما أظهر عيسى عليه السلام أمام هيرودوس معجزة مع أنه قد ترجاه كثيرا أن يفعل ذلك ، وما كان هذا منه عليه السلام دليلا على أنه ليس بنبى ولا رسول ، بل هو عندنا نبى الله حقا ورسوله صدقا .

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ص ٧٠ ط عنتر فقرة ١١ ، ١٢

(٢) أظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ط دار التراث العربى للطباعه والنشر ص ٥٩٧ تحقيق د / أحمد السقا .

(٣) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر ص ١٤ فقرة ٨ : ١٨

وفى الإصحاح الرابع من إنجيل متى ما نصه :

« فتقدم إليه المجرب ، وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحى الأنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلاك ، قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك[1] » .

فرفض عيسى عليه السلام إجابة إبليس إلى ما طلبه منه على سبيل الامتحان وأفهمه كما جاء فى آخر هذه الفقرات أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه ، بل تقتضى العبودية له سبحانه مراعاة الأدب فى حقه وعدم تجربته كما طلب إبليس .

وفى الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا ما نصه :

« أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ، ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا[2] » .

قال صاحب الإظهار تعليقا على هذه الفقرات بعد ما أوردها فاليهود طلبوا معجزة وما أظهرها عيسى عليه السلام ، ولا أحال إلى معجزة

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر ص ٦ الفقرات ٣ : ٨

(٢) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر ص ١٥٦ الفقرات ٢٩ : ٣١

فعلها قبل هذا السؤال ، بل تكلم بكلام مجمل ، لم يفهمه أكثر السامعين وارتد كثير من تلاميذه بسببه . كما هو مصرح به فى الآية السادسة والستين من الإصحاح المذكور وهى فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا .

(من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣٥ ومن ثم ارتد كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يماشوه بعد ذلك أبداً أ هـ .[١]) .

هذه نصوص أناجيلهم ناطقة بوقوع مثل ما طعنوا به على النبى صلى الله — تعالى — عليه وسلم لعيسى عليه السلام فماذا يقولون ؟ .

ثالثاً : قد صرح القرآن الكريم بأن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم آيات بينات ، وأن الكفار قد سخروا من هذه الآيات حين رأوها ، وقالوا ماهذا إلا سحر مبين ، وبين سبحانه أن الذين لا يؤمنون بعد رؤية تلك الآيات البينات لا عذر لهم ولهم عذاب أليم .

فقال تعالى : ﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات[٢] ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

وقال عز اسمه : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله[٣] ﴾ .

---

(١) إظهار الحق ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ص٥٠٩ تحقيق د/أحمد السقا .
(٢) آل عمران : ٨٦ . (٣) الأنعام . ٢١ ، و ١٢٤ .

وقال سبحانه ﴿ وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ (١)

وقال عز اسمه ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ (٢)

هذا هو الحق فماذا يقول الضالون ؟

البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل

تلك بعض شبهات المشككين فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أردنا بذكرها والرد عليها بيان ما هم فيه من ضلال لا منشأ له إلا الهوى والتعصب ، وإلا فإن رسالة رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى من أن يتكلموا فيها ، وأجلى من أن يطعنوا فى ثبوتها وحقيتها ، وكيف لا وهو المبشر به فى التوراة والإنجيل قبل التحريف وبعده ، ولم يستطيعوا برغم حقدهم أن يطمسوا تلك البشارات طمسا كاملا ، بل تجدها مبثوثة فيما تحت أيدينا الآن من التوراة والإنجيل .

البشارة بالنبى فى التوراة

فقد جاء فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ما نصه :

« يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لأعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا

---

(١) الصافات ١٤ ، ١٥ (٢) القمر ٢٦

لئلا أموت قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا طالبه . وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى . وإن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه »[1]

هذا نص ما جاء فى التوراة المتداولة بينهم الآن ، والتى يقرءونها صباح مساء .

والمتأمل فى هذا النص يجد أن فى قوله « يقيم لك الرب إلهك نبيا » وقوله « وسوف أقيم لهم نبيا » بشارة صريحة لموسى عليه السلام بنبى يأتى من بعده ، وهذا النبى المبشر به ليس يشوع عليه السلام كما يزعم أحبار اليهود ، ولا هو عيسى عليه السلام كما يزعم علماء النصارى ، بل النبى المبشر به فى هذا النص هو محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم لما يأتى :

أولا : كان يشوع مع موسى عليه السلام ومن بعده ، وقد رآه اليهود وعايشوه ومع ذلك فإن اليهود الذين عاصروا عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشراً به عندهم بدليل ما جاء فى الإصحاح

---

(١) الكتاب المقدس ط عنتر العهد القديم ص ٣٠٨ وما بعدها فقرات ١٥ : ٢٣

الأول من إنجيل يوحنا من أن يهود أورشليم قد أرسلوا إلى يوحنا من يسأله عن هويته فقال لهم لست أنا المسيح ، قالوا فأنت إيليا ، قال ولا أنا إيليا ، قالوا فأنت النبى إذن قال ولا أنا بالنبى أيضا[1]

فلو لم يكن لديهم ما يفيد ظهور نبى غير يشوع الذى كانوا بعد ظهوره بزمن طويل، وعيسى عليه السلام الذى كانوا يعاصرونه مازعموا أن يوحنا كما جاء فى سؤالهم النبى المعهود الذى أخبر عنه موسى فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية على ما بيناه سلفا .

ثانياً : أن قوله فى النص السالف ﴿سوف أقيم﴾ يعنى أن النبى المبشر به لم يكن موجودا مع موسى عليه السلام ، ويشوع الذى زعموه محل تلك البشارة كان موجودا فى زمان موسى حاضرا معه فكيف تصدق عليه تلك البشارة ؟

ثالثا : أن ما جاء فى النص السالف من قوله «أجعل كلامى فى فمه» يشير إلى أن ذلك النبى المبشر به سينزل عليه كتاب ، وإلى أنه سيكون أميا حافظا للكلام وذلك لا يصدق على يشوع لانتفاء كلا الأمرين عنه .

رابعا : أن المثلية الواردة فى قوله « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك » حاصلة بين موسى ومحمد عليهما السلام ، فى أمور كثيرة منها : أن كلا منهما عبد الله ورسوله وأن لكل منهما والدين وأن كل منهما ذو نكاح وأولاد ، وأن شريعة كل منهما مشتملة على سياسات مدنية ، وأن كلا

---

(١) انظر الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر ص ١٤٦

منهما مأمور بالجهاد فى سبيل الله وأن الطهارة وقت العبادة ووجوب الغسل على الجنب والحائض والنفساء، وطهارة الثوب من البول والغائط، وحرمة غير المذبوح، والقرابين للأوثان مأمور به فى شريعة كل منهما، وأن شريعتهما مشتملة أيضا على العبادات البدنية، والأمر بحد الزنا، وتعيين الحدود والتعازير والقصاص وتحريم الربا، وأن كلا منهما قد مات على فراشه ودفن فى قبره دون ما قتل أو صلب، أو اختفاء، إلى آخر تلك الأمور الكثيرة التى يشترك فيها موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ولعل هذا التماثل هو السر فى تشبيه الله — سبحانه — لرسالة محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم إلى قومه برسالة موسى إلى فرعون حيث يقول ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾(١)

وفيما حكاه القرآن عن الذين صرفوا من الجن لاستماع القرآن من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين ذهبوا إلى قومهم بعد ذلك ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾(٢)

ولا يوجد شىء من هذا التماثل بين موسى ويشوع وعيسى عليهم السلام، لما ثبت فى التوراة من أن أحدا من بنى إسرائيل ليس مثل موسى على ما صرحت به الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية حيث تقول: « ولم يقم بعد ذلك نبى فى بنى إسرائيل

---

(١) المزمل ١٥ (٢) الأحقاف ٣٠

مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه »[1]

ويشوع وعيسى عليهما السلام من بنى إسرائيل فلا مثلية بينهما وبين موسى عليهم السلام ، إذ لو وجدت مثلية بينهم للزم عليه وقوع الكذب الصراح فى التوراة وهذا مالا يقولون به .

ومن جهة أخرى فإن موسى كان صاحب كتاب، ولم يكن كذلك يشوع عليه السلام، فكيف تتأتى المثلية بينهما ؟

وكيف تتأتى المثلية بين موسى الذى هو عبدالله ورسوله وبين عيسى الذى زعمه النصارى إلها يدين له بالعبودية سائر الناس ومنهم موسى عليه السلام .

وكذلك فإن شريعة موسى مشتملة على أمور عملية كالحدود والتعازير، بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فإنها خالية منها على ماتشهد به أناجيلهم .

وكان موسى عليه السلام رئيسا مطاعا فى قومه نفاذا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى عليه السلام فانه لم يكن كذلك .

خامساً : جاء التصريح فى هذه البشارة بأن النبى الذى ينسب إلى الله ما لم يأمر به يقتل ، وقد جاء نظير ذلك فى القرآن حيث يقول سبحانه عن محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾[2]

---

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٣٣٦

(٢) الحاقة : ٤٤ : ٤٦ والوتين هو نياط القلب ، أو نخاع الظهر

فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً لقتل، لكنه لم يقتل بل تكفل الله سبحانه بحفظه ورعايته، وأخبر بذلك فى كتابه الكريم حيث يقول : ﴿ والله يعصمك من الناس [1] ﴾ .

وقد أنجز الحق وعده فما قتل رسول الله على كثرة أعدائه ، وعدم اتخاذه الحراس لنفسه بعد هذه الآية ، بل بقى يؤدى الرسالة ، ويبلغ الأمانة حتى لحق بالرفيق الأعلى وهو على فراشه وبين أهله وذويه، بخلاف عيسى عليه السلام فإنه قد رفع إلى الملأ الأعلى كما أخبر الله بذلك فى قوله « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما » [2] .

فلو كانت هذه البشارة بعيسى عليه السلام وهو على زعمهم قد قتل للزم أن يكون نبيا كاذبا كما يزعم اليهود لعنهم الله .

سادساً : ما جاء فى النص السالف من قوله « فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب » .

يفيد أن من علامات النبى الكاذب أن يقع ما يخبر به من أمور الغيب على غير ما أخبر به ، أو لا يتحقق شىء مما يخبر به من الغيبيات .

وقد ثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به سواء أكان عن الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، فدل هذا على أنه النبى الصادق المبشر بإتيانه بعد موسى حقاً .

سابعاً : قد أقر كثيرون من علماء اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبى آخر الزمان المبشر به

---

(١) المائدة ٦٧ (٢) النساء : ١٥٧

فى التوراة ، ومنهم من آمن ، ومنهم من بقى على كفره وعناده .

وفى السيرة وكتب الحديث الصحيحة كثير من هذه الأخبار ، فلو لم تكن البشارة بالنبي واضحة فى التوراة ما أقر بها علماء يهود .

وليس هذا هو كل ما حوته التوراة عن التبشير بنبى آخر الزمان بل هناك نصوص أخرى كثيرة حملت فى طيات عباراتها ، تلك البشارة العظيمة إلى كل من يقرؤها ويتدبر ما فيها .

البشارة بالنبى فى الإنجيل :

أما الإنجيل فقد اشتمل على عدة نصوص تشير كلها إلى مجىء النبى المنتظر الذى ستظل رسالته إلى الأبد ولا يخالفه أحد إلا استحق عذاب الله يوم القيامة ، من هذه النصوص ما جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى « اسمعوا مثلا آخر كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا ، وقتلوا بعضا ، ورجموا بعضا ثم أرسل أيضاً عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى ، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ، ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، قال لهم

يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناءون . هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ، ولما سمع رؤساء الكهنة ، والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم (١) » .

فرب البيت كناية عن الله عز وجل ، والكرم كناية عن الشريعة وإحاطته بسياج وحفر معصرة فيه وبناء برج ، كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى ، والكرامون الطاغون كناية عن اليهود كما فهمه رؤساء الكهنة والفريسيون ، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والابن كناية عن عيسى عليه السلام على ما جاء فى مزاعمهم الباطلة أو على تأويل كلمة الابن هنا بالعبد الصالح والحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحجر الذى إذا سقط عليه أحد ترضض ، وإذا سقط على أحد سحقه ، والأمة التى تعمل أثماره كناية عن أمته صلى الله عليه وسلم ، وما ادعاه علماء النصارى من أن الحجر هو كناية عن عيسى عليه السلام فردود لما يأتى :

أولا : قد شبه النبى نفسه صلى الله عليه وسلم باللبنة التى يحسن البناء بها فى حديثه الصحيح حيث يقول :

« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويقولون ما أحسنه ! ما أجمله

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر ص ٣٩ فقرات ٣٣ : ٤٥

إلا موضع هذه اللبنة وأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين[١] » .

ولم يثبت عن عيسى أنه شبه نفسه بمثل ذلك التشبيه فدل هذا على أن لفظ الحجر الوارد فى النص السالف هو كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم لا عن غيره .

ثانياً : ما جاء فى وصف الحجر من كونه إذا سقط عليه أحد ترضض وإذا سقط هو على أحد سحقه لا ينطبق على عيسى عليه السلام ، لأنه قال « وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم[٢] » .

بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فإنه يصدق عليه هذا الوصف صدقاً تاماً ، إذ قد أمر بدعوة الناس إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبقتال من لم يؤمن بذلك منهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام كما هو مصرح به فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ثالثاً : قول داود عليه السلام « الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأساً للزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا »[٣] يفيد أن اليهود عامة وداود خاصة يعجبون من كون الحجر الذى تركه البناءون ولم يستعملوه فى البناء لعدم استحسانهم له قد صار بأمر الله

---

(١) أنظر صحيح مسلم ط المطبعة المصرية ج ١٥ ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) انظر العهد الجديد انجيل يوحنا اصحاح ١٢ فقرة : ٤٧ ص ١٢٣

(٣) العهد القديم مزمور ١١٨ الفقرة ٢٣ ص ٩١٦ ط ...

رأس الزاوية ، فلو كان هذا الحجر كناية عن عيسى عليه السلام ما صدر منهم هذا العجب فى حقه ، لأن عيسى من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فهو من اليهود ، فكيف يعجب اليهود من كون واحد منهم قد صار رأس الزاوية ، وكيف يصدر العجب من ذلك عن داود بصفة خاصة مع أنه كما يزعم المسيحيون يعظم عيسى عليه السلام فى مزاميره تعظيما بليغا ، ويعتقد الألوهية فى حقه بخلاف ما إذا قلنا إن الحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم فإن تعجبهم هذا يكون مقبولا ، لأنهم كانوا يحقرون أولاد اسماعيل غاية التحقير فكون واحد منهم يصير رأسا للزاوية بأمر الله تعالى هو شيء يثير العجب عندهم ويملأ قلوبهم حقداً وحسدا .

رابعا : المتأمل فى النص السابق يجد أن فى كلام المسيح ما يفيد كون الحجر غير الابن فكيف يكون الحجر كناية عن عيسى عليه السلام .

وبعد ... فهذا تمهيد أردنا منه بيان أن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة ثبوتا لا شك فيه ، خالدة إلى يوم الدين عامة لأهل الأرض أجمعين .

وأن البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل أمر لا يجهله أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

الباب الأول

حقية القرآن الكريم

بعد ما بينا فى التمهيد بالأدلة القاطعة ثبوت رسالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وصدقه فى جميع أقواله وأحواله وأفعاله لا يبقى لمن يريد إثبات نص أسند قوله إلى محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم ، إلا أن يوثق هذا النص من حيث النقل فقط ، فإذا اتصل سنده وثبتت عدالة ناقليه وقوة ضبطهم واتفاقهم فيما نقلوا كان لزاماً عليه أن يؤمن بحقية هذا النص ، ويذعن له ويعمل بما جاء فيه .

طرق النقل عند المسلمين :

والناظر فى طرق النقل عند المسلمين لما جاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة والتابعين يجد أنها على ستة أقسام(١) :

القسم الاول :

ما تناقله المحدثون واحداً عن واحد ، أو جماعة عن جماعة ، حتى يبلغوا به إماما من الأئمة الأعلام ، أو واحداً من أتباع التابعين ، أو تابعيا ، أو صحابيا ، وذلك مايسميه علماء الحديث بالمقطوع والموقوف ، وليس هذا النوع من النقل معولا عليه عند المسلمين فى أخذ الشريعة

---

(١) أنظر الفصل لابن حزم ط محمد على صبيح ج ٢ ص ٨٢ ، المنهج الحديث فى علوم الحديث لأستاذنا الدكتور محمد السماحى ط دار الأنوار ج ٢ ص ٣ — ٥

منه ، والعمل بكل ما حمله إلينا من نصوص ، بخلاف اليهود والنصارى ، فإن كل ما هم عليه من شرائع لا توجد فى التوراة والإنجيل قد أخذوه من طريق نقل الواحد عن الواحد ،عن حبر من الأحبار ، أو راهب من الرهبان ، دون أن يصلوا بسندهم إلى نبى أو صحابى أو تابعى مع ما يكون فى السند من انقطاع وجرح فى الرواة ، وليست عندهم مسألة واحدة يقربون فى نقلها من موسى وعيسى عليهما السلام قربنا من محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم ، بل أعلى من يصل إليه اليهود هلال ، وشمانى وشمعون وأمثالهم ممن بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا فى أكثر من ألف وخمسمائة عام ، وأعلى ما يصل إليه النصارى شمعون ثم بولس ، ثم أساقفهم عصرا عصرا ، وهذا أمر لا يقدرون على إنكار شىء منه أمام من له بكتبهم خبرة ودراية .

القسم الثانى :

ما نقله المحدثون واحدا عن واحد ، أو جماعة عن جماعة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، لكن فى سلسلة السند من هو مجروح بالكذب ، أو الغفلة أو غيرهما من الجوارح التى بينها علماء الجرح والتعديل ، ولا يعول المسلمون على مثل هذه الطريق فى أخذ الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، بينما نجد أن هذا اللون من النقل هو أرقى ما يوجد عند اليهود والنصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم على ندرة شديدة فى مثل هذا النوع من النقل ، ولا يكون المجروح منهم مجروحا بالكذب أو الغفلة فقط ، بل يكون مجروحا بالكفر أحيانا .

القسم الثالث :

ما نقله الواحد عن الواحد ، أو الجماعة عن أمثالهم عن النبي صلى الله — تعالى — عليه وسلم لكن فى السلسلة شخصاً أو أشخاصاً قد سقطوا من أولها أو من وسطها ، وهو ما يسمى عند علماء الحديث بالمعلق والمعضل ، والمنقطع ، ولا يعتبره المسلمون أيضاً مصدراً يعتمد عليه في التشريعات إلا بعد البحث والتنقيب ، ولا يكاد يوجد شيء من هذا عند اليهود والنصارى .

القسم الربع :

ما نقله الثقة عن الثقة ، يخبر كل واحد منهم باسم الذى حدثه ونسبه وكلهم معروف الحال ، والعين ، والعدالة ، والزمان ، والمكان ، حتى يبلغ إلى النبي صلى الله — تعالى — عليه وسلم ، على أن أكثر ما خرج هذا المخرج فإنه منقول نقل الكواف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة — رضى الله عنهم — ، أو إلى الصاحب ، أو إلى التابع أو إلى إمام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل العلم بهذا الشأن .

وهذا النوع من النقل قد خص الله — تعالى — به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضاً جديدا على مدى الأزمان .

القسم الخامس :

ما نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم ، ككثير من آياته ومعجزاته التى ظهرت يوم الخندق وفى تبوك بحضرة الجيش وكثير من مناسك الحج وكزكاة

التمر ، والبر ، والشعير ، والفضة ، والذهب ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، وكمعاملته أهل خيبر ، وغير ذلك مما يخفى على العامة ، وإنما يعرفه كواف أهل العلم فقط ، وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلا لأنه ينأى بهم عن هذا النوع من النقل والذى قبله ، إطباقهم على الكفر الدهور الطوال ، وعدم وصول الكافة من أهل العلم إلى عيسى عليه السلام .

القسم السادس :

شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند المشاهدة وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها ، لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله — عز وجل — أوحى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن هذا الجيل مَن بعده ، وهكذا حتى بلغ إلينا غضا طريا كما أنزله الله عز وجل دون ما تبديل أو تحريف ، ولا زيادة أو نقصان ، رغم ما فيه من تحديات بينة شديدة للعرب واليهود والنصارى ، حيث طلب من العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة فلم يستطيعوا ، وطلب من اليهود أن يتمنوا الموت فلم يفعلوا ، وطلب من النصارى أن يباهلوا فلم يقدروا ، وقد وبخهم جميعاً على عجزهم هذا أشد التوبيخ وأعنفه ، ومع ذلك فما استطاعوا أن يتركوه ، وما استطاعوا له هدما .

وما كان نقلة هذا القرآن على مر العصور متحدين فى أفكارهم

أو ميولهم أو مشاربهم ، بل كانوا مختلفين جد الاختلاف فى كل هذه الأشياء وغيرها وما اتفقوا فيما بينهم شرقا وغربا ، عربا وعجما ، إنسا وجنا ، إلا على شيء واحد هو كلمات الله المودعة بين دفتى المصحف من أوله إلى آخره فصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم[(١)] ﴾ .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾[(٢)] .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[(٣)]

﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾[(٤)]

لذا فقد أجمع العلماء على أنه لا بد من التواتر التام فى نقل كل جزئية من جزئيات القرآن منذ عصر نزوله إلى قيام الساعة .

---

(١) الأنعام ١١٥
(٢) يونس ١٥
(٣) الحجر ٩
(٤) القيامة ١٦ : ١٩

الفصل الأول

الأدلة على حقية القرآن من القرآن وغيره

تضافرت الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والحجج المقنعة على أن القرآن الكريم كله حق لا زيف فيه ، وثابت لا شك فيه ، وأن كل حرف منه إنما هو منزل من عند الله - لا مدخل لأحد من البشر في إيجاده أو وضعه في مكانه الذي وضع فيه .

من هذه الأدلة ما ضمه الكتاب العزيز بين طياته ، ومنها ما نشأ عن بحث الباحثين في القرآن الكريم وتتبعهم لحروفه وكلماته وآياته .

الأدلة على حقيقة القرآن

فأما ما حواه القرآن من الأدلة على صدقه وحقيقه وثبوته وكونه محكما مفصلا منزلا من لدن حكيم خبير ، فإنه يربو على مائة دليل كل واحد منها يؤكد بما لا يدع مجالا لشك شاك ، أو طعن طاعن حقية القرآن وثبوته ، وأنه هو الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين .

الدليل الأول : من تلك الأدلة ، ما يبين لنا أن هذا الكتاب الخالد في أعلى مراتب الكمال ، وأسمى منازل الثبوت والجلال ، بحيث لا يقدح فيه شك الشاكين ، ولا امتراء الممترين ، ولا تحدى المتحدين بل على الذين تعتريهم ريبة فيه أن يتجهوا إلى تحديه في كل زمان ومكان مستعينين بمن شاءوا من الأصحاب والأعوان ، ولن يجدوا من وراء ذلك التحدى بعد عجزهم عنه إلا أحد أمرين إما شفاءا من الريب

الذى سيطر على قلوبهم ، فدفعهم إلى ما لجأوا إليه وإما مزيداً من التعصب الأعمى الذى يقضى بأهله إلى الهلكة والضلال ، وما ذلك العجز عن التحدى إلا لأن الله عز وجل قد نزله بالحق وجعله مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وجعله حكيما محكما عربيا مبينا وأودع فيه من أسرار البيان ، والكون والإنسان ، والملائكة والجان ، والحديث عن ما مضى وما يستقبل من الزمان ، ما يبهر العقول ويحير النفوس ويشرئب بالأعناق إلى الغاية التى ليس بعدها غاية والكمال الذى ليس فوقه كمال والجلال الذى ليس وراءه جلال . ذلك هو الله سبحانه الذى يعز من يعزه ، وينصر من ينصره ، ولا يكون عز الله ونصره إلا فى حفظ كتابه وبيان أمره لكل من خفى عليه أمره ، ومع ذلك فقد جعله الحق سبحانه مؤلفا من جنس الحروف التى يتألف منها كلام الناس ، ليظهر الفرق جليا بين ما يقول الله وما يقول الناس ، كما هو ظاهر دائما بين فعل الله فى كل شىء وفعل الناس .

فهذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات ، فإذا أخذ الناس هذه الذرات ، فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة أو آنية ، أو اسطوانة ، أو هيكل أو جهاز ... كائنا فى دقته ما يكون ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة ... حياة نابضة خافقة تنطوى على ذلك السر الإلهى المعجز ... سر الحياة ... ذلك السر الذى لا يستطيعه بشر ، ولا يعرف سره بشر .

وهكذا القرآن ... حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاما

وأوزانا ، ويجعل الله منها قرآنا وفرقانا ، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض ، هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة .

قال تعالى : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين [1] ﴾ .

ومن أين يكون الريب فيه ودلاله صدقه ويقينه كامنة فى هذا المفتتح بينة فى عجزهم عن صياغة مثله ، من مثل هذه الأحرف المتداولة بينهم المعروفة لهم من لغتهم .

وقال سبحانه للمرتابين في القرآن من اليهود والمنافقين وغيرهم .

﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين [2] .

وقال عز اسمه بيانا لمصدر نزول القرآن .

﴿ الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان [3] ﴾.

﴿ انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ [4] .

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ [5] .

---

(١) البقرة ١ ، ٢

(٢) البقرة ١٣

(٣) آل عمران ١ : ٤

(٤) النساء : ١٠٥ (٥) المائدة : ٤٨

﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .

﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾[1] .

﴿ المص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ﴾[2] .

﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾[3] .

﴿ المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾[4] .

﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد[5] ﴾ .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[6] .

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾[7] .

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾[8] .

---

(١) الأنعام : ١٩ ، ١١٤ — (٢) الأعراف : ١ ، ٢

(٣) يوسف : ١ ، ٢ — (٤) الرعد : ١

(٥) ابراهيم : ١ — (٦) الحجر : ٩

(٧) الكهف : ١

(٨) طه ٢ : ٤

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى أمين ﴾[١] .

﴿ وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾[٢] .

﴿ أتل ما أوحى إليك من الكتاب ﴾[٣] .

﴿ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾[٤] .

﴿ الم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾[٥] .

﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾[٦] .

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾[٧] .

﴿ حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم[٨] ﴾ .

﴿ حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾[٩] .

﴿ حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾[١٠] .

---

(١) الشعراء ١٩٢
(٢) الشعراء ٢١٠ : ٢١٢
(٣) العنكبوت ٤٥
(٤) العنكبوت ٤٧
(٥) السجدة ١ ، ٢
(٦) يس : ٥
(٧) الزمر ١ ، ٢
(٨) غافر : ١ ، ٢
(٩) فصلت ١ ، ٢
(١٠) الدخان : ١ ، ٣

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾[1].

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾[2].

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾[3].

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾[4].

﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾[5].

﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾[6].

﴿سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾[7].

﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾[8].

وقال سبحانه فى بيان كون هذا الكتاب الكريم حكيما محكما ذا ذكر مجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[9] ، ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[10].

---

(١) الجاثية ١ ، ٢
(٢) الأحقاف : ١ ، ٢
(٣) النجم : ٣ ، ٤
(٤) الواقعة ٧٧ : ٨٠
(٥) التغابن ٨
(٦) الانسان ٢٣
(٧) الأعلى ٦ ، ٧
(٨) القدر ١
(٩) يونس : ١
(١٠) هود : ١

﴿ ص والقرآن ذى الذكر[1] ﴾ ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[2] ﴾ .

﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون[3] ﴾ .

﴿ ق والقرآن المجيد[4] ﴾ .

الدليل الثانى

ومن تلك الأدلة أيضاً ما يوضح لنا أن من نصوص القرآن ما هو محكم ، ومنها ما هو متشابه ، وقد اختلف العلماء فى تعريف كل منهما فذهب قوم إلى أن المحكم هو ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل السور .

وذهب آخرون إلى أن المحكم هو ما وضح معناه والمتشابه نقيضه وذهبت طائفة ثالثة إلى أن المحكم هو ما لا يحتمل إلا وجها واحداً من التأويل ، والمتشابه ما احتمل أوجها ، وقيل غير ذلك[5] .

وأيا ما كان الأمر فان من فى قلوبهم زيغ هم وحدهم الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم .

---

(١) ص : ١ (٢) فصلت : ٤١ ، ٤٢

(٣) الزخرف : ٤٤ (٤) ق : ١

(٥) أنظر الاتقان فى علوم القرآن للجلال السيوطى أ ط مصطفى الحلبى الطبعة الثالثة جـ ٢ ص ٢

قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب[1] ﴾ .

وليس من هذا الباب قول الله سبحانه فى سورة هود :

﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[2] ﴾ .

وقول الله تعالى فى سورة الزمر :

﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها[3] ﴾ .

لأن معنى الأول أحكمت أى أتقنت آياته فلا يتطرق إليه نقض ولا اختلاف ، ومعنى الثانى متشابها أى يشبه بعضه بعضاً فى الحق والصدق والإعجاز .

الدليل الثالث :

ومن ثالث الأدلة كذلك ما يبين كون القرآن مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية ومهيمنا عليها يصحح ما شابها من فساد المفسدين ويفصل فيما وقع فيها من خلط لبعض القضايا والأحكام الهامة ، ويقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، ويبرز من أمر النبوة والألوهية ما طمسه على مر الزمن العابثون والمغرضون .

قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

---

(١) آل عمران : ٧ (٢) آية ١ (٣) آية ٢٣

من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق[1] ﴾ .

قال صاحب المنار فى تفسير هذه الآية ما نحواه :

وأنزلنا إليك الكتاب الكامل الذى أكملنا به الدين فهو الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهى عند الإطلاق ، وهو القرآن المجيد ، وتلك هى الحكمة فى التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتابى موسى وعيسى باسمها ﴿ التوراة والإنجيل ﴾ .

وقوله ﴿ بالحق ﴾ الخ أى ملتبسا ومؤيدا بالحق ومشتملا عليه ومقرراً له ، ناطقا بتصديق كون الكتب السماوية كلها من عند الله وبأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم .

أما قوله ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ أى على جنس الكتاب الإلهى فمعناه أن القرآن لما بين حقيقة حال تلك الكتب من حيث أصل إنزالها وما كان من شأن المخاطبين بها من كونهم نسوا منها حظا عظيما وضيعوه ، وحرفوا كثيراً مما بقى منها وأولوه ، وأعرضوا عن العمل بها وتركوه ، كان رقيبا عليها وشهيدا وحاكما على ما جاء فيها لأنه هو الذى أنزل بعدها .

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ يعنى أمينا عليه ، يحكم على ما كان قبله من الكتب .

وفى رواية عنه عند الفريابى وسعيد بن منصور والبيهقى ورواة

---

(١) المائدة ٤٨

التفسير المأثور قال : مؤتمنا عليه ، وفى رواية أخرى قال : شهيد على كل كتاب قبله .

ومن الغريب أن بعض الناس قد فهم من هيمنة القرآن على ماقبله من الكتب أنه يشهد لها بالحفظ من التحريف والتبديل ، ولا حجة لهم على فهمهم هذا إلا أن لفظ المهيمن معناه شهيد ، وما دام شهيداً على الكتب السابقة فهو شاهد لها ، ونحن نقول : هل يصح أن يتحكموا بأهوائهم فى شهادته ؟

بل الواجب عليهم أن يرجعوا إلى ما قاله فى شأن هذه الكتب وأهلها ، لأن ذلك هو نص شهادته لها ولهم ، أو عليها وعليهم ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ، وحسبهم أنه قال فى هذه السورة نفسها فى كل من أهل التوراة والإنجيل ، إنهم نسوا حظا مما ذكروا به ، كما قال فى سورة النساء قبلها ، إنهم ﴿ أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ ، وقال فيهما معاً إنهم كانوا ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ الآية » رواه البخارى فى صحيحه ، وذكر أن سببه أنه كان بعض أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها لبعض المسلمين بالعربية ، فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الاستماع إليهم وقبول كلامهم ، وهذا الحديث يوضحه ما رواه أحمد والبزار ، واللفظ له من حديث جابر قال : نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبى صلى الله عليه وسلم

فجعل يقرأ — ووجه النبى صلى الله عليه وسلم يتغير — فقال له رجل من الأنصار ، ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا اتباعي »

ووردت فى هذا المعنى أحاديث أخرى ضعيفة ، والمراد من النهى عن سؤالهم النهى عن سؤال الاهتداء ، وتلقى ما يروونه بالقبول لأجل العلم بالشرائع الماضية ، وأخبار الأنبياء ، لزيادة العلم ، أو تفصيل بعض ما أجمله القرآن [1]

وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ [2]

قال ابن كثير تفسير لهذه الآية : يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان ، أنه يقص على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل ﴿ أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ كاختلافهم فى عيسى وتباينهم فيه ، فاليهود افتروا والنصارى غالوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما قال تعالى ﴿ ذلك عيسى

---

(١) انظر تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٦ ص ٣٣٩ وما بعدها

(٢) النمل ٧٦

ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون[1] ﴾ اهـ .

وقال سبحانه : ﴿ كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم[2] ﴾ .

أى كما أنزل الله عليك هذا الكتاب المبين فقد أنزل الصحف والكتب على من كانوا قبلك من الأنبياء والمرسلين .

الدليل الرابع :

ومن تلك الأدلة أيضا ما جاء بياناً لكون القرآن هو المعجزة التى لا ينبغى أن يتطلب سواها ، وذلك فى معرض الرد على من طلبوا من النبى صلى الله — تعالى — عليه وسلم خوارق العادات عناداً ، أو تهكما ، أو استهزاءاً ، كما فى قوله سبحانه ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون[3] ﴾ .

قال ابن كثير تفسيراً لهذه الآية : ومعنى قوله تعالى : وإذا لم تأتهم بآية أى معجزة وخارق كقوله تعالى : ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم ، ألا تجهد نفسك فى طلب الآيات من الله حتى نراها ، ونؤمن بها ... قال الله — تعالى — ﴿ قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى ﴾ أى أنا لا أتقدم إليه تعالى فى شىء ، وإنما أتبع ما أمرنى به فأمتثل ما يوحيه إلىّ ، فإن بعث آية قبلتها ، وإن منعها لم أسأله ابتداءاً إياها إلا أن يأذن لى فى ذلك فإنه حكيم عليم ، ثم أرشدهم إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ط عيسى البابى الحلبى جـ ٣ ص ٣٧٤ .

(٢) الشورى : ٣ . (٣) الأعراف : ٢٠٣ .

أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات ، وأصدق الحجج والبينات فقال ﴿ هـذا بصائر من ربكم وهـدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ اهـ(١) .

وقوله تعالى ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﴾(٢) .

أى لو كان فيما أنزلنا من الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى فى قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز ، الذى لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله .

فلا وجه للعدول عنه إلى طلب آيات أخرى من النبى صلى الله — تعالى — عليه وسلم بعد ما نزل هذا الذى هو آية الآيات ، وبينة البينات .

وقد نعى الحق سبحانه فى غير آية على الكافرين جحودهم للقرآن واستهزاءهم به وضيقهم بقراءته وقرائه فقال سبحانه ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون(٣) ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم

---

(١) تفسير ابن كثير ط عيسى الحلبى ج ٢ ص ٢٨٠

(٢) الرعد : ٣١ (٣) النحل : ٢٤ ، ٢٥

بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير (١)﴾

وقال في الفرقان ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا (٢) ﴾

وقال عز اسمه ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾(٣)

وقال في نفس السورة ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما يعبد آباؤكم وقالوا إن هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (٤)﴾.

وقال فى غافر ﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون ، الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴾(٥)

وقال فى الزخرف ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾(٦)

وقال فى الجاثية ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه

---

(١) الحج : ٧٢ (٢) آية : ٤
(٣) سبأ : ٣١ (٤) آية ٤٣
(٥) آية ٦٩ ، ٧٠ (٦) الآية : ٣١ ، ٣٢

ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ [١] .

الدليل الخامس :

ومن تلك الأدلة القرآنية على حقية القرآن وصدقه ما جاء فى معرض التحدى لأولئك الذين يشكون فى القرآن أو يشككون فيه مبالغة فى تدارج الحق معهم فى هذا التحدى فطلب منهم أن يأتوا بمثله ...

قال تعالى ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [٢] ثم نزل بهم إلى ما هو أدنى من ذلك ، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ... قال تعالى ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ [٣] .

ثم دعاهم إلى ما هو أقل من هذا فقال سبحانه ﴿ فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين ﴾ [٤] .

فعجزوا عن الإتيان بذلك أو بمثل شىء منه وبقى حكم الله على هذا الكتاب قائماً ... ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [٥] .

وليس عجزهم هذا ناشئاً عن صرف الله لهمم عن معارضة القرآن وتحديه ، وإنما هو راجع إلى كونه قد بلغ الغاية فى الفصاحة ،

---

(١) الآية ٦ ، ٧ ، ٨

(٢) الطور ٣٤ — (٣) هود : ١٣ ، ١٤

(٤) البقرة ٢٣ — (٥) الاسراء : ٨٨

والبلاغة ، وحسن البيان ، والدقة والرصانة وجمال الإحكام ، فما استطاعوا معارضته ولا أمكنهم تحديه .

وكما أودع الله فى كتابه الكريم من أسرار البلاغة والفصاحة ما أعجز البلغاء عن معارضته ، فقد أودع فيه من دواعى حفظه وانتشاره وتيسيره للصغار والكبار ما أعجز المعاندين عن صد تياره ، وإيقاف سريانه شرقاً وغرباً ، وشمالا وجنوبا قال تعالى : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا[1] ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون[2] ﴾ .

وقال عز اسمه ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر[3] ﴾ .

وصدق الله فيما ذكر فما من أحد صغيراً كان أو كبيراً ، يحاول حفظ القرآن إلا يسره الله له ، وسهل حفظه عليه ، فسبحان من أنزل هذا الكتاب وجعله بين عباده سهلا ميسورا .

وليس هذا هو آخر المطاف فى الأدلة على حقية القرآن من القرآن بل هناك الكثير والكثير ، مما تركناه اكتفاءا بالجزء عن الكل وبالقل عن الكثر ، وبالغيض عن الفيض ، مخافة التطويل وبغية التسهيل .

---

(١) مريم ٩٧ (٢) الدخان ٥٨ (٣) القمر ٣٢

الأدلة من غير القرآن على حجية القرآن وثبوته

قلنا في بداية هذا الفصل إن من الأدلة على ثبوت القرآن وحقيقته ما ضمه الكتاب العزيز بين طياته ، ومنها ما نشأ من بحث الباحثين في القرآن .

وقد ذكرنا القسم الأول من هذين القسمين :

وأما القسم الثاني : وهو الأدلة على ثبوت القرآن من القرآن فإنه يتناول أموراً كثيرة نذكر منها ما يلي :

الدليل الأول :

إن الباحث في القرآن الكريم يجد أن ما تضمنه من بيان أي شيء ترغيبا كان أو ترهيباً ، رأفة كان أو عتاباً ، يكون غاية في الاعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهذا شيء لا يوجد في كلام الناس ، لأن أيا منهم لا يتكلم في بيان حال ما إلا بما يناسب هذه الحال ، فلا يلاحظ في العتاب أحوال القابلين للرأفة وبالعكس ، ولا يلاحظ عند ذكر الدنيا حال الآخرة وبالعكس ، ويقول في الغضب من الكلام ما يزيد عن حجم الخطأ الذي أغضبه وهكذا لا يستطيع الإنسان أن يكون معتدلا في كلامه حول ما يريد بيانه ، بخلاف القرآن فإنه لما كان من عند الله جاء حديثا معتدلا في كل شيء لا يطغى عند الغضب ولا يفرط عند الرأفة ، بل هو ميزان عدل في كل الأمور .

الدليل الثاني :

إن الذين يسمعون القرآن يجدون لسماعه خشية في قلوبهم وأسماعهم

لا يجدونها عند سماع أى كلام غيره ، وكذلك الذين يقرءون القرآن يجدون لقراءته هيبة لا يجدونها عند قراءة أى كتاب سواه .

وليست هذه الخشية قاصرة على الأنبياء من الناس بل تعترى كل من ينصت إلى القرآن أو يقرءوه بتدبر وروية ، مسلما كان أو غير مسلم

ويدل لذلك ما روى من أن نساء المشركين كن يبكين عند ما يسمعن أبا بكر وهو يتلوا القرآن ، وما روى من أن المشركين كانوا يأتون الواحد تلو الآخر فى الليل خلسة إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يتسمعون القرآن إعجابا به ، وإعظاما له ، وقد لام بعضهم بعضا فى ذلك وتواعدوا على عدم فعله مرة أخرى ، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا .

وما روى أيضاً من أن عمر بن الخطاب وهو فى أوج عنفه على أخته وزوجها لإسلامهما قد أصابت قلبه هيبة عظيمة وخشية شديدة عندما تليت عليه الآيات الأولى من سورة ﴿ طه ﴾ ، فما كان منه إلا أن أذعن لذلك البيان الرائع وخشع له قلبه فخرج من بيت أخته ليعلن إسلامه ، وخضوعه لله بعد ما كان غاية فى الكيد والتجبر على الإسلام وأهله ، ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما روى كذلك من أن جعفر الطيار رضى الله عنه لما قرأ القرآن على النجاشى وأصحابه ظلوا يبكون حتى فرغ رضى الله عنه من القراءة ، وأن النجاشى أرسل سبعين عالما من علماء المسيحية إلى رسول الله صلى الله عليه فقرأ عليهم سورة ﴿ يس ﴾ فبكوا وآمنوا ، فنزل فى حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول

ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين(١)﴾.

وقد سمعنا أشخاصاً من المسيحيين يبدون إعجابهم وتأثرهم الشديد عند استماعهم لسورة مريم ، حتى إن أحدهم قال لنا إنى أجد لهذا الكلام فى قلبى حلاوة تجذبنى إلى الإسلام .

فلوا أن هذا الكلام من عند غير الله ما ترك فى قلوب مستمعيه على اختلاف أجناسهم وعقائدهم وأفهامهم ، ذلك الأثر البليغ وصدق الله حيث يقول ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله(١) ﴾

الدليل الثالث :

ما اتسم به القرآن من الجمع بين الدليل ومدلوله ، فالقارىء له إذا كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معا فى كلام واحد باعتبار منطوقه ومفهومه ، لأنه ببلاغة الكلام يستدل على الإعجاز ، وبالمعانى يوقف على أمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده .

الدليل الرابع :

ما اشتمل عليه القرآن من أخبار عن أحداث تحققت على الوجه الذى أخبر عنها به .

الوعد بدخول المؤمنين المسجد الحرام :

كقوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين

---

(١) المائدة ٨٣

(٢) الحشر ٢١

رؤوسكم ومقصرين لا تخافون (١) ﴾ .

فقد وقع كما أخبر ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين .

وعد المؤمنين بالتأمين والتمكين والسلطان :

وكقوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً (٢) ﴾ .

وقد أنجز الله فى أمد قليل وعده ففتح على يد المسلمين خلال ثلاثين سنة أو يزيد قليلا من عهد النبى إلى آخر عهد ذى النورين عثمان رضى الله عنه معظم الممالك من أقصى الأندلس والقيروان غربا ، إلى حدود الصين شرقا ، واستخلف المسلمين على هذه الرقعة الواسعة من الدنيا ، وأخضع لهم أهلها وملوكها ، فكانوا عن الإسلام ذادة وعلى أعدائه سادة ، وجعل دينه الذى ارتضاه لعباده غالباً على سائر المعتقدات والأديان ، وأبدل خوف أهل الإيمان أمنا ، فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان ، ومن بلد إلى بلد ، يطلبون العلم وينشرون دين الله ويعبدون ربهم دون ما خوف ولا وجل .

وعد الرسول بحفظه من الطغاة الآثمين وكفايته شر المستهزئين :

وكقوله تعالى لنبيه ﴿ والله يعصمك من الناس (٣) ﴾ فقد وقع كما

---

(١) الفتح ٢٧ (٢) النور ٥٥ (٣) المائدة ٦٧

أخبر مع كثرة من قصدوا ضرره فعصمه الله تعالى حتى انتقل من الدار الدنيا ، إلى منازل الحسنى فى الدار الآخرة .

وكقوله سبحانه لنبيه أيضاً ﴿ إنا كفيناك المستهزئين(١) ﴾ فيروى أنه لما نزلت هذه الآية بشر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله كفاه شر المستهزئين به وأذاهم ، وكانوا نفراً يؤذونه ويصدون الناس عنه.

قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية : قيل كانوا خمسة من أشراف قريش : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، وعدى بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب يبالغون فى إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقاً فى عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات ، وأشار إلى أنف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ، وإلى عينى الأسود ابن المطلب فعمى ا . هـ(٢) .

تبشير المؤمنين بالفتح والنصر :

وكقوله تعالى : ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾(٣) .

---

(١) الحجر ٦ ،(٢٩) تفسير البضاوى ط بيروت ص ٣٥١ (٣) الصف : ١٣

فقوله ﴿أخرى﴾ أي ولكم من الله نعمة أخرى .

وقوله ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ هو تفسير للأخرى أى ولكم نعمة أخرى هى نصر من الله وفتح قريب ، والمراد بالفتح القريب كما قال المفسرون هو فتح مكة .

وقيل فتح فارس والروم ، وقد تحقق هذا وذاك كما أخبر الله عز وجل - ومثل هذا قوله سبحانه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾ [1] .

إذ الصحيح الذى عليه أكثر العلماء أن تلك السورة نزلت قبل فتح مكة وقوله سبحانه فى أولها ﴿إذا﴾ يؤيد ذلك ويعضده لأن هذا اللفظ يقتضي الاستقبال ولا يطلق على ما وقع وانتهى ، والمراد بالفتح فتح مكة ، وقد حصل ذلك الفتح ودخل الناس فى الإسلام بعده أفواجا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ملأ من الناس مؤمنهم وكافرهم .

الوعد بهزيمة الغالب وانتصار المغلوب :

وكقوله تعالى : ﴿الم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [2] .

---

(١) النصر ١ ، ٢ (٢) الروم ١ : ٥

منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو فى أدنى أرضهم من العرب واللام بل من الإضافة .

وقد قالوا فى سبب نزول هـذه الآية لما انتصر الفرس على الروم وهم مجوس والروم نصارى ، وبلغ المكيين خبر انتصارهم ففرحوا فرحا عظيما ، وقالوا للمسلمين أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن وفارس أميون لا كتاب لنا .

وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ، ولنظهرن عليكم . . نزلت هذه الآيات مبشرة للمسلمين بانتصار الروم على الفرس فى بضع سنين ، وقد روى أن أبا بكر قال حينما نزلت تلك الآيات « لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين » فقال (أبى بن خلف) كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا ، فراهنه على عشر قلائص[1] من كل واحد منهما ، وجعلا الأجل ثلاث سنين ، فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده فى الإبل ومادِده فى الأجل ، فجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين ، ومات أبى بعد ما رجع من أحد ، وظهرت الروم على فارس فى السنة السابعة من مغلوبيتهم فأخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم تصدق بها .

احوال اهل الكتاب :

وكقوله تعالى ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم

(١) القلائص جمع قلوص وهو من النوق الشابة الجيدة .

المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[١] .

فى هذه الآيات نلمح حشدا من الأخبار بالمغيبات التى تحققت كلها فى عصر صدر الإسلام ويتحقق منها للمسلمين فى كل عصر بقدر ما هم عليه من اتباع منهج الله الذى رسمه لهم .

الحكم بإيمان القلة وكفر الكثرة من أهل الكتاب :

من هذه الأخبار ما ذكره الله — تعالى — عن أهل الكتاب فى قوله ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ فإن معناه كما قال المفسرون[٢] أن القلة من أهل الكتاب هم الذين يختارون الإيمان على الكفر . وأما الكثرة منهم فهم فاسقون أى خارجون عن الإيمان بما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وعما جاءهم به أنبياؤهم من الشرائع والأحكام ، إذ لو التزموا بدينهم الصحيح لوجدوا فيه ما يدفعهم إلى الإيمان ، بما جاء به خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

ولعل هذا هو السر فى وصفهم بالفسق بدل الكفر فى قوله

---

(١) آل عمران : ١١٠ : ١١٢

(٢) التفسير الوسيط سورة آل عمران للدكتور محمد سيد طنطاوى ط مطبعة السعادة ص ٢٨٣

وأكثرهم الفاسقون ، والمتتبع لهذا الخبر الإلهى يجد أنه لم يتغير على مر الزمان ، فالذين أسلموا فى العصر الأول من أهل الكتاب قلة ، كعبد الله بن سلام وغيره .

وهكذا فى كل العصور لا يدخل فى الإسلام من أهل الكتاب إلا القلة ، وتبقى الكثرة منهم على حالها من الكفر والفسوق والعصيان .

بشارات من الله للمؤمنين :

ومنها قوله تعالى عن تلك الكثرة الفاسقة من أهل الكتاب ﴿ لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ .

فقد بشر الله — تعالى — عباده المؤمنين فى هذه الآية بثلاث بشارات:

إحداها : أن الفاسقين من أهل الكتاب لن يضروا المؤمنين إلا ضرراً يسيراً كالأذى باللسان ، وإلقاء الشبه بينهم لتشكيك ضعفاء الإيمان وصدهم عن اتباع منهج القرآن ، وفى تلك البشارة من التثبيت للمؤمنين والطمأنينة لقلوبهم ما فيها ، إذ الضرر الذى يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين:

أولهما : ضرر يؤدى إلى هدم كيان الأمة ، وإضعاف قوتها ، وإهدار كرامتها ، وجعل أمورها فى أيدى أعدائها تصرفها كيف تشاء .

ثانيهما : ضرر يؤثر فى كيان الأمة ، ولا يؤدي إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول ، أو محاولة التأثير فى ضعاف الإيمان .

وقد نفى — سبحانه — أن يلحق المؤمنين ضرر يأتى على كيانهم من أهل الكتاب نفياً مؤبداً بإيقاع الفعل فى حيز النفى بلن التى تفيد التأبيد مشيراً بذلك إلى أن الضرر البليغ من أهل الكتاب لا يقع على الأمة الاسلامية فيما يستقبل من الزمان ، ولكن نفى هذا النوع من الضرر بتلك السكينية التى ذكرها الله — سبحانه — مشروط بمحافظة الأمة الإسلامية على الأصلين الواردين فى قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1] .

فإذا أرادت أمة الإسلام ألا تصاب من جهة أهل الكتاب بما يأتى على كيانها ، فعليها أن تخلص العبادة لربها ، وأن تعمل بسنة نبيها ، وأن تتقيد بأحكام كتابها ، وأن تباشر الأسباب التى شرعها خالقها للنصر على أعدائها .

أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله — تعالى — به وتجاوزت ما نهاها عنه ، فإنها فى هذه الحال قد تصاب من أعدائها بما يؤثر فى كيانها ، وتكون الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه .

والمتتبع لمدى تحقق هذه البشارة يجد أنها قد تحققت تحقيقاً تاماً للمسلمين فى العصر الأول ، فلما نسى المسلمون بعد ذلك ما ذكروا به سلط الله عليهم من أعدائهم من آذوهم أشد الأذى وأعنفه ، وأضروهم أبلغ الضرر وأعظمه ، ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ .

---

(١) آل عمران ١١٠ .

وثانيتها وثالثتها :

أنه إذا وقعت حرب بين المؤمنين وبين أهل الكتاب كانت عاقبتها للمؤمنين دائماً ، وأن أهل الكتاب لا تقوم لهم قائمة بعد هزيمتهم من المؤمنين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ فتولية الأدبار الواردة في الآية كناية عن الهزيمة ، لأن المنهزم عادة يحول ظهره إلى جهة هازمه بحثا عن ملجأ يأويه ، وهربا إلى منجا ينجيه .

وفي التعبير عن الهزيمة بتولية الأدبار إشارة إلى شدة جبنهم وفرط هلعهم عند مباشرة القتال .

وقوله : ﴿ثم لا ينصرون﴾ هكذا بصيغة الإخبار ، لا بصيغة الشرط وبثم الدالة على التراخي بيان لأن الحكم عليهم بعدم الانتصار أعظم وأشد من الحكم عليهم بالهزيمة والخذلان ، ولأنهم لا ينتصرون على المسلمين لا في القتال ولا في غيره .

واحتراس عن تولية الأدبار التي تكون تحرفا لقتال ، أو تحيزاً إلى فئة أو تأملا لأمر أو إعداد لخطة تحتاج إلى إعداد .

وقد تحققت هاتان البشارتان المسلمين الأوائل فنصرهم الله على أعدائهم من اليهود والنصارى كما وقع ليهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وأهل خيبر وجموع الروم من النصارى في الشام ومصر على قلة المسلمين في العدد والعدة وكثرة أعدائهم عددا وعتاداً .

كان هذا النصر المؤزر للمسلمين على أعدائهم حين كانوا مستمسكين بتعاليم دينهم ، معتصمين بحبل الله القوى المتين ، فلما انحرفوا عن

الجادة ، وانخرطوا فى سلك الشيطان ، وانسلخوا عن منهج القرآن ، كانوا وأعداءهم سواء يغلب الأقوى منهم الأضعف ، ويذل الأغنى منهم الأفقر ؛ إذ قد زال عنهم نصر الله الذى أوجبه على نفسه لعباده فى قوله سبحانه ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ورفع عنهم عزه الذى كانوا به يعزون فان غلبوا أعداءهم فى هذه الأيام فيما أوتوا من قوة واردة إليهم من الغرب أو الشرق ، ومؤازرة من هنا أو هناك لا بنصر الله لهم ، ولا بعزه لسلطانهم ، وإن غلبهم أعداؤهم فبما لهم من قوة وبأس ، وبما عندهم من علم كانوا غالبين . فالمسلمون الآن لا ينتصرون بالله ولكن بالشرق أو الغرب ينتصرون ، ولا يعتزون بالله ولكن بالشرق والغرب يعتزون وهيهات ... هيهات أن ينصر كافر مؤمنا ، وأن يعز شيوعى ملحد أو كتابى متعصب ، مسلما موحدا .

لذا كان من غير المستنكر أن يهزم اليهود رغم جبنهم وحرصهم على الحياة ، المسلمين هزائم منكرة فى عقر دارهم أكثر من مرة خلال ثلاثين عاما ، وأن يسيطر النصارى من الفرنسيين والانجليز وغيرهم على بلاد المسلمين آماداً طويلة من الزمان ، ولا يقدح شىء من هذا كله فى وعد الله الذى قطعه على نفسه بهزيمة أهل الكتاب أمام المسلمين ، وعدم نصرهم لا فى قتال ولا فى غيره ، إذ المراد بالمؤمنين الذين يحقق الله لهم هذا الوعد هم من التزموا بكل ما جاء فى دين الله وشرعه ، واعتصموا فى كل أحوالهم بحول الله وطوله وخافوا الله فى السر والعلن وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر غير خائفين من بطش سلطان ، ولا محابين فيما يقولونه أو يفعلونه إنسان .

عقوبات اليهود

ومن تلك الأخبار قوله تعالى فى اليهود ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ﴾ فقد أخبر سبحانه فى هذه الآية بأنه عاقب اليهود على كفرهم وجحودهم بثلاث عقوبات فى الدنيا فوق ما أعده لهم من النكال فى الآخرة .

العقوبة الاولى

أن الله تعالى قد أحاط اليهود وألزمهم بالذل والصغار أينما وجدوا وظفر بهم فهو لاحق بهم ملازم لهم حيثما كانوا وكيفما وجدوا تكونت لهم دولة أم لا ، ملكوا من السلاح أضخمه وأقواه وأحدثه أم لا ، جمعوا من المال أكثره وأنفسه أم لا ، هم فى كل الأحوال أذلاء صاغرون وإن يروا فى أعين الناس أعزاء مسيطرين ، لأن ما ضرب عليهم من الذل قد جعل خلقا لهم وطبيعة فيهم لا ينفك عنهم والمتتبع مادة ذل من الناحية اللغوية يجد أنها تدور حول معنى واحد هو اللين ، فصاحب هذا الخلق الخبيث يكون لينا ينفعل لكل فاعل ، ولا يأبى ضيم ضائم ، لكن هذا الخلق الذى يهون على النفس قبول أى شىء لا يظهر أثره غالبا على ذات صاحبه قولا وفعلا إلا عند الإحساس بالقهر والاستذلال

أما فى غير هذه الحال فكثيرا ما يظهر الأذلاء فى ثياب الأعزاء ، يفاخرون من لا يخشون سطوته من الكبراء .

ولا يوجد هذا الإحساس بالعزة لدى اليهود إلا فى حال اعتصامهم بحبل من الله ، وهو عقد الجزية الذى يربط بينهم وبين المسلمين ، وكان عقد الجزية عهدا من الله لهم لأنه سبحانه هو الذى شرعه وما شرعه الله وجب الوفاء به .

فإذا اعتصم اليهود بهذا الحبل ودفعوا ما عليهم من الجزية كغيرهم من أهل الكتاب كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم يعيشون بينهم فى طمأنينة وأمان لا يشعرون بذلة ولا يمنعون من إقامة الشعائر وأداء العبادات . أو فى حال اعتصامهم بحبل من الناس وهو العهد الذى تلتزم لهم به دولة أو دول من الشرق ، أو الغرب ، فيعيشون بمقتضى هذا العهد تحت كنف تلك الدولة ورعايتها آمنين أعزاء أقوياء قاهرين كما هو الآن حادث فاذا نقض هذا العهد عادوا إلى ماهم عليه من الذل المهين .

العقوبة الثانية

إن الله تعالى ضرب عليهم المسكنة وهى ما يظهر على ذات الذليل من الاستخزاء والاستكانة ، ، والخشوع والخضوع فى القول والفعل عند الشعور بالقهر والغلبة ، وقد وقع هذا لليهود قديما وحديثا فكلما شعروا بهزيمة أو طاف بذهنهم خيال يد قوية تمتد إليهم خضعوا وخشعوا واستكانوا ، ومن أكبر الأدلة على هذا ما حدث منهم عند ما هزمهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الاستسلام والخضوع ، وعندما هزمهم العرب فى عام ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية ، فقد كانوا يبدون من الذل والذعر والهلع والمسكنة ما ينم عن أصالة هذا الخلق

الخبيث فيهم ، وعراقتهم فى الجبن والاستخزاء ، ولا سيما عند ما كانوا يلتقون بمحاربيهم وجها لوجه محققين قول الله عنهم : ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون[1] ﴾ .

العقوبة الثالثة :

انهم قد باءوا بغضب من الله أى أن آخر شوطهم ومنتهى سعيهم أن يبوئوا فى آخر المطاف بغضب الله وسخطه وكفى بهم إثما أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

ولا ريب أن الله تعالى لم يعاقبهم بهذه العقوبات إلا لما جبلوا عليه من ذميم الخصال وقبيح الفعال قديما وحديثا ، فلا يغرنك مايتظاهرون به من دماثة الخلق ، ورقة الطبع ، وحلاوة الحديث ، وحسن المعاشرة والمجاملات المعسولة لأنهم يخفون وراء هذا كله الغيظ المنيف ، والحقد الدفين للعرب والمسلمين .

هذه جملة من الآيات القرآنيــة التى حملت فى طياتها أخباراً عن أمور غيبية تبين للمسلمين تحققها كلها على الوجه الذي أخبر به القرآن دون ما زيادة أو نقصان ، أفلا يدل هذا على أن القرآن حق لا ريب فيه ، وأن مايخبر به صدق لا كذب فيه ، ولا خلف له ، وأنه ما كان كذلك إلا لكونه منزلا من حكيم حميد ؟ .

---

(١) الحشر : ١٤ .

الدليل الخامس :

ما جاء فى القرآن من ذكر لأخبار القرون الخالية والأمم الماضية التى كانت قبل التاريخ وبعده يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب هو كلام الله حقا لأمرين :

أحدهما :

أن الذى نقل هذا الكلام إلينا كان أميـــا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وكان دائم الإقامة مع قومه الأميين لا يغيب عنهم حتى يقال إنه تعلم فى غيبته تلك من عرفاء التاريخ مشافهة هذه الأخبار ... فكيف يتأتى له أن يدلى بهذا الحديث المستفيض المتقن عن أصل البشر وبدايته ، ونوح وطوفانه ، وهود وأخباره مع قومه ، وصالح ومعاملة قومه له ، وما كان من موسى مع بنى إسرائيل قبل التيه وبعده ، وأخبار عيسى عليه السلام ومريم أمه منذ كانت فى بطن أمها ، كيف يتأتى له الحديث عن ذلك كله وأكثر منه ؟ وهو الذى لم يقرأ كتب الأولين ، ولم يلقن من البشر شيئا عن هذه الأخبار الموغلة فى القدم ، مما حمل العرب الذين كانوا معه أن ينسبوا علمه هذا إلى رجل رومى ، لأنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا تعلمه من عربى مثله ، ونسوا أنه لا يجيد لغة أخرى غير لغتهم ، الأمر الذى أفحمهم به القرآن حين قال لهم :

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ [1]

---

(١) النحل ١٠٣

ثانيهما :

أن علماء التاريخ فى بقاع الأرض يعلنون من حين لآخر نتائج بحوثهم الجادة المضنية حول بعض الموضوعات التى سجل القرآن شيئا عنها ، فاذا نتائج هذه البحوث تخرج على وفق ما ذكر القرآن مما يضطر الباحثين غير المتعصبين إلى الإذعان بحقية القرآن ، وبكونه من عند الله عز وجل لا من عند غيره كما في قوله تعالى عن فرعون موسى بعد ما اقتحم البحر مع جنده خلف بنى إسرائيل ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ (١)

فان هذه الآية قد ظلت محل بحث الباحثين من المسلمين وغيرهم ، وتشكيك المشككين فى القرآن من أعدائه بحجة أن التوراة قد ذكرت فى هذا الصدد ما نصه :

﴿ فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر . لم يبق منهم ولا واحد ﴾ (٢)

فهذا يعنى أن فرعون موسى قد غرق فى البحر مع الغارقين ، وهذا هو الذى يطابق الواقع ، إذ لا وجود لجسد هذا الفرعون كغيره من فراعنة مصر الآخرين الذين حنطت أجسادهم لتبقى خالدة على مر السنين وعليه فالواقع لا يصدق القرآن ؟ الذى ذكر أن الله قد نجى فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه عبرة .

ظلوا يشككون بمثل هذه الشبهات حتى فجأتهم الحقيقة على يد علماء الآثار والحفريات الذين اكتشفوا مومياء فرعون موسى فى إحدى حفائرهم

---

(١) يونس ٩٢

(٢) العهد القديم ط عشر سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر فقرة ٢٨ ص ١١٠ ، ١١١

الأثرية ، لتكون شاهدا على صدق قول الله وكذب ماعداه[1] .

وعلى هذا فقس كل ما خالف فيه القرآن كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها ، مما سنعرض له بالتفصيل الموسع فيما سيأتى من فصول هذا الكتاب إن شاء الله .

الدليل السادس :

مافيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون فى السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالا فحالا ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل ، فما كانوا يجدون فى كل ذلك إلا الصدق ، وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضمائرهم .

الدليل السابع :

مما يدل على حقية القرآن وكونه منزلا من عند الله براءته من الاختلاف والتفاوت رغم كبر حجمه ، وسعة ما اشتمل عليه من المعارف والعلوم .

قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا[2] ﴾ .

وما زعمه أعداء القرآن من وقوع التناقض فيه ، فهو لون من ألوان التزيد على كتاب الله والقول بالهوى والشهوة ، لا بالمنطق والحجة .

---

(١) انظر ماجاء عن ذلك مفصلا فى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى طبعة ونشر دار المعارف ص ٢٦٧ ، ٢٧١ .

(٢) النساء ٨٢ .

لأن الباحث المتعمق فى القرآن لا يجد فيه تعارضا ولا تناقضا وصدق الله حيث يقول ﴿قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما[١]﴾ .

الدليل الثامن :

مر على نزول القرآن أربعة عشر قرنا من الزمان ، وهو كما هو منذ أنزله الله شامخ لم يطاول قوى لم يستطع أحد تحديه ، ثابت لم يتمكن أحد من تغيير حرف فيه ، رغم كثرة المعاندين له من العرب أرباب الفصاحة والبلاغة وغيرهم ، فأي كتاب يبقى هذا القدر من الزمان دون ما زيادة فيه أو نقصان ؟ .

وأى كتاب يبقى كل هذا الوقت دون أن يستطيع إنسان ما أن يجد فيه ثغرة واحدة تشير إلى خلل فيه ، إن ذلك لا يكون إلا لكتاب أنزله الله وتولى حفظه ، وصدق الله حيث يقول ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

الدليل التاسع :

ومما يدل على أن القرآن كتاب الله حقاً هو ذلك القدر الهائل الذى يشتمل عليه من العلوم والمعارف جزئية كانت أو كلية ، دينية كانت أو دنيوية ، عملية كانت أو غير عملية .

علوم شتى ليس للعرب عامة عهد بها ولا لرسول الله صلى الله عليه

(١) الفرقان ٦

وسلم خاصة دراية بها وصدق الله حيث يقول ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم[١] ﴾ .

ويقول سبحانه ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون[٢] ﴾ .

الدليل العاشر :

أن أى كتاب فى الدنيا يسأمه قارؤه إذا كرر قراءته مرات متتابعة إلا القرآن ، فإنه لا يخلق على كثرة الرد ، ولا يمل منه قارؤه مهما كرر قراءته ما دام ذا قلب سليم وطبع مستقيم ، فلو كان من عند غير الله لسئمه قراؤه كبقية كتب الناس ، ولكنه لما كان من عند الله كانت له تلك الخصيصة التى امتاز بها عن سائر كلام البشر .

وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا

كل هذا وغيره يؤكد حقية القرآن وثبوته وكونه منزلا من عند الله محفوظاً من التحريف والتبديل ، ويحمل طلاب الحق على الإيمان به والعمل بكل ما جاء فيه ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً[٣] ﴾ .

---

(١) الشورى ٥٢ (٢) الأنعام ٣٨ (٣) النساء ١٧٤

الفصل الثانى

شبهات الكتابيين حول القرآن وردها

رغم ما يضمه الكتاب العزيز بين طياته من أدلة ثبوته وكماله ورغم ما يظهر للباحثين المنصفين فى ذلك الكتاب من آيات صدقه وإعجازه ، فإن المكابرين والمتعصبين من أهل الكتاب راحوا يتصيدون للقرآن شبها يشككون بها فيه ، ويتلمسون بها ثغرات يطعنون من خلالها فى معانيه وهيهات ... هيهات أن يطفىء نفخ الأفواه نور الشمس المبين ، أو أن يحطم نطح الأوعال بناء الصخر المتين .

من هذه المفتريات ما يأتى :

الشبهة الأولى :

أعلن القرآن أنه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومع ذلك فإنه يخالف أسفار العهد القديم والجديد فى مواضع شتى فلا يكون إذن كلام الله ... إذ كيف يصدق ما سبقه من الكتب السماوية ويخالفها فى كثير من الأمور .

دفع هذه الشبهة :

ورداً على هذا نقول لا تضرنا مخالفة القرآن لتلك الأسفار فى مواضع مختلفة ، لأنه لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنفيها من ناحية ولم يثبت أن كل سفر منها إلهامى من ناحية أخرى ، بل ثبت أنها

مختلفة اختلافا معنويا فى مواضع كثيرة ، ومملوءة بالأغلاط البينة يقينا ومحرفة بأيدى العابثين والمضللين فى أمور مختلفه .

الاختلاف فى العهدين القديم والجديد :

فأما الاختلاف فقد وقع فى مواضع كثيرة من أسفار العهدين .

التدليل من نصوص التوراة على وقوع الاختلاف فيها :

فما فى التوراة من هذا الاختلاف ما يأتى :

١ — الفقرة التاسعة من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى هكذا « وأتى يوآب بعدد وحساب الشعب للملك وكان عدد بنى إسرائيل ثمانمائة ألف رجل بطل ، يضرب بالسيف ورجال يهوذا عدتهم خمسمائة ألف رجل مقاتلة » .

والفقرة الخامسة من الإصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا : « ودفع احصاء القوم إلى داود وكان عدد بنى إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل جاذب سيف ، ويهوذا أربعمائة ألف وسبعون ألف رجل مقاتلة » فبينهما اختلاف فى عدد بنى إسرائيل بمقدار ثلثمائة ألف وفى عدد يهوذا بقدر ثلاثين ألفا .

٢ — الفقرة الثالثة عشر من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى هكذا : « وأتى جاد إلى داود وأخبره قائلا : إما أن يكون سبع سنين جوعا لك فى أرضك » ألخ ، وفى الفقرة الثانية عشرة من الإصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا « أما ثلاث سنين جوع » الخ : ففى الأول سبع سنين ، وفى الثانى ثلاث

سنين ، وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط .

٣ — الفقرة السادسة والعشرون من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى هكذا « وكان قد أتى على أخزيا اثنان وعشرون سنة إذ ملك » الخ ، والفقرة الثانية من الإصحاح الثانى والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام هكذا « ابن اثنين وأربعين سنة كان أخزيا » الخ ، فبينهما اختلاف ، والثانى غلط يقينا كما أقر به مفسروهم وكيف لا يكون غلطاً وإن أباه « يهورام » حين موته كان ابن أربعين سنة وجلس هو على سرير السلطنة بعد موت أبيه متصلا كما يظهر من الإصحاح السابق ؟ فلو لم يكن غلطاً للزم أن يكون أكبر من أبيه بسنين .

٤ — الفقره الثامنة من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى هكذا « وكان يهوياكين يوم ملك ابن ثمانى عشرة سنة » الخ والفقرة التاسعة من الإصحاح السادس والثلاثين من أخبار الأيام هكذا : « ابن ثمانى سنين كان يهوياكين » حين ملك الخ فبينهما اختلاف، والثانى غلط يقينا ، كما أقر مفسروهم .

التدليل من نصوص الأناجيل على وقوع الإختلاف فيها :

ومما فى الإنجيل من هذا الإختلاف مايلى :

١ — فحوى مافى الإصحاح الرابع من إنجيل مرقس يفيد أن المسيح أمر الجماعة بالذهاب ، وحدث التموج والهيجان فى البحر بعد وعظ الأمثال ، وما فى الإصحاح الثامن من إنجيل متى يفيد أن أمر المسيح

للجماعة بالذهاب وحدوث التموج والهيجان فى البحر كان بعد وعظ الجبل لابعد وعظ الأمثال .

وقد كتب متى وعظ الأمثال هذا فى الإصحاح الثالث عشر فهو متأخر فى الحالين السالفين تأخراً كثيراً ، لأن بين وعظ الجبل ووعظ الأمثال مدة طويلة فلاشك إذن أن أحدهما خطأ ، إذ التقديم والتأخير فى تأريخ الوقائع ، وتوقيت الحوادث من الذين يدعون أنهم يكتبون بالإلهام ، أو يدعى لهم ذلك بمنزلة المناقضة .

٢ — ذكر مرقس فى الإصحاح الحادى عشر أن مباحثة اليهود والمسيح كانت فى اليوم الثالث من وصوله إلى أورشليم ، وكتب متى فى الاصحاح الحادى والعشرين أنها كانت فى اليوم الثانى فأحدهما غلط .

٣ — فى الإصحاح الثامن من إنجيل متى مايفيد أن عيسى عليه السلام قد أبرأ الأبرص بعد موعظة الجبل وقبل دخوله كفر ناحوم فلما دخله شفى العبد قائد المائة ، وفى الإصحاح الرابع من إنجيل لوقا مايفيد أنه دخل كفر ناحوم وشفى العبد السالف الذكر ومرضى آخرين بعد مالقى كثيراً من الناس بالناصرة داخل المجمع ولم يكن قد شفى أحداً فى تلك الفترة ، فهذان البيانان من متى ولوقا مختلفان وأحدهما غلط يقيناً .

٤ — من قابل ما كتبه متى عن نسب عيسى عليه السلام بما كتبه لوقا عن ذلك النسب يجد مايأتى :

(ا) يوسف عند متى هو ابن يعقوب وعند لوقا هو ابن هالى .

(ب) عيسى عند متى هو من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ، وعند لوقا هو من أولاد ناثان داود .

(ج) جميع آباء المسيح عند متى من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون وهم عند لوقا ليسوا كذلك إلا داود وناثان .

(د) شألتئيل عند متى هو ابن يكنيا وعند لوقا هو ابن نيرى .

(ه) من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا على ما بينه متى ، وواحد وأربعون جيلا على ما بينه لوقا .

وقد أوقعت هذه الاختلافات البينة مفسرى الكتاب المقدس فى الحيرة الشديدة إلى حد أن بعضهم ترك حل ذلك الخلاف للزمن الذى سيأتى بعد ذلك .

إلى آخر تلك الاختلافات الكثيرة التى وضع الباحثون أيديهم عليها فى التوراة والإنجيل ولم يجد مفسرو الكتاب المقدس بدأ من أن يعترفوا ببعضها لعدم إمكانهم تأويله بما يزيل عنه الاختلاف .

الأخطاء فى العهدين القديم والجديد :

وأما ما وقع فى أسفار العهدين من الأخطاء والأغلاط فهو كثير أيضاً .

التدليل من نصوص التوراة على وقوع الأخطاء فيها :

من تلك الأخطاء فى التوراة ما يأتى :

١ — فى الفقرة الرابعة من الإصحاح الثالث من السفر الثانى من أخبار الأيام ما نصه :

« والرواق الذى قدام الطول حسب عرض البيت عشرون ذراعا ،

وارتفاعه مائة وعشرون » وهذا خطأ لأن ارتفاع البيت الذى بنى أمامه الرواق كان ثلاثين ذراعا كما جاء فى الفقرة الثانية من الإصحاح السادس من سفر الملوك الأول ، فمن غير المعقول أن يكون ارتفاع البيت ثلاثين ذراعا ، وارتفاع الرواق الذى أمامه مائة وعشرين ذراعا ، ولعل هذا هو الذى حمل آدم كلارك أحد مفسرى الكتاب المقدس على الاعتراف الصريح فى تفسيره بأن هذا غلط .

٢ — فى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الأيام ما نصه :

« وابتدأ أبيا فى الحرب بجيش من جبابرة القتال أربعمائة ألف رجل مختار ويربعام اصطف لمحاربته بثمانمائة ألف رجل مختار جبابرة بأس » .

وفى الفقرة السابعة عشر من هذا الإصحاح هكذا .

« وضربها وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من بنى إسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار » .

فالأعداد الواردة فى الفقرتين السالفتين غلط . وقد أقر مفسروهم بذلك وحاولوا إصلاح هذا النص فبدل بعضهم لفظ الأربعمائة ألف بأربعين ألف ، والثمانمائة ألف بثمانين ألف والخمسمائة ألف بخمسين ألفا حتى يخرج الكلام من دائرة الخيال المبالغ فيه إلى ما يقارب الواقع المعقول .

٣ — فى الفقرة الثامنة من الإصحاح السابع من سفر أشعيا ما نصه :

« لأن رأس آرام دمشق ، ورأس دمشق رصين وفى مدة خمس

وستين سنة ينكسر أفرايم حتى لا يكون شعباً » فالحكم على أفرايم بالإنكسار فى مدة خمس وستين سنة غلط يقينا لأن ماصرح به الإصحاح السابع عشر ، والثامن عشر من سفر الملوك الثانى يفيد أن فناء أفرايم كان فى إحدى وعشرين سنة لا فى خمس وستين كما جاء فى هذا النص . لأن سلطان أشور تسلط على أفرايم فى السنة السادسة من جلوس حزقيا ، فدل هذا على أن ما فى سفر الملوك هو الصواب ، وما فى سفر أشعيا هو الخطأ البين الذى لا شك فيه .

٤ — فى الفقرة السابعة عشرة من الإصحاح الثانى من سفر التكوين ما نصه :

« وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » فالحكم الوارد فى هذا النص بموت آدم عقب الأكل من الشجرة أكثر من تسعمائة عام على ما ذكره كتاب مواليد آدم فى الإصحاح الخامس من سفر التكوين أيضاً .

وليست هذه الأخطاء هى كل ما حوت التوراة من أغلاط بل هناك أخطاء كثيرة أعرضنا عن ذكرها بغية الاختصار .

التدليل من نصوص الأناجيل على وقوع الأخطاء فيها :

ومن الأخطاء الواقعة فى الأناجيل ما يلى :

١ — فى الفقرة السابعة عشرة من الإصحاح الأول من إنجيل متى ما نصه :

« فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبي بابل إلى المسيح اربعة عشر جيلا » .

ومن هذا النص يعلم أن بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاثة أقسام وكل قسم منها مشتمل على أربعة عشر جيلا ، وهو غلط صريح ، لأن القسم الأول يتم على داود ، وإذا كان داود عليه السلام داخلا فى هذا القسم يكون خارجا من القسم الثانى لا محالة ، ويبتدىء الثانى لا محالة من سليمان ويتم على يكنيا ، وإذا دخل يكنيا فى هذا القسم كان خارجا من القسم الثالث ، ويبتدى القسم الثالث من شألتئيل لا محالة ويتم على المسيح ، وفى هذا القسم لا يوجد إلا ثلاثة عشر جيلا .

٢ — كتب متى فى الفقرات الأربع الأول من الإصحاح الأول من إنجيله ما يفيد أن من يهوذا إلى سلمون سبعة أجيال ، ومن سلمون إلى داود خمسة أجيال وهذا غلط صراح لأن الزمن من يهوذا إلى سلمون قريب من ثلثمائة سنة ، ومن سلمون إلى داود أربعمائة سنة فلا يعقل بداهة أن يحوى زمن كهذا سبعة أجيال من الناس ، أو خمسة سيما وأن الغابرين كانت أعمارهم طويلة ، الأمر الذى جعل بعض دارسى الكتاب المقدس لا يصدق مثل هذا الكلام ولا يعبأ به .

إلى آخر ماوقع فى هذا الإنجيل من أغلاط بينة وأخطاء فاحشة تدل على أن هذه الكتب قد عبثت بها أيد كثيرة .

وقوع التحريف في التوراة

وأما التحريف فهو قسمان لفظى ومعنوى .

فأما المعنوى : فإن المسيحيين كلهم يسلمون صدوره عن اليهود فى العهد العتيق ، سيما فى الآيات التى هى إشارة فى زعمهم إلى المسيح ، والأحكام التى هى أبدية عند اليهود ، فهذا القسم من قسمى التحريف مسلم بوقوعه فى العهد القديم عند النصارى .

وأما التحريف اللفظى : فإنه يكون تارة بتبديل لفظ مكان لفظ أو جملة مكان جملة ، وتارة زيادة لفظ ، وتارة أخرى بنقصانه .

وقد وقع هذا النوع من التحريف بكل أحواله تلك فى التوراة .

التحريف بالتبديل

فما كان التحريف فيه بالتبديل قوله فى الفقرة السادسة من المزمور الأربعين فى التوراة ﴿ أذنىَّ فتحت ﴾ فإن بولس قد نقل هذه الجملة فى الآية الخامسة من الإصحاح العاشر فى رسالته إلى العبرانيين هكذا :

[ولكن هيأتَ لى جسدا] فجعل هيأت لى جسدا بدل جملة ﴿ أذنى فتحت ﴾ الأمر الذى حير علماء المسيحيين ، وجعلهم ينسبون التحريف تارة إلى التوراة ، وتارة إلى الإنجيل .

التحريف بالزيادة :

ومما كان التحريف فيه بالزيادة : قوله فى الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية (لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب

حتى الجيل العاشر . لايدخل منه أحد فى جماعة الرب) لأن هذ الحكم لا يمكن أن يكون من الله ولا مما كتبه موسى عليه السلام ، لأنه لو صح أنه من كلام موسى فسوف يفضى بالضرورة إلى التناقض البين ، إذ قد ثبت أن داود هو بطن عاشر من فارص كما يفهم من الإصحاح الأول من إنجيل متى ...

وفارص هذا ولد زنى كما يفهم من الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين ، فيلزم على كون تلك الفقرة التى معنا من مقول موسى عليه السلام ألا يكون داود داخلا فى جماعة الرب .

وهذا شىء لم يقل به أحد ، الأمر الذى اضطر بعض مفسرى الكتاب المقدس إلى القول بأن جملة « حتى الجيل العاشر » إلحاقية مزيدة وليست من كلام موسى عليه السلام .

التحريف بالنقص

ومما وقع التحريف فيه بالنقص قوله فى الفقرة الثانية والعشرين من الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين ﴿ وحدث إذا كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل وكان بنو يعقوب اثنى عشر ﴾

فإن اليهود يرون أن شيئا سقط من هذه الفقرة تتمه الترجمة اليونانية وهو « وكان قبيحا فى نظره » وذلك اعتراف منهم بسقوط بعض الجمل من التوراة أثناء تدوينها فضلا عن سقوط حرف أو حرفين .

فكيف لايخالف القرآن كتبا فيها من الاختلافات والأغلاط

والتحريفات مايجعلها غير قادرة على إعطاء الحقائق للناس ، ليبين الحق والصواب ، والحكم الفصل فى كل مايحتاج فيه الناس إلى القول الفصل . مقراً بأن أصل هذه الكتب كان من عند الله فعبث بها العابثون ، واقتحم جلال قدسها المقتحمون ، فزيفوا وضللوا حتى ظهر الحق المبين [1]

الشبهة الثانية :

فى القرآن مضامين قبيحة تدل على أنه ليس كلام الله . منها أن الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره ومنها أن فى الجنة أنهارا وأشجارا ، وحورا وقصورا ، وطعاما وشرابا ، إلى آخر أنواع النعيم الجسمانى الذى يستمتع الناس به فى الحياة الدنيا .

هذه شبهة من شبههم التى أثاروها حول القرآن بغية التشكيك فيه والطعن فى كونه منزلا من عند الله سبحانه .

رد هذه الشبهة :

ونحن إنصافا للحق نقول : إن الحكم على كون الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره بأنه من المضامين القبيحة التى صار القرآن باشتماله عليها غير منزل من عند الله كما زعموا ، هو حكم المتعصبين الجاهلين وإلا فإن ماقالوه عن القرآن لاشتماله على هذا الأمر كان ينبغى أن يقولوه عن التوراة والإنجيل لاشتمالها على نفس هذا الأمر أيضاً .

(١) أنظر ماجاء عن ذلك كله مفصلا فى كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر من ص ١٠٦ : ٢١٢ .

فقد جاء فيهما ما يفيد أن الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره .

من ذلك ما جاء من سفر الخروج من قوله فى الفقرة الحادية والعشرين من الإصحاح الرابع .

« وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك وأضعها قدام فرعون ولكن اشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب » .

وقوله فى الفقرة الثالثة من الإصحاح السابع من هذا السفر أيضاً « ولكنى أقسى قلب فرعون »

وقوله فى الفقرات ١ ، ٢٠ ، ٢٧ من الإصحاح العاشر من هذا السفر كذلك .

« ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون فانى أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكى أضع آياتى هذه بينهم »

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل »

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ أن يطلقهم »

وقوله فى الفقره العاشرة من الإصحاح الحادى عشر من نفس السفر السابق ذكره .

« وكان موسى وهارون يفعلان كل هذه العجائب أمام فرعون ، ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل من أرضه » .

وما جاء من قوله فى الفقرة الرابعة من الإصحاح التاسع والعشرين من سفر التثنية .

« ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم » .

وقوله فى الفقرة العاشرة من الإصحاح السادس من سفر أشعياء « أغلظ قلب هذا الشعب وأثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ولا يسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » .

وقوله فى الفقرة الثامنة من الإصحاح الحادى عشر من الرسالة الرومية « كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لا يبصروا وآذانا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم » .

وقوله فى الفقرة التاسعة والثلاثين من الإصحاح الثانى عشر من إنجيل يوحنا « لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن أشعياء قال أيضا قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » .

أفلا يدل هذا الكلام الواضح على أن الذى أضل فرعون وأغلظ قلبه وقلوب عبيده ، فلم يطلق بنى إسرائيل من أرضه إنما هو الله عز وجل ؟

وعلى أن الذى أعمى عيون بنى إسرائيل وأغلظ قلوبهم ، وأثقل آذانهم فلا يبصرون ولا يشعرون ولا يسمعون إنما هو الله سبحانه ؟

وهل يخرج هذا فى جملته عن قول الله — تعالى — ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾[1] .

---

(١) البقرة : ٧

فلم لم يحكموا إذن على التوراة والإنجيل ، وقد اشتملتا على أحد المضامين القبيحة فى رأيهم وهو كون الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره فيما حكموا به على القرآن ؟ أليس هذا هو الجهل والتعصب؟

وأما القول بأن حديث القرآن عن نعيم الجنة الجسمانى هو أحد المضامين القبيحة التى تدل على أن القرآن ليس كلام الله فهو افتراء محض لا يجرؤ عليه إلا من له تجارب طويلة مع الكذب والاختلاق لما يأتى:

أولا : إن الجنة شىء غيبى لم يسبق لأحد فى العالم قديمه وحديثه الاطلاع عليه ، فإذا ادعى أحد خلوها من النعيم الجسمانى فهى دعوى باطلة ما لم تتأيد بأدلة سمعية قوية .

إذ لا مدخل للعقل فى مثل هذه الأمور ، فكما أنه لا يتصور أن يصف أحد بيتا لم يدخله ولم يخبر خبره فإنه لا يتصور أن يصف أحد الجنة وهو لم يدخلها ولم يخبر خبرها ، وعليه فإن وصف الجنة والحكم على نعيمها بالمادية أو الروحية لا يتأتى إلا ممن خلقها وأبدع ما فيها وصوره أحسن تصوير ، ولا يقول المسلمون باللذة الجسدية فى الجنة فقط ، بل هم يؤمنون من خلال ما عرفوا فى كتابهم الكريم ، بأن فى الجنة نعيم الروح والجسد ، ونعيم الروح أعظم وأفضل ، قال الله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم[1] ﴾ .

(١) التوبة : ٧٢

فقوله ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ يدل على أن رضوان الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره في الآية قبلا .

والمقصود برضوان الله ، هو نعيم الروح وتمتعها ، وعلى هذا فإن أفضل ما يعطى في الجنة هو اللذائذ والمتع الروحانية ، ولكن هذا لا يعني حرمان الجسد من المتع واللذات بل يجمع المؤمن في الجنة بين النعيمين لأنه إنسان ، والإنسان مركب من الجوهرين المادة والروح فناسب في منطق العقل والعدل والفضل أن يكون النعيم للجوهرين معاً كما أن العذاب لهما معا .

ثانياً : إن مسيرى هذه الشبهة من المؤمنين بالحشر الجسماني فكيف يستبعدون النعيم الجسدي إذ لو كانوا منكرين للحشر مطلقاً كمشركي العرب ، أو منكرين للحشر الجسماني فقط كأتباع أرسطو لكان لاستبعادهم اللذائذ الجسدية وجه من الوجوه ، وما قد يقال من أن في الأناجيل ما يدل على أن أهل الجنة كالملائكة فمع كون مخالفة الأناجيل للقرآن لا تضر لما ثبت من وقوع الأخطاء فيها ، إلا أنا نقول بحمل مثل هذا على أن الملائكة ، كما جاء في بعض أسفار العهد القديم ، يأكلون ويشربون فقد جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ما فحواه أن الملائكة أكلوا ما قدم لهم إبراهيم من الفطير والعجل السمين .

أيجوزون على الملائكة الأكل في الدنيا ويستبعدون على الله نعيم الأجساد للناس في الآخرة ؟ ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا[1]﴾ .

---

(١) الإسراء : ١٠٨ .

الشبهة الثالثة :

ليس فى القرآن ما تطلبه الروح وتتمناه ، ولما كانت الروح هى المقصد الأسمى وكان شفاؤها هو الغاية المثلى ، كان فى خلو القرآن من مثل ذلك دليل على أنه ليس من عند الله سبحانه .

الجواب على هذه الشبهة :

وردا على هذا الكلام نقول: إن غاية ماتطلبه الروح وتتمناه أمران:
أحدهما : الاعتقادات الكاملة التى تجعل الإنسان مطمئنا على غده غاية الاطمئنان واثقا فى معبوده غاية الثقة بحيث إذا همه أمر من الأمور أو خفي عليه شيء ما ، أو ضاقت به حياته ، وجد فى عقائده ما يريحه ويطمئنه ويملأ قلبه رجاء وأمنا وأمانا .

وذلك كله موجود فى القرآن بما لا مزيد عليه فى أي كتاب آخر مع الصدق التام فى كل ما جاء به .

وثانيهما : العمل الصالح الذى يكلف به الإنسان فيحس بعد أدائه بالمتعة والارتياح وهذا أيضا موجود فى القرآن مبين فيه أجلى بيان .

فكيف يستجيزون لأنفسهم بعد ذلك أن يقولوا ليس فى القرآن ما تطلبه الروح وتتمناه ؟ .

الشبهة الرابعة :

جاء فى القرآن قوله ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً[1]﴾ .

---

(١) النساء : ٨٢ .

فدل هذا على أن وقوع الاختلاف فى القرآن دليل على عدم كونه من عند الله ، وقد وقع الاختلاف فى كثير من آيات القرآن .

مثل قوله تعالى ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ بعدقوله ﴿لا إكراه فى الدين ﴾ وقوله ﴿ وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ ثم قوله ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ إلى آخر تلك الاختلافات التى تدل دلالة واضحة على أن هذا القرآن ليس من عند الله

دحض هذه الفرية :

إن كل ما يزعمه أعداء القرآن من اختلاف فيه هو دون ما جدال راجع إلى سوء فهمهم له ، وإلا فكل ما فى القرآن حق ، والحق لا يناقض بعضه بعضا ، وأما ما قد يكون فيه من عام خُصص أو مبهم بُين ، أو مطلق قيد ، أو منسوخ بقيت تلاوته فكل ذلك خارج من دائرة الاختلاف والتناقض ، والكذب والمهاترة ، والزيف والتضليل .

ولنأخذ على سبيل المثال بعض ما أوردوه فى شبهتهم تلك من آيات زعموا وقوع الاختلاف بينها فنقول وبالله التوفيق :

المثال الأول :

قوله فى سورة البقرة ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (٢٥٦) ، وفى سورة يونس ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (٩٩) .

يدل على أنه لا يجبر أحد على الدخول فى الإسلام بل من شاء أسلم ومن شاء لم يسلم ولا إكراه لأحد على الدخول فى هذا الدين .

وقوله فى سورة البقرة ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ (١٩٣)
وفى سورة التوبة ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ (١٤) .
وفى سورة الفتح ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ (١٦) ، إلى آخر ما جاء فى القرآن من آيات الأمر بالقتال .

يدل دلالة واضحة على أن الناس يساقون قهراً بالسيف إلى الدخول فى الإسلام وفى هذا من الاختلاف المعنوى مالا يستطيع أحد أن يشك فيه .

ونحن نقول لا تعارض بين ماورد فى القرآن عن عدم الإكراه فى الدين ، وبين ماجاء فيه من الأمر بقتال الكافرين .

لأن مثل قوله ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ إنما هو حال تبليغ الدعوة فإذا بلغ المسلمون الدعوة ولم يسلم الكفار طلبوا منهم المسالمة وعدم فتنة من يسلم ، والكف عن محاربتهم فإذا التزموا بذلك لا يصح للمسلمين أن يحاربوهم لقوله تعالى ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ [1] .

قال الدكتور طنطاوى تعليقاً على هذه الآية الكريمة أى أن هؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الأخذ والقتل ، اقبلوا مسالمتهم ، إن اعتزلوا قتالكم فلم يتعرضوا لكم بسوء ، وكفوا عن قتالهم إذا ألقوا إليكم السلم أى : إذا انقادوا للصلح والأمان

---

(١) النساء ٩٠

ورضوا به ، وهم متى فعلوا ذلك ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ .

أى : فما أذن الله لكم فى أخذهم وقتلهم بأى طريق من الطرق التى توصل إلى العدوان عليهم ا . هـ [١] .

وإن لم يلتزموا بما ذكر حل للمسلمين قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . هذا بالنسبة لغير أهل الكتاب ، وأما بالنسبة لأهل الكتاب فإن عليهم أن يدفعوا الجـزية إذا سالموا المسلمين إيذانا بخضوعهم التام والتزامهم الكامل بما أعلنوه من المسالمة والموادعة وانقيادهم لأهل الإسلام .

ولعل السر فى فرض الجزية عليهم هو أنهم يعرفون صدق الإسلام ولا يسلمون أنفة من اتباع محمد الذى هو من نسل هاجر الجارية وهم من نسل سارة الحرة فكسرا لأنفتهم تلك أمر الله تعالى بأخذ الجزية منهم فى قوله سبحانه ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون [٢]﴾ .

على أن من العلماء من يرى أن قوله تعالى ﴿لا إكراه فى الدين﴾ ونحوه ، إنما هو فى خصوص أهل الكتاب دون غيرهم .

والمعنى أنهم لا يكرهون على الدخول فى الإسلام مطلقا قبل نزول قتالهم ، ولا يكرهون عليه بعد الأمر بقتالهم إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

---

(١) تفسير سورة النساء للدكتور طنطاوى ط : السعادة ص ٣٣٤

(٢) التوبه : ٢٩

وقد استدلوا على كون هذه الآية ونظائرها فى خصوص أهل الكتاب بما يأتى :

(ا) ما رواه أبو داود وابن أبى حاتم والكسائى وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

كانت المرأة تكون مقلاة[1] فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لاندع أبناءنا . فأنزل الله ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .

(ب) ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال نزلت :﴿لا إكراه فى الدين﴾ فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له (الحصين) كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية .

(ج) ما رواه ابن جرير من أن أبا بشر سأل سعيد بن جبير عن هذه الآية فقال : نزلت فى الأنصار ، فقال خاصة ؟ قال خاصة .

(د) ما أخرجه ابن جرير عن قتادة فى قوله ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ قال أكره عليه هذا الحى من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه ، فلم يقبل منهم غير الإسلام ، ويكره عليه أهل الكتاب إذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم .

(ه) ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك فى قوله ﴿لا إكراه فى الدين﴾

---

(١) المقلاة : التى لا يعيش لها ولد . وفى المثل أحر من دمع المقلاة .

قال أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا : لا إله إلى الله أو السيف ، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل منهم الجزية . فقال ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [١] .

هذا ما استدلوا به على خصوص منع الاكراه فى الدين بأهل الكتاب المعطين للجزية ، ومن فى حكمهم . ولايقال إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب .

ومما يدل للخصوص أنه ثبت فى الصحيح : « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل » .

ومنهم من يرى أن الحكم بمنع الإكراه فى الدين كان قبل الجهاد فلما نزل حكم الجهاد نسخ هذا الحكم .

والنسخ ليس اختلافا معنويا وإلا يلزم أن يكون بين الانجيل والتوراة فى جميع الأحكام المنسوخة اختلافا معنويا ، وكذا فى نفس أحكام التوراة وأحكام الانجيل .

وأيا ما كان الرأى فى تفسير هذه الآية ونظائرها فإن ما زعموه مختلفا جد الاختلاف هو فى الحقيقة مؤتلف كل الائتلاف ، اذ ما كان السيف إلا لمن أبى الإسلام وعاداه وحاربه ، وأما من لم يحاربوه ولم يعادوه وعاهدوا أهله عهد الصدق والوفاء فلايقاتلون ولايحاربون : بل لهم — ماحرصوا على صدقهم ووفائهم — أن يكونوا من المسلمين فى غاية الأمن والامان .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ط الحلبى ص ٣١٠ وما بعدها ودفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطى طبعة المدنى ص ٤٤ وما بعدها .

المثال الثانى :

قوله فى سورة البقرة ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ١٩٠ .

يدل بظاهره على أن المسلمين لم يؤمروا بقتال غيرهم إلا إذا قاتلوهم.

وقوله فى سورة البقرة أيضاً ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ ١٩٣ .

وفى سورة الأنفال ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ٣٩ .

وفى سورة التوبة ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ ٥ .

يدل دلالة قاطعة على أن المسلمين مأمورون بقتال غيرهم قاتلوهم أو لم يقاتلوهم ، وفى هذا من الدلالة على وقوع الاختلاف المعنوى فى القرآن ما فيه .

ونحن نقول لا اختلاف بين هذا وذاك كما زعموا ، لأن قوله تعالى ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ ليس شرطا فى قتال المسلمين لأعدائهم كما ذكر المبطلون ، بل هى جملة أريد بها تهييج المسلمين وتحريضهم على قتال الكفار القادرين الأقوياء ، فكأنه سبحانه يقول لهم هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم هم خصومكم وأعداؤكم الذين يستطيعون قتالكم .

أما الشيوخ الذين لا يستعان برأيهم ، والنسوة اللائى لا يحاربن والصبية الذين لا قوة لهم ، فليسوا داخلين فى الوصف السالف الذكر ولا يجوز للمسلمين قتالهم .

ويدل لهـذا المعنى قوله تعـالى ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونـكم كافة (١) ﴾ .

ومن العلماء من يرى أنه لما كان القتال شاقا على النفوس أذن الله به من غير ايجاب فى قوله سبحانه ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٢) ﴾ .

ثم أوجب عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم بقوله :

وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونـكم ولا تعتدوا ﴾ ١٩٠

ثم لما استأنست نفوسهم بالقتال أوجبه عليهم إيجابا عاما بقوله ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ .

وعلى هذا فيـكون قوله تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ ناسخا لقوله سبحانه ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ﴾ الآية .

ولا يعد النسخ من قبيل الاختلاف المعنوى كما بيناه آنفا .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإنه لا تعارض بين تلك الآية وآيات الأمر العام بالقتال كما زعم الزاعمون ، بل هو توجيه إلهى ، أو تدرج تشريعى أريد به أن يـكون المسلمون على خير منهج فى الطريق التى أريد لهم أن يسلـكوها ، وعلى أحسن مستوى فى السبيل التى أريد لهم أن يترسموها .

ومن أين يأتيه التعارض أو التناقض وهو كلام الحـكيم الخبير .

---

(١) التوبة ٣٦ (٢) الحج ٣٩

المثال الثالث :

قوله في سورة البقرة ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ١٩٤ .

وفي سورة النساء ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم ﴾ ١٤٨ .

وفي النحل ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ ١٢٦ .

وفي سورة الحج ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾ ٦٠ .

وفي الشورى ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ ٣٩ .

يدل دلالة تامة على أن المسلمين مأمورون بالانتقام ممن يعتدى عليهم ردًّا على العدوان بمثله ، وليس عليهم في ذلك من سبيل .

وقوله في سورة آل عمران ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ ١٣٤ .

وفي سورة الأعراف ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ١٩٩ .

وفي سورة الحجر ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ ٨٥ .

وفي سورة الفرقان ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ٦٣ .

وفي سورة فصلت ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ ٣٤ .

وفي سورة الشورى ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾ ٤٠

يدل دلالة كاملة على أن المسلمين مأمورون بالعفو عن ظلم الظالمين وترك الانتقام منهم ، وفي هذا من التناقض والتعارض ما لا خفاء فيه .

ونحن نقول لا تناقض ولا تعارض لأنه لما كان وضع الندى فى موضع السيف مضر كوضع السيف فى موضع الندى، ولما كان الناس بين كريم إذا أكرمته ملكته، ولئيم إن أنت أكرمته تمرد، ولما كانت الجرائم بين شديد لا يعفى عنه، وخفيف يصلحه التجاوز والعفو:

لما كان ذلك كذلك شرع الله لعباده الأمرين معا، ونبه على أفضلها وهو العفو فى نحو قوله سبحانه ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ وقوله عز شأنه ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾.

فكيف يعدون مثل هذا من التعارض والتناقض ذلك ضرب من الجهل أو التعصب لا يخضع أبدا لمنطقه جلال القرآن.

المثال الرابع:

قوله فى سورة آل عمران ﴿إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى﴾ ٥٥.

يدل على أن الله قد أمات عيسى ثم رفعه، وهذا يخالف ما جاء فى سورة النساء من قوله ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ ١٥٧ : ١٥٩:

إذ فحوى هذه الآيات أن القائلين بقتل عيسى وصلبه كاذبون فيما قالوا، وأن عيسى لم يمت، بل رفعه الله حيا إليه، وأنه لن يموت

حتى يؤمن به أهل الكتاب الذين يعاصرون نزوله إلى الأرض فكيف لا يكون هذا مناقضا لما جاء فى سورة آل عمران؟ ولا سيما أن جل المفسرين يكادون يجمعون على أن الضمير فى قوله [قبل موته] يعود على عيسى ، وأن الأحاديث الصحيحة التى تبلغ فى مجموعها حد التواتر ، قد دلت على رفع عيسى حيا ونزوله إلى الأرض بعد ذلك .

ورداً على هذا نقول :

لا دلالة فى آية آل عمران على كون عيسى عليه السلام قد مات ثم رفع كما زعم الزاعمون لأن قوله تعالى (متوفيك) لم يقترن بزمن حتى يقال إنه توفاه فيما مضى ، بل هو سبحانه متوفيه فى أى زمن شاء ولا دليل على أن هذا الزمن قد مضى فى فهم بعض الناس إلا عطفه (ورافعك) على (متوفيك)

وهذا فى الحقيقة ليس بدليل ، لإطباق جمهور أهل اللسان العربى على أن الواو لا تقتضى الترتيب ولا الجمع ، وإنما تقتضى مطلق التشريك

ولا يتنافى هذا مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « ابدأ بما بدأ الله به » يعنى الصفا فى قوله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ لأن الواو كما لا تقتضى ترتيبا ولا معية فإنها كذلك لا تقتضى المنع منهما ما دامت هناك قرينة تدل على ذلك ، فعطف المروة على الصفا بها قصد به الاهتمام بالصفا . بدليل الحديث السالف الذكر

وقد يكون المعطوف بها مرتبا كقول حسان « هجوت محمدا وأجبت عنه » على رواية الواو .

والذى دل على هذا الترتيب ليس ما فى معنى الواو لأنها كما قلنا لا تقتضى ترتيبا ولا معية بل أمر خارجى هو أن حسان هجا محمداً أولا ثم أجاب عنه بعد ذلك ، وأيضا فقد روى البيت بالفاء الدالة على الترتيب فى روية أخرى.

وقد يراد بهـا المعية بقرينة خارجية كقوله ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة ﴾ إذ النصوص كلها مجمعة على أن نوحا عليه السلام لم ينج وحده بل نجا معه كل من شاركوه فى ركوب السفينة .

هذا على أن معنى (متوفيك) مميتك .

ومن العلماء من يرى أن معنى ﴿ متوفيك ﴾ منيمك

وقد جاء فى القرآن اطلاق الوفاة على النوم ، قال تعالى ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار[1] ﴾

وقال سبحانه ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها[2]﴾

وعلى هذا فيـكون معنى الآية إنى منيمك ورافعك إلىّ فى تلك النومة التى ألقيتها عليك .

ومن العلماء من يرى أن معنى ﴿ متوفيك ﴾ قابضك منهم إلى حياً من توفاه إذا قبضه وحازه إليه ومنه قولهـم (توفى فلان دينـه) إذا قبضه إليه .

وعلى أى من تلك الآراء فإنه لاتناقض بين ماجاء فى سورة آل عمران وما جاء فى سـورة النساء عن هذا الموضوع الذى زعموا أن القرآن قد تناقض فيه .

---

(١) الأنعام ٦٠ . (٢) الزمر ٤٢ .

المثال الخامس :

قوله فى سورة آل عمران ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ ٥٩

وقوله فى سورة النساء ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ ١٧١

وفى سورة المائدة ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ ٧٥

وفى سورة الزخرف ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ ٥٩

يدل على أن المسيح عيسى ابن مريم هو واحد من البشر لا ميزة له عليهم إلا أنه رسول رب العالمين .

وقوله فى بقية آية النساء ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾

وفى سورة الأنبياء ﴿ والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ ٩١

وفى سورة التحريم ﴿ ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ ١٢

يدل على أن عيسى ليس من جنس البشر ، بل هو روح الله أو من روح الله ومثل هذا لا يكون إلا إلها أو كالإله ، لأنه إذا كان روح الله ـ بحكم هذه الآيات فلابد أن يكون فى مرتبة الألوهية .

إذ من غير المعقول والمقبول أن يكون روح الله أقل من الله .

هذا هو منطق القرآن فى عيسى المسيح ، فأى قوليه نصدق ؟ وبأيهما نأخذ ؟ نبئونا بعلم إن كنتم صادقين .

ورداً على هـذا نقول :

ليس فى حديث القرآن عن عيسى عليه السلام أدنى تعـارض أو اختلاف ، بل هو فى الحقيقة حديث كامل شامل مؤتلف كل الائتلاف وما كان التخالف و التناقض إلا فى زعمهم ، ومن سوء فهمهم إذ قد ظن المعترضون أن كون عيسى عليه السلام من روح الله يجعله خارجا من دائرة البشرية إلى مرتبة الألوهية ، وقد بنوا فهمهم هذا على المغالاة فى تعظيم عيسى المسيح عليه السلام من ناحية ، واعتقاد أن روح الله لا يكون أقل من الله ، وأن من فى قوله سبحانه ﴿ منه ﴾ للتبعيض من ناحية أخرى .

وهذا فهم خاطىء قد رده القرآن على أهله وصححه لهم فى نحو قوله ﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ (١)

فهذا تشنيع على النصارى فى غلو اعتقادهم فى حق المسيح عليه السلام ، وبيان للحقيقة على وجهها الصحيح وهى أنه عبد الله ورسوله ، ثم بين سبحانه أن هـذا البشر الرسـول هو مخلوق بكلمة الله التكوينية التى خلق بهـا كل شيء كلمة « كن » التى ذكر الله عز وجل أنهـا أمره

---

(١) النساء : ١٧١

سبحانه لأى شىء يريد تحقيقه وتنفيذه فى قوله سبحانه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (١) ... تلك الكلمة ﴿ كن ﴾ ألقاها القادر إلى مريم مصحوبة بنفخة جبريل فى جيبها نفخة خرج ريحها روحا من الله — عز وجل — الذى أمر جبريل بها فولدت مريم عليها السلام بعد تسعة أشهر من تلك النفخة بواسطة كلمة التكوين هذه عبد الله عيسى المسيح الذى آتاه الله الكتاب بعد ذلك وجعله نبيا .

فالمراد بقوله تعالى ﴿ وكلمته ﴾ كلمة التكوين لا كلمة الوحى ، ولا يقال إذا كان كل شىء قد خلق بكلمة التكوين تلك فلماذا خص المسيح باطلاقها عليه دون سواه من المخلوقات ؟

لأنا نقول إن الأشياء تنسب فى العادة والعرف العام فى البشر إلى أسبابها ، ولما فقد فى تكوين المسيح وعلوق أمه به ماجعله الله سببا للعلوق ، وهو تلقيح ماء الرجل لما فى الرحم من البويضات التى يتكون منها الجنين أضيف هـذا التكوين إلى كلمـة الله وأطلقت الكلمة على المكوَّن ايذانا بذلك ، أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة .

والمراد بقوله ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ أى أوصل إليها نتيجة تلك الكلمة وهو الجنين الذى ستحمل به .

والمراد بالروح فى قوله ﴿ وروح منه ﴾ وقوله ﴿ فنفخنا فيه من

---

(٢) يس : ٨٢

روحنا ﴾ النفخة التي كلف الملك بنفخها في جيب مريم عليها السلام ، ولم تكن تلك النفخة خاصة بعيسى عليه السلام وحده ، بل منحها الله عز وجل لآدم عليه السلام كما أخبر عن ذلك بقوله سبحانه ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١)

ومنحها لسائر البشر كما أخبر عن ذلك بقوله ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون ﴾ (٢) .

قال ابن كثير ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوى وأمره الله - تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فتنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ (٣) اهـ .

وقيل إن معناه أن عيسى عليه السلام قد حملت به أمه ثم ولدته فنشأ وتربى وترعرع وكبر وهو في كل أحواله مؤيد من الله - تعالى - بروح منه ، ويدل لهذا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وآتينا عيسى ابن

---

(١) ص : ٧١ ، ٧٢

(٢) السجدة : ٦ : ٩

(٣) تفسير ابن كثير ط عيسى الحلبي جـ ٤ ص ٣٩٤

مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ ٢٥٣ .

ولم يك هذا التأييد أيضاً خاصاً بعيسى وحده ، بل أيد الله تعالى المؤمنين الذين لايوادون من حاد الله ورسوله بروح منه كذلك ، قال الله تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [١]

وقيل إن المراد بالروح هو جبريل عليه السلام ويدل له قوله سبحانه عن مريم ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا ﴾ [٢] وقوله عنها أيضاً ﴿ والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ﴾ [٣] وجبريل على هذا الرأى هو أيضا الذى نفخ فى آدم عليه السلام على ما صرح به القرآن فى قوله ﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ [٤]

وقيل المراد بقوله ﴿ وروح منه ﴾ أى وذو روح من أمر — الله — لأنه تعالى خلقه كما يخلق سائر الأرواح وقيل المراد بالروح فى قوله ﴿ وروح منه ﴾ الرحمة فقد كان عيسى رحمة من الله — عز وجل — .

قال تعالى ﴿ ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ﴾ [٢]

---

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) مريم ١٠

(٣) الأنبياء : ٩١

(٤) ص : ٧١ ، ٧٢

(٥) مريم ٢١ .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن أحدا لم يقل بخروج عيسى من دائرة البشرية إلى مرتبة الألوهية لكونه من روح — الله — إلا المغالون الذين جرتهم المغالاة إلى الزيف والانحراف ، ونأت بهم عن الحق والإنصاف .

وما صدر الله — تعالى — الآية الكريمة بأداة القصر « إنما » وما ذكر عيسى بلقبه ، واسمه ، وبنوته لمريم عليها السلام إلا للتنبيه على أنه سلام الله عليه ما هو إلا رسول أرسله الله لهداية الناس إلى الحق ، وللاشارة إلى أنه كان كسائر الناس ، وبشر كسائر البشر ، فهو مولود خرج من رحم أنثى كما يخرج الأولاد من أمهاتهم .

وإذا لم يكن قد خرج من صلب أب يكفى أنه قد خرج من رحم أم ، وكفى بذلك دليلا على بشريته .

ومن فى قوله سبحانه ﴿ منه ﴾ و ﴿ من روحنا ﴾ ليست للتبعيض كما زعم النصارى ، بل هى لابتداء الغاية فالنفخة من جبريل عليه السلام كان الأمر بها ابتداءاً من الله — عز وجل — لا من غيره ، وعليه فلا معنى لقولهم إن عيسى جزء الله ، إذ الله — سبحانه — لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يلد ولا يولد وليس له شبيه أو نظير .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

فأين يكون بعد ذلك التعارض أو التناقض ؟

وكيف يسوغ المشككون لأنفسهم أن يتهموا القرآن بما ليس فيه

ويحملوا عباراته وألفاظه على معان اختلقوها وأهواء اتبعوها ومحدثات ابتدعوها ، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هذه بعض شبههم حول القرآن ذكرناها ورددنا عليها لنظهر للقارىء بعض ما عليه أهل الكتاب من تعصب منشأه الهوى والضلال لا الهدى والرشاد .

وبعد ما أوردنا من الحقائق الكاملة والأدلة الدامغة على صدق القرآن وحقيته وثبوته ما يملأ القلب طمأنينة ويقينا نشرع بحول الله سبحانه فى المقصود الأصلى من هذا الكتاب

فنقول وبالله التوفيق .

الباب الثانى

مناقشة القرآن للمسيحيين فى الصلب وعقيدة التثليث

إن القاسم المشترك بين سائر الأديان السماوية الصحيحة ، هو فى الحقيقة توحيد — الله — تعالى — والإخلاص له ، والخضوع الكامل لحكمه ، وإفراده بالعبادة وحده .

ودعوة الناس إلى تلك المبادىء هى القضية الأولى التى من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين ، إذ قد أمرهم جميعاً أن يوجهوا الناس فى كل زمان ومكان إلى تلك المبادىء ويدعوهم إلى الإيمان بها يصدق بعضهم بعضا ، ولا يخرج اللاحق منهم فى تلك المسائل عن منهج السابق ، بل دعوتهم فى هذا الأمر واحدة لا فرق فيها بين نوح عليه السلام أول رسل الله إلى أهل الأرض ومحمد — صلى الله عليه وسلم — خاتم رسل الله وآخرهم إلى أهل الأرض .

قال تعالى : — ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (١) .

وقال سبحانه . ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى

---

(١) الأنبياء ٣٥ .

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ (١) .

ولكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد تركوا جوهر ما جاءت به رسالة السماء ، واختلقوا لأنفسهم معتقدات دفعهم إليها غلو بعضهم فى تعظيم عيسى عليه السلام . وجهل بعضهم الآخر بقدر الله عز وجل ، فزعم النصارى أن الله ثالث ثلاثة وأن عيسى عليه السلام قد صلب بيد الإثم والطغيان ، وزعم اليهود والنصارى أن لله ولداً فقالت اليهود عزير ابن الله .

وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه .

وقد ناقشهم القرآن الكريم فى تلك المعتقدات وغيرها مناقشات هادئة قيمة تعتمد فى جوهرها على الموضوعية الجادة لا على الجدل العقيم .

ولما كان الصلب وعقيدة التثليث هما فيما نرى أهم أسس العقيدة فى المسيحية المحرفة فقد رأينا أن نخص كل واحد منهما فى فصل مستقل بالشرح والتفصيل ، والمناقشة والتحليل ، فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) الشورى ١٣ .

الفصل الأول

مناقشة القرآن للمسيحيين فى عقيدة التثليث

العقيدة فى المسيحية الصحيحة :

لم تعرف المسيحية فى بدايتها عقيدة غير عقيدة التوحيد ، ولم يدع المسيح عيسى عليه السلام طول حياته أحدا من الناس إلا إلى هذا المنهج السديد ، شأنه فى ذلك شأن كل واحد من رسل الله المكرمين الذين ما بعث منهم واحد فى أمة إلا بعد أن تكون قد نسيت توحيد الواحد ، وارتدت عن عبادته فينزوي بسبب ذلك عقلها الرشيد ، وينهدم فيها صرح الخير والجمال ، ويملك الظلم فيها زمام الأمور ، ويعتلى القبح عرشها كسيد حاكم ، فيتأله وسط هذا الظلام الحجر ، وتخضع له فى سذاجة جموع البشر ، ويخاف الناس بأس الناس ، وتتوهج فيها نيران الشهوات ، والمصالح والنزوات ، حتى تحرق كل معنى للفضيلة والطهر ، والحمد والشكر ، والرضى والصبر ، والعفاف والنبل ، والصدق والعدل .

هذا هو معتقد المسلمين فى المسيحية الأولى ، ودعوة المسيح عليه السلام وقد تكونت لديهم تلك العقيدة من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية .

فأما القرآن فقد جاء فيه عن عيسى عليه السلام ما يفيد أنه ما دعا الناس إلا إلى التوحيد .

قال تعالى : ﴿ وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [١] .

وقال سبحانه ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [٢] .

وقال عز اسمه ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ [٣] .

وأنه عليه السلام ليس له دخل فيما صدر عنه من معجزات ، بل هى من عند الله وبإذن الله .

قال تعالى : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحى الموت بإذن الله ﴾ [٤] .

وقال سبحانه ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك

---

(١) المائدة ٧٢ . (٢) المائدة ١١٧ ، ١١٨ .
(٣) الصف : ٦ (٤) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩

وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ (١)

وجاء فى القرآن أيضا ما يقرر أن أتباع عيسى عليه السلام المقربين كانوا موحدين لا يشركون مع الله أحداً .

قال تعالى ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٢)

وقال سبحانه ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (٣)

وقال عزوجل ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحوايون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ (٤)

وأما السنة المطهرة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة تدل على أن

(١) المائدة : ١١٠
(٢) آل عمران ٥٢ . ٥٣
(٣) المائدة : ١١١
(٤) الصف : ١٤

عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله ، وأن دعوته لا تخرج فى إطارها العام عن دعوة النبى – صلى الله عليه وسلم .

من تلك الأحاديث ما يأتى :

١ — « عن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل » (١)

٢ — « عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة قالوا كيف يا رسول الله قال الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبى » (٢)

٣ — « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت ؟ قال : كلا والله الذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عينى » (٣)

---

(١) صحيح البخارى باب قوله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم) ج ٤ ص ١٦٥ ط المطبعة الأميرية

(٢) صحيح مسلم باب فضائل عيسى عليه السلام ج ١٥ ط المطبعة المصرية ص ١١٩ ، وكذا رواه البخارى فى صحيحه الباب السابق ص ١٦٧ .

(٣) صحيح البخارى الباب السابق ج ٤ ص ١٦٧ كذا رواه مسلم فى باب فضائل عيسى عليه السلام ج ١٥ ص ١٢١ .

٤ — عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن بعيسى ثم آمن بى فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران ﴾ (١)

٥ — عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إلى قوله العزيز الحكيم قال محمد بن يوسف ذكر عن أبى عبد الله عن قبيصة قال هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبى بكر فقاتلهم أبو بكر رضى الله عنه » (٢)

إلى آخر تلك الأحاديث الصحيحة التى تدل على نبوة عيسى عليه السلام ، وعبوديته لله سبحانه ، والتزامه بدعوة من أرسل إليهم إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين ، شأنه فى ذلك شأن سائر الرسل والأنبياء .

وأما التاريخ فإنه وإن كان لا يسعفنا بكثير من المعلومات الصحيحة فى هذا الموضوع لبعد العهد ، واضطراب الروايات إلا أنه لا يخلو من

---

(١) صحيح البخارى الباب السابق جـ ٤ ص ١٦٨ ط المطبعة الأميرية .

(٢) صحيح البخارى الباب السابق جـ ٤ ص ١٦٨ ط المطبعة الأميرية .

لمحات تشير إلى ما كانت عليه المسيحية الأولى من توحيد لله عز وجل ، وبعد عن الأباطيل والأوهام .

من تلك اللمحات ما ذكره ابن هشام فى سيرته حيث قال مافحواه :

إن المسلمين الأول لما هاجروا إلى الحبشة بأمر الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأرادت قريش استرداد هؤلاء المسلمين أرسلت الداهية عمرو بن العاص ، وكان لم يدخل الإسلام بعد ، فحاول هذا الداهية أن يوقع بين المسلمين وبين النجاشى أمبراطور الحبشة المسيحى ، فقال له إن هؤلاء المسلمين يقولون فى مريم وعيسى قولا عظيما (مشيناً) فاستدعاهم النجاشى وسألهم رأى الإسلام فى عيسى ابن مريم وأمه ، فتلا عليه جعفر ابن أبى طالب المتحدث باسم المهاجرين سورة مريم ، فلما سمعها النجاشى بكى حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته ، وقال قولته الشهيرة : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة[1] .

ومنها ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ من أن العالم المصرى « أريوس » قد صاح فى مجمع نيقية الذى انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية وضم ألفين وثمانية وأربعين عالما من علماء المسيحية صاح صيحته الشهيرة « إن الأب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن » ولم يسكت هذه الصيحة لأريوس وغيره من الموحدين إلا حد السيف الذى قتل به هؤلاء المسيحيون المخلصون لعقيدتهم ، المحاربون للزيف والتضليل[2] .

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢) أنظر فى ذلك مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى ط مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ص ١٢٥ .

هذا ما يعرفه المسلمون ويعتقدونه عن المسيحية الأولى من خلال ما أمدتهم به النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقائع التاريخية وما بينه القرآن الكريم وآمن به المسلمون عن العقيدة فى المسيحية الصحيحة ، هو الحق الذى لا شك فيه ، والذى قذف به قدامى أقطاب المسيحية الصحيحة فى وجه الباطل وأنصاره ومخترعيه ، ولم يستطع دعاة الثالوث وحملة لواء تحريف المسيحية من مؤلفى الأناجيل وغيرهم أن يطمسوا تلك العقيدة الصحيحة طمسا كاملا ، بل جاء عنها فى بعض أناجيلهم ما يتفق فى المعنى مع ما جاء به القرآن الكريم .

فقد ورد فى إنجيل مرقص ما نصه :

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك — ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح ، فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله أ ، ﻫ [1]

---

(١) العهد الجديد ط عنتر مرقص اصحاح ١٢ فقرات ٢٨ : ٣٤ ص ٧٩ : ٨٠

وجاء فى انجيل لوقا ما نصه :

فى ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك ، فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أكمل ، بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم ، يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، والحق أقول لكم إنكم لا ترونى حتى يأتى وقت تقولون فيه مبارك الآتى باسم الرب اهـ [1]

إلى آخر ما هو مبثوث فى الأناجيل من فقرات كثيرة تدل على دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله سبحانه وإعلانه للناس من حين لآخر بأنه ليس سوى عبد الله ورسوله .

وقد ظلت عقيدة التوحيد هذه سائدة فى العصر المسيحى الأول منذ دعا إليها عيسى عليه السلام ، إلى أن دخلت فى المسيحية طوائف وثنية مختلفة الأجناس ، والأوطان من المصريين ، واليونان ، والرومان ، وفلاسفة لهم آراؤهم الفلسفية ، فحاول كل من هؤلاء وأولئك أن يفهم دينه الجديد فى ضوء فكره ومعتقده القديم ، الأمر الذى أدى بهم إلى

---

(١) لوقا ١٣ : ٣٣ وما بعدها ص ١٣٣

الاختلاف الشديد فى أمره ، أهو رسول من عند الله فقط ، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لأنه خلق من غير أب ، وإذا كانت له صفة البنوة هذه ، فهل هو ابن الله ومخلوق لله أم هو ابن الله المتصف بالقدم كأبيه .

بكل قالت طائفة من طوائف المسيحية ، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت فى العقيدة آراؤهم ، وأخذ كل فريق يتعصب لرأيه ، وينتصر له ، ويزعم أن نحلته هى المسيحية الصحيحة التى جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها تلاميذه من بعده .

العقيدة فى المسيحية المحرفة

عرفت المسيحية الصحيحة عقيدة التوحيد وبقيت عليها فترة من الزمان ، كما ذكرنا آنفا ، ثم ما لبثت أن انحرفت بتلك العقيدة عن خطها الصحيح الذى رسمه عيسى عليه السلام طوائف من النصارى ودخلت بها فى متاهات من الفلسفات والخرافات والأوهام .

أسباب تحريف المسيحيين لعقيدة التوحيد بعد المسيح :

رأينا ألا نخوض فى بيان اختلافهم فى تفسير عقيدتهم الجديدة ، ولا فى تفصيل مجملها قبل أن نبين الأسباب الحاملة للمسيحيين على تحريف عقيدة التوحيد بعد المسيح عليه السلام ، فنقول والله المستعان .

هناك أسباب كثيرة قد حملت المسيحيين على تحريف عقيدة التوحيد

بعد المسيح عليه السلام منها ما يلى :

اولا : نزل بالمسيحيين من البلايا والكوارث على أيدى أعدائهم المناوئين لهذا الدين خلال القرون الثلاثة الأول ماجعل بعضهم يستخف بهذا الدين وينكره ، وجعل بعضهم الآخر يخفيه فى نفسه ويستره ، ويفر به مهاجرا إلى أى مكان من أرض الله يستطيع فيه مزاولة شعائر دينه وتعاليمه ، وجعل بعضا ثالثا منهم يثبت أمام الكوارث المحيطة به ، ويجهر بمسيحيته فى وجه أعدائها ، مستهينا بما يجره عليه ذلك من النكال والتعذيب ، ويروى علماء التاريخ أن الأناجيل الأربعة قد دونت فى هذه الفترات العصيبة .

فأما متى فيروى ابن البطريق أنه دون إنجيله فى عهد ثانى القيصرين اللذين اضطهدا تلاميذ المسيح من بعده أشد الاضطهاد حتى قتلا منهم عددا غير قليل ، وهذان القيصران كانا بعد طيبروس الذى عاصر المسيح عليه السلام .

وأما مرقس فانه دون إنجيله سنة إحدى وستين ميلادية على ماجاءت به بعض الروايات وكان بمصر ، وقد كتبه عنه بطرس وهو برومة . وكان ذلك فى عصر نيرون الذى أذاق المسيحيين ألوانا مختلفة من العذاب والنكال ، إلى حد أنه كان يأمر بالجماعة منهم فتلف فى جلود الحيوانات ويرمى بها للكلاب فتنهشها ، ويأمر بجماعة أخرى فتطلى ثيابهم بالقار ثم تشعل فيهم النار ليلا ليستضىء الناس بهذه المشاعل الإنسانية ، وفى نفس هذا العصر الرهيب عصر نيرون دون لوقا إنجيله أيضا .

وفى عصر هذا القيصر كذلك أو بعده بقليل دون يوحنا إنجيله ، ولم تكن تعاليم دين المسيح قادرة على الظهور فى مثل هذه الفترات الصعبة العصيبة ، فكان كتابها يغلفونها تارة بأغلفة من التوريات والكنايات وما إلى ذلك من الرمزيات التى عتّمت هذه التعاليم الواضحة وجعلتها أشبه بطلاسم يصعب على العقل فهمها أو حل رموزها .

وتارة أخرى يضعون لهذه التعاليم تفسيرات وإضافات أخذوا جلها من الفلسفات والأفكار المعاصرة لهم ، مما أدى إلى مسخ هذه التعاليم وتشويه كثير من حقائقها الصحيحة .

وتارة ثالثة يقعون فى الخلط والاضطراب أثناء تدوينهم لتلك التعاليم فى أناجيلهم نتيجة لما يرونه من إيذاء واضطهاد ، بل قرر كثيرون من العلماء أن تلك الاضطهادات كانت سببا فى فقد أسانيد تلك الأناجيل التى تصلها بصاحب الشريعة .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى « طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم ، فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى شيئاً ، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع

يكفينا ، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا . ا . هـ [١]

ثانيا : أدى اضطهاد القياصرة المسيحيين إلى الشك العميق فى كل ما دون من الأناجيل فى هذا العصر المظلم ، لأن تدوين تلك الأناجيل كان خلف ستار سميك من السرية التامة بعيداً عن أعين الحكام والرقباء وفى ظلام السرية يقع عادة مالا يكاد يتصور من نقل مالم يقل ، وادعاء ما لا يصح ، ونسبة كتب لأشخاص لم يكتبوا فيها كلمة ، إلى غير ذلك من تلك الأمور الكثيرة التى تعرضت لها المدونات المسيحية فى هذا العصر ، ولا سيما أناجيلهم الأربعة .

قال الأستاذ أبو زهرة : وفى الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية ، وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة يقومون به سراً لا جهراً ، وفى خفية من العيون المتربصة ، والأعداء المترقبين ، والسرية يحدث فى ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها فيتظنن فى كل ما يروى عنها ، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه ، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت فى تلك الاجتماعات ، ولا قالها حاضروها فإذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التى فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتى كتبت فى ظلمة السرية يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه ، وقامت شواهده ا . هـ [٢] .

ثالثاً : تأثرت المسيحية بعد القرن الأول بأفكار من دخلوا فيها

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ت أحمد السقا ط دار التراث العربى ص ٨٣ ، ٨٤

(٢) محاضرات فى النصرانية ط دار الفكر العربى ص ٣٥ ، ٣٦ الطبعة الرابعة .

من الوثنيين والفلاسفة تأثراً عظيما ، إذ لم تكن لها قوة تحميها ولا شكيمة تعقل القلوب إلى حظيرتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان الدين بما فيه من تصوير لحياة أفضل فى المستقبل هو المتنفس الوحيد الذى يجد فيه البؤساء المحرومون العزاء والسلوى عن ماهم فيه من ضنك المعيشة وبؤس الحياة ، وكانت الفلسفة هى الأخرى تلهث جاهدة حتى تحل محل الوثنية المتداعية آنذاك ، فاعتور الناس فى تلك الفترة عاملان قويان : أحدهما : الدين الذى يدفعهم إليه شعورهم بالبأساء والآلام ، : وثانيهما : الفلسفة التى يدفعهم إليها سلطان العقل ، حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الدينى ، أو التقت الفسلفة والدين ، ولم يكن التقاؤهما عداوة وخصاما ، بل كان محبة وسلاما .

واتسع نطاق هذا الالتقاء ليشمل الفلسفة الرومانية ، التى كانت تؤمن بالوثنية(١) وتسعى جاهدة إلى التأليف بينها وبين المسيحية واليهودية تأليفاً يجعل من الثلاثة شيئاً واحدا .

والأفلاطونية الحديثة التى كانت تؤمن بأن من أنشأ الكون هو إله أزلى دائم ، لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الأفكار ، ليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكراً كفكرنا ، ولا إرادة كإرادتنا ، بل هو واجب الوجود المتصف بكل كمال يليق به الذى يفيض بنعمة الوجود على كل موجود ، ولا يحتاج فى وجوده إلى موجود وأن أول شىء صدر عن

---

(١) من هذه الوثنية عبادة الأبطال وهى أن يؤله بطل ما ثم يتزوج فتكون زوجة إلها ثانيا ثم ينجب فيكون ابنه إلها ثالثا وهذا هو الثالوث الوثنى .

هذا الإله المنشىء هو العقل ، صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الخلق ، ولكن ليس كمن تولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح جميعا ، وأن العالم كله خاضع لهذه الثلاثة ، محكوم لها ، مقهور بها ، لأن كل شيء يصدر عن هذا الثالوث ويتولد منه .

امتزجت كل هذه الفلسفات بالديانة المسيحية فأثرت فيها وتأثرت بها وكان من نتيجة ذلك أن خرجت على الناس طوائف من المسيحيين في القرنين الثاني والثالث الميلاديين وما بعدهما بفكرة التثليث في العقيدة بدل التوحيد ، وبذلت تلك الطوائف جهدها في تأسيس تلك العقيدة الجديدة وإرساء قواعدها .

مجمع نيقية وارساء عقيدة التثليث

كان دعاة الثالوث وحملة لوائه المنبثون في المجتمع المسيحي الأول ، لا يظهرون أفكارهم بشكل واضح لما يرونه من اضطهاد المسيحيين على يد قياصرة الرومان ، وظلوا كذلك حتى جاء قسطنطين فهادن المسيحيين ورفع الاضطهاد عنهم ، واعتنق المسيحية واتخذها له دينا .

عندئذ بدأت تلك الأفكار الداعية إلى التثليث وبنوة المسيح لله تخرج من كنيسة الاسكندرية لتظهر على مسرح الحياة الدينية ، وتدخل في حرب عنيفة مع أفكار الموحدين من المسيحين الذين تولى أريوس بيان فكرتهم والدفاع عنها في مصر ، ومقدونية ، وفلسطين ، والقسطنطينية .

ولم تضع تلك الحرب أوزارها حتى تدخل قسطنطين امبراطور الروم ، فعقد للمتخالفين مجمعاً عاما بنيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ليبدى كل منهم رأيه ويدلل على صحته بما يستطيع من حجج وبراهين كى يظهر الحق لطالبه ويستبين .

يقول الأستاذ أبو زهرة فى السبب الخاص لعقد هذا المجمع ما نصه : له سبب خاص يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهو ما يسمونه فى تاريخهم بدعة أريوس ، كان هذا الرجل فى مصر داعية قوى الدعاية ، جريئاً فيها ، واسع الحيلة ، بالغ الأرب ، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه ، فقام هو محاربا ذلك مقراً بوحدانية المعبود ، منكراً ما جاء فى الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية .

وقد قال فى بيان مقالته ابنُ البطريق : « كان يقول إن الآب وحده — الله — والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذا لم يكن الابن » .

ولم يكن بدعا فى القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل إنها كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم .

ولقد جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه .

« الذنب ليس على أريوس بل على فئات أخرى سبقته فى إيجاد هذه البدع ، فأخذ هو عنها ، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان تأثير أريوس الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعلم وعم » .

ولقد كان لرأى أريوس فى اعتبـار المسيح مخلوقا — لله — مشايعون كثيرون ، فقد كانت الـكنيسة فى أسيوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس وكان أنصاره فى الإسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد ، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الرأى مشايعون فى فلسطين ومقدونية ، والقسطنطينية وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد إلى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس ولـكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الـكنيسة .

ويبنى ذلك على أنه رأى المسيح يتبرأ من أريوس ويلعنه ، فنفى من الـكنيسة مرتين لهذا الرأى ، وبحجة تلك الرؤى المناميـة ، ومن أمثلتهم قول البطريرك بطرس الذى أمر بنفيه : « إن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه فإنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم » .

ولم يجد النفى وإعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على رأى أريوس وجمع الناس حول قوة الـكنيسة حتى إذا ولى أمر الـكنيسة البطريرك إسكندر أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب إلى أريوس وزعماء هذا الرأى يدعوهم إلى رأي الـكنيسة بالإسكندرية ، ولـكن محاولته لم تجد أيضاً ، فعقد مجمعاً فى كنيسة الإسكندرية وحـكم على أريوس بالحرمان ! ! فلم يخضع لهذا . ولم يخنع ، وغادر الإسكندرية إلى

فلسطين ، وقد كان مذهب عدم ألوهية المسيح ذائعاً منتشراً ، وكان أسقف نيقومدية على مذهب أريوس أيضاً ، ويعظ على أساسه ، وفى الحق إننا نجد أن أسقف مقدونية وأسقف فلسطين وكنيسة أسيوط كل أولئك على رأى أريوس ، وكنيسة الاسكندرية وحدها هى التى تحاربه فالخلاف محصور إذن بين أريوس ، ومعه أسيوط وفلسطين ومقدونية ، وبين بطريرك الإسكندرية .

وقد تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان فى الأمر فأرسل كتابا إلى أريوس والإسكندر يدعوهما إلى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م ا هـ [١] .

وبدأ المجتمعون وعددهم ألفان وثمانية وأربعون يناقشون فيما بينهم ركاما هائلا من الاختلافات والإضطرابات التى سادت المسيحية طوال القرون الثلاثة الأول ، ولاسيما حقيقة المسيح عليه السلام ، بغية أن يضعوا لها حداً ، ويتخذوا فيها قرارا حاسما ، وفى هذا المجمع أعلن الموحدون بقيادة أريوس أفكارهم المبنية على أن عيسى إنسان مخلوق كسائر الناس وإن لم يكن له أب ، وأن الله واحد أزلى قديم ، كان قبل أن يكون عيسى وغيره .

وأعلن المثلثون أفكارهم المبنية على أن الإله واحد فى ثلاثة ، وثلاثة فى واحد ، وكانت كنيسة الإسكندرية بما لها من تأثر شديد بالفكر

---

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ أبو زهرة الطبعه الرابعه ط دار الفكر العربى ص ١٤٠ ، ١٤١

المصرى القديم والفلسفات الأغريقية والأفلاطونية الحديثة صاحبة هذه الأفكار ، وقد انضمت إليها كنيسة روما بما لها هى الأخرى من تأثر شديد بالفلسفة الرومانية الوثنية ، فقاوم أرباب هذا الفكر الثالوثى أريوس وأنصاره من الموحدين مقاومة شديدة انتهت بانتصار قسطنطين لدعاة الثالوث . فأصدر أوامره بابعاد الرؤساء الروحانيين الموحدين عن المجمع ، ونفى الكثير منهم ، وقتل أريوس مع بعض من أيدوا رأيه واجتمع القائلون بالتثليث وألوهية المسيح وكان عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ، فاتخذوا قراراً بذلك .

وقد حاول بعضهم أثناء كتابة القرار أن يعترض على صيغ المساوات بين الآب والإبن ، لكن المعترضين خافوا من أن ينزل بهم ما نزل بالموحدين فوقعوا قرار المجمع الثالوثى وهم له كارهون .

وهاك نص القرار كما ذكره الدكتور أحمد شلبى قال :

نؤمن بالله الواحد ، الآب ، مالك كل شىء وصانع ما يُرى ومالا يرى ، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شىء من أجلنا ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحبل به وولد من مريم البتول ، وصلب أيام بيلاطوس ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه .

ويضيف القرار ما يلي للتخويف والتحذير :

والجامعة المقدسة الكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب وكل من يؤمن أنه خالق ، أو من يقول إنه قابل للتغيير . اهـ [1].

هكذا وعلى أنقاض عقيدة التوحيد وأربابها أرسى فلاسفة المسيحية عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

أما ألوهية الروح القدس أو عدمها فإن المجتمعين لم يتخذوا بشأنها قراراً آنذاك ، بل تركوا هذه المسألة محلا للجدل والاختلاف بين الناس .

وعندهم أن الروح القدس هو الذى حل على العذراء لدى البشارة ، وعلى المسيح فى العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء .

وقد نشأ عن هذا الخلاف اتجاهان متضادان متصارعان .

أحدهما : أن المسيطر على العالم قوى ثلاث الآب وهو المكون الأول ، والعقل وهو الإبن ، والنفس العامة وهى الروح القدس .

وقد حملت كنيسة الإسكندرية لواء الدعوة إلى هذا الاتجاه والمناداة به .

وثانيهما : أن الروح القدس ليس بإله ، ولكنه مخلوق مصنوع ،

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبي الطبعة الرابعة ط مطبعة النهضة المصرية ص ١٢٥ و ١٢٦ .

وقد حمل جمع من القساوسة وعلى رأسهم مقدونيوس أسقف القسطنطينية لواء الدعوة إلى هذا الاتجاه والمناداة به ، وظل هذا الخلاف يسرى وينتشر حتى حسمه الامبراطور تاء وديوس الكبير فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ولم يحضر إلا مائة وخمسون أسقفاً وفى هذا المجمع أصدر الحاضرون قرارهم بألوهية الروح القدس بعد مناقشات سريعة تولى معظمها بطريرك الاسكندرية .

وهكذا أصبح الروح القدس إلها بقرار ذلك المجمع ، وكأنهم يعينون شخصا فى منصب مامن المناصب، أو يتوجون ملكا على مملكة مامن الممالك ، فما أعجب هذا النوع من البشر الذى خول لنفسه سلطة صنع الآلهة ومحوها ! ! .

مواءمة المسيحية بين التوحيد فى التوراة والتثليث فى المسيحية

ما أن أرسى فلاسفة المسيحية عقيدة التثليث وحملوا الناس على اعتناقها ، حتى كان عليهم أن يجدوا حلا لهذا اللغز المحير ، وهو كيف يجمعون بين الإيمان بالتوراة التى تدعو إلى التوحيد وتحث الناس عليه ، وبين التصديق بعقيدة التثليث التى يبدو الشرك فيها جليا واضحا ، فلجئوا أولا إلى استنباط معنى التثليث من بعض نصوص التوراة وحاولوا ثانياً ارجاع التثليث إلى الوحدانية ، لتلتقى التوراة مع أناجيلهم ، فأما الأمر الأول، وهو استنباط معنى التثليث من نصوص التوراة فقد سالت به الكثرة من أقلامهم ، وتبارى فى تأويل عبارات التوراة ، وتحميلها مالا تحتمل المتبارون من فحولهم .

يقول القس بوطر فيما نقله عنه الأستاذ الشيخ أبو زهره :

« بعد ماخلق الله العالم ، وتوج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى مايختص بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة على أنه لا يزال المدقق ، يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات :

« كلمة الله ، أو حكمة الله ، أوروح القدس » ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعانى لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة — فى ضوء الإنجيل — يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم اللاهوت . « ثم جاء المسيح إلى العالم فأرانا بتعاليمه وأعماله المدونة فى الإنجيل أن له نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الإدراك ، وتراه مسمى فى أسفار اليهود ، كلمة الله وهى ذات العبارة المعلنة فى التوراة ، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا ليسكن بين المؤمنين ، وقد تبين أن لهذا الروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة ، كما للابن ويسمى الروح القدس وهو ذات العبارة المعلقة فى التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله ، والمسمى بروح الله فى نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران فى الإنجيل ، فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح ، وإن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه فى فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد أمر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح بالقوة التأثيرية بل لا بد له أن يعلم أن فى اللاهوت

ثلاثة أقانيم متساوين فى الكمالات الإلهية ، وممتازين فى الاسم والعمل والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الأقنوم الأول الآب ، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبة الكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته الفائقة ، وحكمته الرائعة ، ويدعى الأقنوم الثانى الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضاً الإبن لأنه يمثل العقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتميز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأشياء إليه ، ويدعى الأقنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله فى تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته » .

وبناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ — إلى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر فى اللاهوت الواحد ، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة فى الذات ، والأمانة المشهورة الإلهية . وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزه عنها لأجل هذه الإيضاحات علم خدام الدين المسيحى واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم ، حسب نص الكلمة الأزليه ، ولكل منهم عمل خاص فى البشر ا . هـ[1] .

وأما الأمر الثانى : وهو إرجاع التثليث إلى التوحيد فقد عصروا

(١) محاضرات فى النصرانية للاستاذ الشيخ أبى زهرة ص١١٢ وما بعدها ط مطبعة على أحمد مخيمر الطبعة الرابعة .

فى فهمه أذهانهم ، وقصروا على توضيحه جهودهم ، ثم خرجوا علينا بما خلاصته :

إن الله جوهر فرد ، فإذا تجلى بصفته ذاتا فهو الآب ، وإذا نطق فهو الإبن وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس ، أى أنه واحد من جهة ، وثالوث من جهة أخرى ، على ماسنبينه فى ذكرنا لعقيدة التثليث كما هى عند أربابها .

عقيدة التثليث كما هى عند المسيحيين :

نستطيع من خلال ما قدمنا أن نقول إن خلاصة عقيدة التثليث عند أربابها هى أن الإله مكون من ثلاثة أقانيم[1] هى الآب والابن والروح القدس .

وأن هذه الثلاثة تكوّن فى مجموعها شيئا واحداً هو الله الذى يدين له الكل ، فهو موجود بذاته ، ناطق بكلمته ، (أى ابنه) حى بروحه .

وكل عنصر من هذه العناصر التى تكوّن منها الإله يعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً .

فإذا تجلى بصفته ذاتا سمى الآب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس ، فهل هو إله واحد مقسم إلى ثلاثة آلهة أم هو ثلاثة آلهة مستقلة ؟ أم هو إله من جهة وثلاثة من جهة أخرى ؟

يجيب الأستاذ عوض سمعان على هذا التساؤل فيقول : « الله واحد

---

(١) الأقانيم جمع أقنوم ، وهى كلمة سريانية معناها شخص أو كائن بذاته .

وثالوث ، فهو واحد من جهة وثالوث من جهة أخرى ، فكما أن الإنسان واحد فى مظهره وفى الوقت نفسه هو جوهرياً مكون من ثلاثة عناصر هى الجسد والنفس والروح ، كذلك الله فهو واحد من جهة وجامع أو شامل من جهة أخرى دون أى تعارض أو تناقض فى ذاته ، فالله واحد من جهة الجوهر أو الباطن وهو جامع من جهة التعيين أو الظاهرية وجوهر الله يسمى « اللاهوت » أى الله فى جوهره ، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعينه وظهوره هو « الله » فالله هو اللاهوت معيناً ، واللاهوت هو الله جوهراً ، أى أن الله هو اللاهوت ظاهراً ، واللاهوت هو الله مستتراً والله واللاهوت واحد ، لأن جوهر الله هو عين تعينه وتعينه هو عين جوهره .

ويستطرد الأستاذ عوض سمعان قائلا : « إن الله ليس تعيناً واحداً بل تعينات فذات الله تعينات وكل تعين من هذه التعينات ليس جزءاً من ذات الله بل هو عين ذاته ، أى هو ذات الله نفسها بكل خصائصها وصفاتها الذاتية ولذلك يكون كل تعين من هذه التعينات هو الله وهذه التعينات تسمى الأقانيم ، فالأقانيم هى تعينات اللاهوت أو هم اللاهوت معينا ، أى اللاهوت معلنا فى ذاته وصفاته . اهـ[1] .

ويعلق الأستاذ محمد مرجان على هذا الكلام بعد ما نقله فى كتابه فيقول : والأستاذ عوض سمعان يقرر لنا أن الله رغم إعلانه لنا أنه واحد إلا أنه فى حقيقته وباطنه مكون من ثلاثة أجزاء ، وكل جزء أو

---

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ٩٧ وما بعدها .

تعيين من هذه الأجزاء والتعينات هو إله كامل ، فكاتبنا يقرر أنه بعد فحصه وتشريحه لدواخل الذات الإلهية وبعد كشفه الحجب والأستار عن مكنونات الله ، تبين له أنه ليس واحداً بل ثلاثة والله رغم ظهوره للناس على أنه واحد ، إلا أنه فى حقيقته وداخليته ثلاثة آلهة فهو واحد من جهة ، وثلاثة من جهة أخرى ، واحد فى الظاهر وثلاثة فى الباطن .

ومنطق كاتبنا هذا يجعلنا نعتقد أن الله يظهر لنا غير ما يبطن فهو يظهر للبشر بمظهر لا يعبر عن حقيقته وداخله ، تلك الحقيقة التى تقرر أنه سبحانه مكون من ثلاثة آلهة ، تلك الحقيقة التى استطاع كاتبنا الكبير أن يصل إليها وحده والتى لم يتوصل إليها قبله أحد من العالمين ، إلا من ساروا على دربه واتبعوا نهجه من المتفلسفين والمتفيهقين . اهـ [١] .

وهنا يرد على الخاطر سؤال آخر لماذا أطلقوا على الله الوجود لفظ الآب ؟ وعلى الله الناطق لفظ الابن ؟ وعلى الله الحى لفظ الروح القدس ؟ .

يقول القمص إبراهيم إبراهيم فى جوابه عن مثل هذا السؤال :

إن الذات والد للنطق فيقال له الآب .

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن ، والحياة منبعثة من الذات فيقال لها الروح القدس ، فالله الآب قائم بذاته ، ناطق بخاصية الابن الذى هو النطق حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، والله الابن قائم بخاصية الذات التى هى الآب ، ناطق بخاصته هو ، حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس .

(١) الله واحد أم ثالوث للاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا للطباعة ص ٢٤ .

والله الروح القدس قائم بخاصية الذات التي هي الآب ، ناطق بخاصية النطق الذي هو الإبن ، حي بخاصيته هو التي هي الحياة . اهـ [١] .

ويرى القس توفيق جيد في إجابة هذا السؤال رأياً مخالفاً لرأي القمص السالف تماما فيقول : « إن تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقا إلهية وأسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها ، أو نلحق بها أفكارا من عندياتنا ... » اهـ [٢] .

وأما يس منصور فيرى أن الأقانيم ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها بل هي ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور » اهـ [٣] .

ولعلك ترى معي بعد ما أوردنا إجابة ثلاثة من الكتاب المسيحيين على هذا السؤال أنهم لم يتفقوا فيما أجابوا به ، بل لم يقدم أحدهم جوابا حاسما يقنع المتسائلين عن علة إطلاق لفظ الآب على الله الموجود ، والابن على الله الناطق والروح القدس على الله الحي ، لأن هذا الكلام قد لفق من فلسفات متعددة وأفكار متباينة فجاء عقيما مستعصيا على الأفهام .

تبريرات مسيحية لجعل عقيدة الثالوث مقبولة :

هذا ولما كانت عقيدة التثليث في جملتها وتفصيلها غير مقبولة

---

(١) ذكر ذلك النص الأستاذ محمد مجدي مرجان في كتابه الله واحد أم ثالوث ط مطبعة دار الهنا ص ١١ .

(٢) سر الأزل ص ٥٩ .

(٣) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٦ .

ولا مقنعة فقـد لجأ حماتها إلى تسويغها للعقل والمنطق بمبررات كثيرة منها ما ذكره القس بولس إلياس فى كتابه يسوع المسيـح قال :

« من الناس من يقولون : لم يا ترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم ؟ أو ليس من الأفضـل أن يقال الله واحد وحسب ... ؟ ... ويرد على نفسه قائلا « لـكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث؟ وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً ، فالمحبة هى مصدر سعادة الله والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات ، لمن يحب هبة تـكون فيها سعادتهما ، فليكون الله سـعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالى صورة ناطقة له ولهـذا ولد الله الابن منـذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والإبن كانت الروح القدس » .

ويجارى القس توفيق جيد زميله فى تبريره هذا .

فيقرر أن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله فى الأزل بدون موضوع المحبة ، فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه ، وبعبارة أخرى بدون الثالوت أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومى لا يبقى لله فى أزليته سوى ذاته ليحبها ، وتنزيهاً لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهى نحو الأقنوم الآخر . اهـ [١] .

---

(١) نقل هذين النصين الأسـتاذ محمد مجدى مرجان فى كتابه الله واحد أم ثالوث ط مطبعة دار الهنا ص ١٧ وما بعدها .

ونلمح من خلال هذا التعبير رأياً عجيباً يقرر فيه صاحباه أن الله لما كان محتاجا لشخص آخر يبثه حبه ويجد فيه سعادته ولد ابنا وهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته وأمانيه ، ولم يقولا لنا كيف ولد الأب الابن ؟ هل ولده من ذاته أم من زوج له ؟ ومن هـذه التى صلحت لأن تـكون لله زوجاً ؟ وما هى هذه الرغبات التى وجدها الإله الآب فى ابنـه الحبيب ؟ ثم من هو والد الثمرة التى تولدت من العلاقة بين أقنومى الآب والابن وهى الروح القـدس ... من هو والدها يا ترى ؟ ومن هى والدتها ؟

ورغم أنهما لم يقدما لهـذه الأسئلة جوابا فإنهما قد استخلصا من تبريرهما السالف نظريتهما القائلة بأن الله ليس كائنا تائها فى الفضاء ، أو منعزلا فى السماء ، بل هو أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض على الـكون الخير والحب والجمال .

ومفاد هذه النظرية أن الله عبـارة عن عائلة تتـكون من ثلاثة أفراد ، كل فرد منها مستقل عن الآخر إلا أن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة ، ظاهرة وخفية ، عاطفية وحسية . وقد نتج عن العلاقة بين الآب والإبن ثمرة هى الروح القدس .

ولو صح هذا فمـا المـانع من أن تعقب هذه الثمرة ثمرات أخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الإلهية ، وتتم بها سعادتها ، فقد يشتاق الأب إلى ابنة يبثها حبه وحنانه ، بل قد يكون حبه لها أشـد من حبه للابن ، وتكون فى الوقت ذاته أختاً حانية على أخيها .

وتتكاثر هذه العائلة بمرور الزمن ، ويصبح الأب جداً وتصبح الإبنة أماً ، ويكون الحب الالهى قاصراً على أفراد الأسرة الإلهية .

أما البشر عبيد الله فلا حب لهم ولا حنان لأن حب الله وحنانه مقصور على أفراد جنسه الإلهى وعلى أعضاء عائلته السماوية .

هذا هو تصور دعاة الثالوث لله ذى الجلال فتعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .

ومن هذه التبريرات ما ذكره بعض فلاسفة المسيحية من أن الله لا يمكن أن يكون واحداً من كل وجه لأنه لا بد أن يكون منطوياً على كثرة ، إذ كيف يمكن إيجاد الكثرة الموجودة فى العالم بالوحدة المطلقة ؟

أو كيف يتصور صدور الكثرة باختلاف أنواعها من الوحدة البسيطة المتعالية عن كل كثرة ، لا يتصور هذا إلا إذا قلنا إن الكثرة كانت موجودة فى ذات الأول المحض ، أما إذا قلنا إن الكثرة لم يكن لها أثر ولا رسم فى ذات الله فلا يتصور حينئذ أن تكون تلك الذات علة للكثرة .

ومفاد هذا التبرير أن الله إذا اتصف بالوحدانية المطلقة ما أمكنه خلق الأشياء من العدم ، بل لا بد أن تكون ذاته منطوية على بذور وآثار ورسوم جميع المخلوقات حتى يمكنه إخراجها من العدم إلى الوجود ، فالسماوات والأرض ، والبحار والأنهار ، والإنسان والحيوان ، والطير والحشرات كلها كما يتصور هؤلاء كانت قبل خروجها إلى الوجود موجودة فى ذات الله بآثارها ورسومها ، فأخرجها من ذاته إلى الوجود .

وسيراً وراء هذا المنطق الغريب واتباعا لقولهم بكون الإنسان على صورة الله فإن علينا أن نقول إن النجار الذى صنع كرسيا مثلا لم يفعل فيه شيئا غير أنه أخرج مواد الكرسى من ذاته ، ثم ركبها لتكون كرسيا يجلس عليه الناس ، وهكذا فى الرسام ،والمثال ، والفنان والأديب ،والشاعر إلى غير ذلك من هؤلاء الذين يخرجون إلى الوجود أشياء لم تكن موجودة ، وإلا فكيف أمكنهم خلق تلك الأشياء من العدم ؟

بمثل هذه التبريرات العجيبة وذلك المنطق الغريب يريد دعاة الثالوث أن يقنعونا بالتثليث والتعدد ،وأن يجبرونا على استساغته وتقبله ، ولكنهم فى الحقيقة يزيدون اللغز تعقيدا والأمر غموضا .

تشبيهات مسيحية لتقريب عقيدة التثليث :

لم يكتف حماة العقيدة الثالوثية بما ذكره بعضهم من تبريرات لتسويغ تلك العقيدة فى العقل والمنطق ، بل أخذوا يضربون الأمثال والتشبيهات لتقريبها إلى الأذهان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فشبهوا الله تارة بالإنسان وتارة بالشمس ، وتارة بالنار ، وتارة بالتفاحة ، وتارة بالشجرة ، وتارة بفتيل الشمعة ، وتارة بينبوع الماء .

فكما أن الإنسان يتكون من ذات وروح وعقل وثلاثتها تكون كائنا واحدا هو الإنسان ، وكما أن الشمس تتكون من جرم ونور وحرارة وثلاثتها تكون شيئا واحداً هو الشمس .

وكما أن التفاحة تتكون من طعم ورائحة ولون، وهذه العناصر الثلاثة تكون ذاتا واحدة هي التفاحة، وكما أن الشجرة تتكون من أصل وساق وثمرة وثلاثتها تكون جسما واحدا هو الشجرة، فكذلك الله يتكون من الآب، والابن، والروح القدس، وثلاثتها تكون ذاتا واحدة هي الله. [illegible] « [illegible] »

وقد نسى هؤلاء المشبهون أن ما شبهوا به إلههم قد يتكون من أكثر من ثلاثة عناصر فهل نزيد فى المشبه ما نجده زائدا فى المشبه به، أو بمعنى آخر هل نقول إن الله مكون من خمسة أقانيم لأن التفاحة مثلا — وهى أحد ما شبهوا به الله — مكونة من خمسة عناصر هى الطعم — ويحس بالذوق — والرائحة — وتحس بالشم — واللون ويحس بالبصر — والملمس ويحس باللمس — والذات الجامعة لهذه الخصائص [illegible]، نقول: كما تكونت التفاحة من خمسة عناصر يكون الله مكونا من خمسة عناصر وهكذا دواليك كلما زاد عدد عناصر المشبه به زاد عدد عناصر المشبه وهو الله عز وجل [illegible]
[illegible] [سبحان ربك رب العزة عما يصفون] [illegible]

السر فى جعل الأقانيم ثلاثة :

وينتقل حماة العقيدة الثالوثية من تسويغها بالمبررات، وتقريبها بالتشبيهات إلى الإفصاح عن سر قصرهم عناصر الله وأقانيمه على ثلاثة فقط فيقولون: إن العدد ثلاثة هو أول عدد فردى كامل بحيث لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة للكمال،

— ١

والإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية ، والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية وكذلك الله فهو مكون من ثلاثة أقانيم ، وفى التدليل على أهمية العدد ثلاثة يقولون إن الأمثال العامية تقول « الحبل المثلوث لا ينقطع » « المرة الثالثة ثابتة » من أجل هذا يكون الله أيضاً مكونا من ثلاثة أجزاء .

ولا ندرى كيف استباحوا لأنفسهم أن يمثلوا الخالق العظيم بمخلوقاته الضعيفة ، بل كيف وصل بهم الاسفاف فى التشبيه الذى بلغ حد الهذيان بتمثيل الله سبحانه وتعالى بالحيوانات والنباتات والحبال المثلثة .

ولا ندرى أيضاً على أى أساس حسابى أو عقلى بنوا قولهم إن العدد ثلاثة هو العدد الذى تتوافر فيه خصائص الوحدانية فكيف يكون الثلاثة واحد ؟ وكيف يكون الواحد ثلاثة [1] .

ولا ريب أن هذا الغموض المخيم على عقيدة التثليث هو الذى حدى بدعاة الثالوث وحماته إلى التخبط فى دياجير هذه الأقوال وغيرها بغية أن يستنبطوا سر ثالوثهم وهيهات . هيهات فما لهذا الثالوث من سر إلا ما ارتكبه الأقدمون من خلط بين العقيدة الصحيحة والفلسفات المختلفة والوثنيات القديمة خلطا أدى إلى خلق نوع من الاعتقاد الغامض

---

(١) انظر ماجاء عن ذلك فى كتاب « الله واحد أم ثالوث » للاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا ص ٣٤ .

والمشوه ، الملتبس المشوش الذى يفضى بمتبعيه دائما إلى الحيرة والضلال ولولا هذا لبقى توحيد المسيح عليه السلام وأصحابه لله تعالى غضا طريا خالصا من الشوائب والأخلاط .

اختصاصات الثالوث وأعماله .

وبعد أن قسم دعاة الثالوث إلههم إلى ثلاثة أجزاء وبينوا السر فى هذا التقسيم أخذوا يضعون لكل واحد من هذه الثلاثة عمله الخاص به :

فجعلوا الله الآب مصدرا للعدل والخلق والتبنى .

وجعلوا الله الابن مصدرا للرحمة والفداء وغفران الخطايا .

وجعلوا الله الروح القدس مصدرا للنعمة ومنح الميلاد الثانى ، والحياة الطاهرة ، وتقديس النفوس . فمن يرد العدل فليتجه إلى الآب ، ومن يبتغ الرحمة أو يرجو المغفرة فليتوسل إلى الابن ، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس .

هكذا وزعوا الأعمال والاختصاصات والوظائف على الأقانيم الثلاثة ، فليس لأحد منها أن يجاوز حده الذى رسم له ، أو اختصاصه الذي نيط به ، فلا يستطيع الآب أن يغفر خطايا المذنبين ، ولا يتمكن الابن من إيجاد أحد المخلوقين ، ولا يملك الآب والابن معا منح الميلاد الثانى والحياة الطاهرة لأحد من العالمين ، ولا يقدر الروح القدس على الرحمة أو العدل بين الناس أجمعين .

وليس هذا كلاما نفتريه على الأخوة المسيحيين ، بل هو فكرهم الذى دونته أقلامهم وحملته إلينا كتبهم .

يقول القس توفيق جيد فى ذلك ما نصه :

« إن عملية خلاص الإنسان التى هى قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان ، هذه العملية تفترض حاكما وقاضيا ، وتتطلب مخلصا وفاديا ، وتستلزم مقدسا ومحييا .

إنها تفترض حاكما وقاضيا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطىء وهلاكه ومن يكون ذلك الحاكم القاضى سوى الأقنوم الأول فى اللاهوت ، الله الآب ، وتتطلب مخلصا وفاديا يرفع الحكم عن الإنسان الشقى ومن يكون ذلك المخلص الفادى سوى كائن بشرى مثله ، دون الكائن هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت الله الإبن ، ثم إن عملية الخلاص تستلزم مقدسا ومحييا ، محييا يخلق من الإنسان الخاطىء إنسان جديداً فى البر وقداسة الحق ، ومقدسا يعيد للانسان الفاسد صورة القداسة المفقودة ، ومن يكون ذلك المقدس المحى سوى كائن إلهى قادر على كل شىء هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت أى الروح القدس ا . ه[1] .

ويقارن القمص إبراهيم إبراهيم بين وظائف الآب والابن فيقول فى كتابه رسالة التثليث والتوحيد ما نصه : « الآب لم يتجسد ولكن الابن تجسد ، والآب لم يصلب ولكن الابن صلب والآب لم يقم بدور الوسيط ولكن الإبن قام بدور الوسيط » ا . ه .

على هذا النسق العجيب وزعوا الوظائف والمهام على الأقانيم الثلاثة الإلهية فالآب حاكم وقاض يحكم بالشفاء ويقضى بالهلاك ، والابن مخلص [illegible]

(١) سر الازل ص ٢٠ .

وفاد يقوم بإلغاء حكم الآب فيخلص الأشقياء ويفدى الهالكين والروح القدس منعم ومحى يقوم بتقديس التعساء وإحياء الميتين ، وجعلوا للابن الدور الرئيسى من هذه الأدوار فهو يتجسد ، ويفدى ، ويشفع . أما الآب والروح القدس فهما لا يفعلان شيئا من ذلك .

وتأسيساً على هذا التوزيع لأصناف العمل بين أفراد الثالوث الإلهى قام فلاسفة المسيحية بتقسيم الصلاة الربانية – وهى التي يفتتح بها المسيحيون صلاتهم اليومية إلى دعوات ثلاثية يبتهل بها المسيحى إلى الثالوث الإلهى ، مختصا كل أقنوم منها بابتهال معين لا يبتهل به إلى غيره من الأقنومين الآخرين .

وهاك بعض نصوص تلك الصلاة ،

أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك (توسل إلى الآب مصدر العدل) ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة) .

لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة] .

خبزنا الذى للغد أعطنا اليوم [توسل إلى الآب] .

ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير [توسل إلى الابن] . إلى آخره .

قال الأستاذ محمد مجدى مرجان بعد ما أورد هذه النصوص من الصلاة الربانية « كذلك يقوم الآباء والكهنة فى الكنائس بتوزيع بركاتهم على الشعب المسيحى باسم هذا الثالوث المقدس قائلين « نعمة

ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم » .

ويشرح الأستاذ يس منصور معنى هذه البركة الثلاثية بقوله « إن الله الآب يظهر محبته للشعب المسيحى ويحرسهم ، وربنا يسوع المسيح يظهر نعمته ويرحمهم والروح القدس يظهر شركته ويمنحهم سلاما » .

هكذا لا يرفع الإنسان وجهه لله إلا وهو ينظر إليه بعقل موزع بين هذه الأقانيم الثلاثة وبقلب مشتت بين تلك الآلهة الثلاثة ، ولا يفتح فمه أو يحرك لسانه داعيا ومصليا إلا وهو يناجى كل أقنوم مناجاة خاصة ، يختص كل إله بدعاء وصلاة مقصورة عليه ويطلب من كل رب حاجة يرجوها عنده ولا يجدها عند غيره من الأرباب .

هكذا ننظر إلى الله من خلال هذه الأقانيم التى يتكون منها ومن خلال تلك الوجوه الثلاثة التى يلبسها ، وجه آب ووجه ابن ، ووجه روح قدس ، ننظر إليه من خلال كل ذلك ، فلا نجده ذلك الإله الذى يملأ الوجود والذى ينصاع له كل موجود ، بل نجده موزعا ومنقسما إلى ثلاثة آلهة ينسب إلى كل إله منها بمفرده العجز والنقص والاحتياج ، فكل إله منها له اختصاص ، وكل رب استولى على سلطان وكل أقنوم ذهب مذهبا !!

يقول بعض القساوسة « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية هذه الأقانيم الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء » .

ويقول الأستاذ عوض سمعان : إن الأقانيم مع تميز أحدها عن الآخرفى الأقنومية ، هم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته

لكن كيف يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد فى الجوهر ، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء ، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم ومع ذلك يقال إنهم واحد فى كل الصفات والخصائص والمميزات ، أليس فى هذا القول تناقض ، كيف يتميزون ولا يتميزون . . . ؟

وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالا منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منها الآخر ويتحدث عنه أو إليه .

فيخاطب الآب الابن بقوله « قال الرب لربى أجلس عن يمينى » [م . ١١ : ١] ويتكلم الابن عن الآب فيقول « أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى » [يو ٧/٢٩]

ثم يتخاطب الابن والآب سويا قائلين « أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً » [يو ١٢/٢٨] .

ويتكلم الابن عن الروح القدس فيقول « ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم ... » [يو ١٦/١٤] .

كذلك نجد أن الأقنوم الواحد يرسل الآخر أو يخرج أحد الأقانيم من الأقنوم الآخر وينفصل عنه فالآب مثلا يرسل الإبن « الله أرسل الابن » [يو ٤/١٤] .

ويقول الابن خرجت من عند الآب (يو ١٦/٢٨)

والآب والروح القدس أرسلا الابن . والابن أرسل الروح القدس وهكذا . . . هذا التخاطب بين الأقانيم ، وخروج أحدها من الآخر وإرسال أحدها للآخر ، يعني إنفصالا بين الأقانيم انفصالا يمنع الوحدة بينها ، بل يمنع أيضاً المساواة بينها ففى موضوع الارسال مثلا لاشك أن المرسل أعلى درجة من المرسل أو الرسول فحين يرسل الآب الابن مثلا فلا شك أن الآب أعلى من الابن فهو كإرسال السيد خادمه ، أو كإرسال الرئيس مرءوسه ، يقول السيد المسيح «الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبــد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله » (يو ١٣/١٦)

وكذلك فان المرء ليتساءل ، كيف أمكن خروج الابن الذى هو فى اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام ، كيف أمكن خروجه وتجسده وانفصاله عن اللاهوت ، ودخوله رحم السيدة العذراء مريم وامتزاجه بلحمهاودمها ثم خروجه من بطنها إنسانا له كل الصفات الإنسانية ومع ذلك يمثل جانباً فى الله ، جانبا يمثل فى نظرهم أهم جوانب الله ! ! . هـ [١] .

تلك هى نظرة المسيحية لما يقوم به ثالوثهم الإلهى من وظائف وأعمال ، صورها أحد قساوستهم الكبار الذى أبى أن يكبل عقله بالخرافات والأوهام ، فأعلن كفره بالمسيحية ودخوله فى دين الإسلام .

---

(١) الله واحد أم ثالوث للأستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا ص ٣٠ ومابعدها

الأسس التى بنى عليها الثالوثيون تأليههم للمسيح :

سبق أن ذكرنا أن الفلسفات الرومانية ، والأفلاطونية الحديثة ، والاغريقية ، كان لها أثر كبير فى تكوين عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح ، ولكن علماء المسيحية وقساوستها لايقبلون هذا بالطبع ولا يرتضونه ، بل يرون أن عقيدتهم تلك قد قامت على أسس ثابتة منها مايأتى :

أولا : كان ميلاد المسيح معجزة ، فهو لم يخرج من بين أب وأم كسائر الناس بل من العذراء خرج ، دون ماأب حتى يظل طاهراً من الخطيئة التى ورثها آدم لأبنائه جيلا بعد جيل ، فلو لم يكن إلها من إله ماوقع له ذلك الميلاد المعجز ، الذى لم يحظ به أحد من الناس أجمعين ، وكيف يتأتى مثل هذا لواحد من البشر وهو لايكون إلا لإله ؟

ثانياً : الباحث فى حياة المسيح على الأرض يجد أنها كانت حياة طاهرة ، بريئة من الخطأ والزلل بعيدة عن الدنايا والرذائل ، وذلك لايكون إلا لشخص إلهى ، لم يفد إلى الأرض ليعيش عليها كما يعيش سائر الناس ، بل جاء من قبل أبيه ليخلص العالم ويطهره من الخطيئة الكبرى . التى دنسته أمداً طويلا من الزمان .

ثالثاً : كان المسيح عالما بكل شىء علما دقيقاً مفصلا وهذا لايكون إلا لإله فالمسيح إذن هو الله .

رابعاً : من صفات الله أنه يكون موجوداً فى كل مكان وقد أعلن المسيح بكلمات صريحة عن وجوده فى كل مكان وترنم داود قديماً

بقوله عن المسيح « أين أذهب من روحك ، ومن وجهك أين أهرب ؟
إن صعدت إلى السموات فأنت هناك ، وإن فرشت فى الهاوية فها أنت
إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى
يدك وتمسكنى يمينك » (مز ١٣٩ : ٧ — ١٠) فهل يكون المسيح بعد
ذلك إلا إله ؟ .

خامساً : أعلنت الأفلاك فى مداراتها والنجوم فى أبراجها منذ
أمد طويل عن مجىء ابن الله إلى الأرض مخلصا وفاديا ، وموته على
الصليب ثم قيامته بعد دفنه وصعوده بعد ذلك وجلوسه عن يمين أبيه
فى السماء . فبرج العذراء يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ، وبرج
الميزان يرينا أن البشر قد وزنوا بالموازين فوجدوا ناقصين ، وبرج
العقرب . وقد ترجم — فى الإنجليزية بالحية ، يرينا الحية القديمة التى
سممت حياة الإنسان بالخطية ، وبرج القوس يرينا المسيح الظافر المنتصر
الذى سحق رأس الحية بموته على صليب ، وبرح الجدى يتحدث عن ناحية
من نواحى عمل المسيح على الصليب كما نقرأ فى لاويين ٩ : ٣ ، وبرج
الدلو يتحدث عن المسيح ينبوع الماء الحى كما نقرأ فى يوحنا ٤ : ١٤
و ٧ : ٣٧ — ٣٩ ، ورؤ ٢٢ : ١٧ وبرج الحوت يرينا المسيح المدفون
المقام من الأموات « لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام
وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث
ليال » مت ١٢ : ٤٠ وبرج الحمل يرينا المسيح حمل الله الذى يرفع خطية
العالم يو ١ : ٢٩ وبرج الثور يرينا المسيح ذبيحة الخطية كما نقرأ

فى لاوين ٤ : ١٣ — ١٥ ، وبرج الجوزاء أو التوأمين يرينا المسيح فى يوم عرسه رؤ ١٩ : ٧ — ٩ كما يرينا إياه ، وقد صالح العبرانيين والأمم مع الله بالصليب أفسس ٢ : ١٦ ، وبرج السرطان يرينا الإنسان العتيق سرطان الجنس البشرى الذى سيمحو الله ذكره من تحت السماء وأخيراً برج الأسد الذى يرينا النصرة النهائية للمسيح كما نقرأ فى الكلمات ، هو ذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة رؤ ٥ : ٥ وسيأتى اليوم القريب الذى نسمع فيه الهتاف الجميل « قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين » رؤ ١١ : ١٥ .

وإنك لتلمح ذلك واضحا فى الآيات الأولى من سفر التكوين حيث تقول ما نصه :

وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنورا فى جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك . فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم . وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض . ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة » تك ١ : ١٤ — ١٨ فإن كلمة « آيات » الواردة فى النص السابق قد جاءت فى العبرية بمعنى « الآتى » وكلمة « أوقات » تعنى فى العبرية « أوقاتا معينة » .

فالنص الذى معنا إذن يتحدث عن شخص سيأتى فى وقت معين . وما أن جاء حينه حتى ظهر للمجوس فى المشرق نجمه فجاءوا يبحثون عن

الوليد ليسجدوا له كما أخبر بذلك متى فى إنجيله .

وترنم داود قديماً بتلك النبوءات الفلكية عن نزول ابن الله ومجده إلى الأرض وتخليصه للعالم ثم عودته إلى أبيه . مز ١٩ : ١ و ٢ .

فإذا كانت النجوم فى بروجها والأفلاك فى مداراتها تتحدث عن المسيح ، وداود يترنم بذلك فى مزاميره فكيف يكون المسيح إذاً مجرد إنسان ، إنه الله الابن المسيطر على الكون « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » عب ١ : ٣ ، على أساس اعلانات الفلك والنجوم عن المسيح أمناً بأنه الله ، إذ الفلك لم يتحدث قط بهذه الصوره الرائعة عن كائن من بنى الإنسان .

سادساً : ما امتاز به المسيح من القدرات الخارقة على فعل المعجزات التى لم يجر مثلها على يد الأنبياء من قبله يجعل كل انسان يؤمن إيماناً عميقاً بأن المسيح هو الله ، ولا يقال كانت للانبياء السابقين معجزات أجراها الله على أيديهم تصديقاً لهم فى دعوى النبوة ولم يصيروا بها آلهة فما بال عيسى قد صيرته معجزاته إلهاً ، لا يقال هذا لأن الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزات عيسى كبير ، فمعجزات الأنبياء لم تأتهم بقدرتهم الشخصية ، وإنما أتتهم من الله .

أما عيسى فإنه لما كان إلهاً كانت كل معجزاته — من اسكاته البحر والرياح إلى شفائه المرضى والعميان — نابعة من قدرته الشخصية الإلهية ، لهذا قلنا إن قدرة عيسى على المعجزات هى إحدى الأسس التى يبنى عليها الإيمان بأن عيسى هو الله .

سابعاً : ماصرحت به الأناجيل من أن المسيح هو الله وهوابن الله الحبيب يدل دلالة قاطعة على أنه لافرق بين الآب والابن وأن المسيح هو الله لامحالة الأمر الذى يجعل الإيمان بمثل ذلك أمراً حتمياً لاشك فيـــه .

من تلك النصوص ماجاء فى انجيل متى عن الله من قوله هذا هو ابنى الحبيب به سررت (٣ : ١٧) .

وما جاء فى انجيل يوحنا من قوله فى وصف المسيح « فى البدء كان الـكلمة ، والـكلمة كان عند الله ، وكان الـكلمة الله كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان .. والـكلمة صار جسداً ،وحل بيننا ،ورأينا مجده مجداً » (١ ، ١ ، ٣ ، ١٤) .

وما جاء فى يوحنا أيضاً من قوله : «أنا هو القيامة والحياة : من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (١١ : ٢٥)

وفى يوحنا كذلك : أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب الابى (١٤ : ٦) .

إلى آخر ماجاء فى الأناجيل صراحة عن كون المسيح هو الله وابنه الحبيب فكيف يحيد أحد عن الايمان بألوهيـة المسيح ويقول بغير ذلك .[1]

---

(١) كذا ذكره القس لبيب ميخائيل فى كتابه هل المسيح هو الله ط المطبعة التجارية الحديثة الطبعة الثانية من ص ٥٢ : ٢١٠ .

تلك خلاصة وافية فيما نرى لعقيدة التثليث وألوهية المسيح كما هى عند أربابها .

ونستأذن القارىء الكريم فى أن نزن هذه العقيدة بميزان العقل السليم ثم نعرضها على القرآن الحكيم ، لأنه الكتاب السماوى الوحيد الذى تضافرت سائر الأدلة على ثبوته وحقيته كما بيناه فى الباب الاول من أبواب هذا الكتاب ، ثم نتصفح من جديد الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فى روية وأناة . لنعرف ماذا تعنى لفظة الابن والآب فيه حتى يبين الحق ويظهر ، فيهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة فنقول وبالله التوفيق . .

عقيدة التثليث فى ميزان العقل السليم

لما كان العقل هو نعمة الله الكبرى ، ومنحته العظمى التى وهبها لابن آدم وجعله بها محل تكريمه وتفضيله ، كما أخبر بذلك فى القرآن حيث يقول ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[١] .

وموضع تكليفه بالشرائع والأحكام فلا تثريب ولا حساب على صبى ، أو نائم أو مجنون ، كما أخبر سبحانه بذلك فى كتابه الكريم أيضا حيث يقول ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾[٢] .

---

(١) الاسراء ٧٠ (٢) البقرة ٢٨٦

وكما صرح به الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم فى قوله ﴿ رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يفيق ﴾ إلى آخر ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة عن هذا الموضوع الذى لا اختلاف بين الناس فيه .

لما كان العقل من الإنسان بهذه المنزلة كان هو الميزان الدقيق الذى يوزن به كثير من الأشياء فى تلك الحياة ، ولا سيما ما يقوم منها على الأدلة والبراهين كالمعتقدات والأفكار .

لذا فقد رأينا أن نبدأ فى مناقشة قضية التثليث بعرضها على العقل السليم حتى يقول فيها كلمته .

تأملات فى وظائف الثالوث :

وأول ما يطالعنا فى هذه القضية الهامة هو ما يقوله دعاة الثالوث من أن هناك ثلاثة أقانيم إلهية أزلية ، يقوم كل منها بعمل معين لا يتعداه إلى غيره ، وهنا يتساءل العقل ماذا يحدث لو أن أحد الأقانيم كالآب مثلا قام بعمله المنوط به وهو العدل فى طائفة ما من خلقه ، وجاء الأقنوم الثانى الابن فأصدر حكمه على نفس تلك الطائفة بالعفو والرحمة ، إن أنفذ الأول حكمه وحجب الثانى بقدرته كان هو الإله دون الثانى ، وإن حدث العكس كان الثانى هو الإله لا الأول ، وإن اتفقا على أن ينفذا العدل والرحمة معا فى تلك الطائفة أدى ذلك إلى حدوث التناقض ، ولا سيما إذا كان العدل يقضى بالقسوة والعفو يقضى

برفع تلك القسوة ، وكان وقوع هذين الأمرين على ذات واحدة في آن واحد ومن جهة واحدة ، وإن اتفقا فيما بينهما على اختصاص كل واحد منهما بطائفة من الخلق ينفذ فيها حكمه دون الآخر أدى ذلك إلى تحديد قدرة كل منهما من ناحية ، وحرمان ما اختص به الأول من الرحمة وما اختص به الثانى من العدل من ناحية أخرى ، وهذا أمر لا يقبله منطق ولا يقره عقل .

ثم ماذا عن الكون كله ؟ هل اتفقت أقانيمهم الثلاثة على خلقه ؟ أم اختلفت فيه ؟

إن افترضنا الأول فإن ذلك سيؤدى بالضرورة إلى احتياج كل منها إلى الآخر ، لأن أيا من تلك الأقانيم لن يكون مستقلا بالخلق دون الآخر ، بل يساعد بعضهم بعضا فى أداء تلك المهمة الشاقة ، وهذا بدوره يفضى إلى العجز ، والعجز نقص ، والنقص على الله تعالى محال .

وإن افترضنا أنهم تقاسموا هذا العمل فيما بينهم فاختص الله الآب مثلا بخلق السماوات والسيطرة عليها ، واختص الله الإبن بخلق الأرض والبحار والتحكم فيها ، واختص الله الروح القدس بخلق بقية الكون وتسيير دفته ، فإن ذلك سيؤدى بالضرورة أيضا إلى عجز كل أقنوم أو إله منها عن فعل ما يفعله الآخر . وقصر سلطانه على ما اختص به دون سواه فيصدق على أحد هذه الأقانيم ما لا يصدق على الآخر ، ويقدر أحدها على ما لا يقدر عليه الآخر ، وهذا يتعارض أيضا مع صفات الألوهية التى من مستلزماتها أن تكون سلطة الله وقدرته غير محدودة .

وإن افترضنا أن الأقانيم الثلاثة قد اتفقت فيما بينها على أن يتولى أحدها خلق العالم دون الأقنومين الآخرين ، فيقوم الآب مثلا بهذا العمل وحده ، فإن ذلك سيؤدى بالضرورة إلى تعطيل الأقنومين الآخرين ، وحينئذ يصبحان لا فائدة فيهما ولا قيمة لأى منهما ، وعليه فلا داعى لوجودها ولا للقول بألوهيتهما ، لأنهما لا يضيفان جديدا إلى الحقيقة الإلهية .

وإن افترضنا اختلاف الأقانيم الثلاثة ، أو الآلهة الثلاثة فى خلق الكون وتنظيمه أدى ذلك إلى الطامة الكبرى لأن أحدهم سيخلق والآخر سيعدم ، وأحدهم سيغنى والآخر سيفقر ، إلى آخر ما يفضى إليه هذا الصراع الرهيب من خلل فى هذا الكون ونقض لنظامه ، فصدق الله العظيم حين قال فى محكم كتابه : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[1] ﴾ .

ومن عجب أن أصحاب الثالوث قد أقروا بالتخالف والتعارض بين أقانيمهم الإلهية فى مسألة غفران خطيئة آدم ، فزعموا أن الله الآب [الحاكم القاضى] قد أصدر حكمه بالموت والهلاك ، والشقاء على آدم ونسله من البشر وذلك لعصيانه ربه وأكله من الشجرة المحرمة ، ولكن الله الابن [المخلص الفادى] لم يوافق على هذا الحكم فقام بإلغائه وأمر بتخليص البشرية وغفران خطاياهم ، أما الله الروح القدس

(١) المؤمنون : ٩١ .

(المقدس المحيي) فيبدو أنه انحاز إلى جانب الله الابن فى معارضة حكم الله الآب فقام بتقديس وإحياء الخطاة الآثمين ، كل هذا رغم إرادة الآب الحاكم القاضي .

ونسى هؤلاء أو تناسوا ما تجره هذه الاختلافات التي أقروا بوقوعها بين آلهتهم من المصائب العظمى ، والطوام الكبرى على الكون كله ، إن أي تغير أو انحراف فى مسار الكواكب أو المجرات أو النجوم ليفضي إلى القضاء على الوجود كله ، فكيف بصراع الآلهة الذين يملكون الإيجاد والإعدام ، والتعمير والتدمير ... ومن ياترى تكون له الغلبة منهم ؟ ومن هم مؤيدو كل إله فى نزاعه مع زملائه ؟ ومن هم ضحايا هذا النزاع من المخلوقات . . . ؟

إلى آخر تلك الأسئلة الكثيرة التي يسألها العقل عندما تعرض عليه فكرة تعدد الآلهة فى الكون لأن تعدد الالهة فى الحقيقة مدعاة للتناحر والتخالف المفضي إلى فساد الكون وتدميره قال تعالى موضحا هذا الأمر بأجلى بيان ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[1] ﴾ .

يقــول الأستاذ محمد مجدى مرجان الذى كان مسيحياً فأسلم حول هذا الموضوع مانصه :

« نعم إن تعدد الآلهة يؤدى إلى انقسامها وتنازعها ، وإلى تنابزها وتناحرها وفى خضم هذا الصراع تفسد السماوات والأرض وتفنى الموجودات ويحل بالكون الدمار .

(١) الأنبياء : ٢٢ .

إن كل هيئة أو منظمة أو مؤسسة فى الوجود ليس لها سوى رئيس أو قائد واحد ، فالدولة رئيسها واحد ، والطائرة قائدها واحد ، والسفينة إذا قادها اثنان غرقت ، والوحدانية هى طبيعة النظام فلا يقبل العقل أن يتحكم فى الكون أكثر من قوة واحدة فإذا أمعنا النظر فيما يحيط بنا ولاحظنا الكائنات والموجودات المتجانسة ، وتأملنا الأرض التى نعيش فوقها وكيفية دورانها حول نفسها ودورانها فى نفس الوقت حول الشمس فى دقة وإحكام ، ثم تعاقب الفصول فى دورية وثبات ، وحركات الكواكب والنجوم والمجرات ، تدور فى نظام محكم حول بعضها وحول نفسها بسرعة فائقة فلا تنحرف ولا تتصادم ، وإذا تفحصنا ما ركب فى جسم الإنسان والحيوان والحشرة والنبات من أجهزة معقدة وخلايا وذرات متعددة تعمل فى نظام وتتحرك فى إحكام ، إذا تأملنا بعضا من ذلك وغيره كثير لأيقنا أن هذا الكون العظيم خاضع لمبدأ واحد استنه مدبر واحد فلو تعدد خالق الكون ومدبره لوجد التناقض وعدم الاتفاق ولحلت الفوضى محل النظام ، ولتنازع الآلهة والأقانيم ولفسدت الأرض والسماوات ، ولهلكت الكائنات والموجودات ، ولتلاشى الكون والوجود » ا . هـ[1] .

البراهين العقلية على بطلان الجمع بين التثليث والتوحيد :

ولكن قد يقول حماة الثالوث ودعاته ، نحن لا نؤمن بثلاثة آلهة

---

(١) الله واحد أم ثالوث للاستاذ محمد مجدى مرجان ج ١ دار الهنا ص ٦٦ وما بعدها.

كما يقال ، بل نؤمن بإله واحد له ثلاثة أقانيم هى الآب ، والابن والروح القدس ، وهذا الإله الواحد بأقانيمه الثلاثة هو الذى يدبر الكون ويديره وعليه فلا تعدد ولا فساد كما زعم الزاعمون .

ولو حاولنا إقناع عقولنا بهذا المنطق الغريب ما استطعنا إلى ذلك سبيلا لما يأتى :

أولا : إن القول باتصاف شىء بالوحدة والتعدد معاً فى وقت واحد وزمن واحد أمر بدهى البطلان لأن التوحيد وحدة ، والتثليث كثرة ، والكثرة والوحدة نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . فلا يمكن أن يكون الشىء واحدا وكثيرا فى زمن واحد ، وفى مكان واحد ومن جهة واحدة ، ولا يمكن أن يكون ذلك الشىء غير واحد وغير كثير فى زمن واحد وفى مكان واحد ومن جهة واحدة ، بل لابد أن يتصف بأحد هذين الوصفين الوحدة أو الكثرة ، فوصف الله بالتوحيد الحقيقى والتثليث الحقيقى معا فى زمن واحد ، ومن جهة واحدة أمر بدهى البطلان لا يقره العقل ولا يقبله ، والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وإن كانا ضدين فى غير الواجب لكنهما غير ذلك فى الواجب هو من السفسطة المحضة لأنه إذا ثبت التناقض بين التعدد والوحدة امتنع اجتماعهما فى أمر ما فى زمن واحد ومن جهة واحدة وفى مكان واحد ، واجبا كان هذا الأمر أو غير واجب ، لأنهما لو اجتمعا فى أمر ما واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب لأدى ذلك إلى كون الجزء كلا ، والكل جزءا ، إذ الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح وليس

مجموع آحاد رأسا ، وإنما هو ثلث الثلاثة والثلاثة مجموع آحاد فيكون الواحد بناءا على ذلك جزء الثلاثة ، فإذا اجتمع الواحد والثلاثة معاً فى أمر ما أدى ذلك إلى كون الجزء وهو — الواحد — كلا والثلاثة وهى مجموع الآحاد جزءا ، وهذا ما لا يمكن قبوله أو تصوره . ثم إن وصف الله سبحانه بالتوحيد الحقيقى والتثليث الحقيقى معا من جهة واحدة وفى زمن واحد يستلزم كونه تعالى مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل وهو الثلاثة :

والجزء — وهو الواحد — على نحو ما بيناه سلفا ، والكل مركب من أجزاء ، وكل جزء من هذه الأجزاء مركب من الأجزاء التى تكون ذات هذا الجزء وهكذا دواليك وكون الشىء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا ، ويستلزم أيضاً كون الواحد ثلث نفسه وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها ، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة وهذا واضح البطلان .

فإذا قالوا إن مرادنا من وصف الله بالتوحيد والتثليث هو أنه سبحانه واحد مكون من ثلاثة أجزاء أو عناصر رئيسية قلنا : إن هذه الأجزاء أو العناصر التى تكون الله منها فى زعمهم إما أن يكون كل جزء منها محتاجاً إلى الآخر ومفتقرا إليه أو لا ، فإن كان الأول لزم احتياج الله إلى غيره وذلك الغير هو أجزاؤه التى تركب منها ذاته إذ الجزء غير الكل والاحتياج نقص ، والنقص على الله تعالى محال .

وإن كان الثانى فلا جدوى من تكونه من هذه الأجزاء مادام

كل واحد منها مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الجزء الآخر ، اذ ما الفائدة مثلا من وضع إنسان بجوار حجر ، أو حيوان بجوار حجر دون ما علاقة بين هذا وذاك هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الشيء المركب من أجزاء أو عناصر لا يتركب من هذه الأجزاء إلا بعد وجودها أولا ومعلوم أن وجود الله أبدى أزلى غير مسبوق بوجود شيء قبله، فكيف يتأتى تركيبه سبحانه من أجزاء أو عناصر ، ثم أين كانت هذه الأجزاء قبل أن يركب منها الإله جل فى علاه ومن ذا الذى ركبه منها وكونه حتى صار بالصفة التى وصفوه بها ، لأن الأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون أحد يتولى هذا الضم وذلك التركيب والله سبحانه غير محتاج إلى من يكونه ويركبه بل هو موجود بذاته أزلا لم يسبق وجوده وجود ولم يلحقه عدم .

﴿هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (١)

وكذلك فان الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها فهو محدود بحدود الأجزاء التى ركب منها ، وبالتالى فمن الممكن رؤيته وتحديده فهو يتحيز بمكان وحيز معين ، والله جل سناه، وعزَّ فى علاه غير محدود ولا متناه ، فلا يحده مكان أو زمان ولم يره أحد ؟ فهو غير مركب بل هو واحد وحدانية مطلقة .

ثانياً : مايصفون به الأقانيم من صفات مقدسة إما أن يكون على سبيل الكمال المطلق لكل واحد منها أو لا ، فان كان الأول لزم تعدد

---

(١) الحديد آية ٣ .

الموصوف بالكمال المطلق وهو محال لأن تساوى الثلاثة فى الوصف بالكمال المطلق يفضى إلى استقلال كل منها عن الآخر وعدم احتياجه إليه فيكون كل منها إلها كاملا كمالا مطلقا له الحكم والأمر دون ماسواه ، وهذا غير ممكن لأن من هو كامل كمالا مطلقاً فى نهيه وأمره ، وخلقه وحكمه ، وسائر صفات الكمال سيصير بالضرورة مربوبا لمن يماثله فى النهى والأمر والخلق والحكم ، وما إلى ذلك من سائر صفات الكمال ، وإلا فكيف يكون كاملا وهناك من لا يخضع لسلطانه ، ولا يرضخ لحكمه ، لذا قلنا إن وصف المتعدد بالكمال المطلق فى كل شىء محال فلا كامل إلا الواحد القهار .

وإن كان الثانى — وهو وصف الأقانيم بما وصفوها به من القداسة لا على سبيل الكمال ، لزم أن تكون غير نزهة عن النقص ، والنقص على الله تعالى محال فامتنع أن يكون الإله ثلاثة بل هو سبحانه الواحد المتعال .

ثالثاً : لو كان كل واحد من الأقانيم الثلاثة ممتازا بمميزات معينة لوجب أن يكون المائز له شيئا غير الوجوب الذاتى ، لأن الوجوب الذاتى فى زعمهم هو الأمر المشترك بين هذه الأقانيم ، ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز ، وحينئذ يكون كل أقنوم مركبا من جزأين أحدهما الوجوب الذاتى — وهو الأمر المشترك بين الثلاثة

وثانيهما : المائز له بما امتاز به عن غيره وكل مركب ممكن لذاته فيلزم أن يكون كل واحد من تلك الأقانيم ممكنا لذاته ، وهذا مالا يجوز وصف الله تعالى به أبدا .

رابعا : إذا كان الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى حقيقيا كما يقولون ، كان أقنوم الابن محدودا متناهيا ، وما كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقصان ، وكان اختصاصه بالمقدار المعين والزمن المعين الذى عاشه على الأرض ناسوتا ناشئا عن تخصيص مخصص وتقدير مقدر آخر ، وكل ما كان كذلك كان حادثا فيلزم أن يكون الابن حادثا ، وهذا يستلزم بالضرورة حدوث الله — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

نهاية هذه الابحاث :

وبعد . . . فهذه كلمة العقل ـ الذى هو معيار متفق عليه عند سائر الناس ـ يقولها بوضوح فى عقيدة التثليث بعد ما بحثها من جميع زواياها، وقلبها على شتى وجوهها ، وافترض لمحاولة تقبلها والاقتناع بها شتى الافتراضات . فماذا يقول دعاة الثالوث ردا على هذا المنطق السليم ؟ إنهم لم يقولوا قديما وحديثا فى نهاية مثل هذه الابحاث إلا كلمة واحدة تارة يغلفونها بأغلفة مصطنعة من العبارات الرقيقة والجمل الأنيقة ، وتارة يعلنونها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، تلك الكلمة هى أن عقيدة التثليث تعلم ولا تفهم ، وأن على معتقديها أن يتجرعوها كما هى وإن لم تكن مستساغة فى عقولهم ولا مقبولة .

يروى الشيخ رحمة الله الهندى فى هذا الصدد ما نصه :

نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيا عقيدة التثليث ، وكانوا فى خدمته فجاء محب من أحباء

هذا القسيس وسأله عمن تنصر ؟ فقال ثلاثة أشخاص تنصروا ، فسأل هذا المحب هل تعلموا شيئا من العقائد الضرورية : فقال نعم ، وطلب واحدا منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة التثليث ، فقال إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى هو فى السماء ، والثانى تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنة فغضب القسيس وطرده ، وقال هذا مجهول ، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة للاولين وحريصاً فى حفظ العقائد فسأله فقال يامولاى حفظت ما علمتنى حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الأتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد .

ثم يقول رحمه الله تعليقاً على هذه القصة : لاتقصير للمسئولين فإن هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماؤهم ، ويعترفون بأنا نعتقد ولا نفهم ، ويعجزون عن تصويرها وبيانها ا . هـ[1]

وقال لى أستاذى الدكتور محمد اللافى شرعان لما اعتزمت الكتابة عن عقيدة التثليث اتصلت بكثير من القساوسة لأستوضح منهم هذه العقيدة فأخبرنى المخلصون لى منهم بأنها عقيدة غامضة مستعصية على الأفهام ، تعرف ولاتناقش .

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ط دار التراث العربى ص ٣٣٧، ٣٣٨ .

ويقول الأستاذ محمد مجدى مرجان فى هذا الموضوع ما نصه :

ولقد أدرك هـذه الحقيقة أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية ، فهم رغم اضطرارهم بحكم الظروف إلى الدفاع عن عقيدة الثالوث ومحاولة تبريرها للعامة والبسطاء ، فإنهم يشعرون فى أعماقهم بمجافاتها للعقل والمنطق ، وببعدها عن الحق والصواب ، وإننا نجد هؤلاء الأحبار والفلاسفة كثيراً ما يعترفون بهذا الواقع رغم كافة الظروف ، بعضهم يعترف فى صراحة والبعض يقرر فى وجل ، مستجيبين لصرخات عقولهم التى فطرت على التوحيد فلم تستطع هضم التثليث .

يقول القس توفيق جيد « إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه ، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها فى كفه . . . »

ويقول القمص باسيليوس إسحق فى كتابه الحق « أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولـكن عدم إدراكه لا يبطله . . »

أما الأستاذ يسى منصور فإنه بعد شرحه المستفيض لعقيـدة التثليث — يقرر « أن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة » .

ثم يأتى الأستاذ عوض سمعان فيقول أيضا فى صراحة « إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك ولـكنه يتوافق مع كمال الله كل التوافق ». ويستطرد الأستاذ عوض قائلا « لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الـكتاب المقدس عن ذات الله ، أو بالحرى

عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها . . . »

والأمر يدعو للحيرة ، ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث فمن يا ترى يستطيع فهمه ؟ وما هو موقف البسطاء والعامة إذا ماحاولوا الفهم ، وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فماذا يا ترى يمكننا إدراكها ؟

هل يطلب منا دعاة الثالوث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالوث وإذا كنا جميعاً نحن وهم ، لاندرك هذا الثالوث ، فكيف يمكن لأى منا أن يتبعه أو يسير عليه ؟

يقول القس بوطر صاحب رسالة الأصول والفروع بعد أن استعرض عقيدة التثليث وشعر بمبلغ ماهى عليه من غموض وإبهام « قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاءاً فى المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل مافى السماوات والأرض ، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه الكفاية »

والقس بوطر يربط رغبته فى تفهم عقيدة الثالوث برجاء مستحيل التحقيق وهو أن يعطيه الله معرفة كافة أسرار ومكنونات السماوات والأرض وهو العلم اللامتناهى الذى يختص به الله وحده ، وشتان بين فهم أسرار السماوات والأرض ، وبين فهم عقيدة دينية يطلب من الناس اعتناقها والسير عليها فى حياتهم ، شتان بين الواجب والمستحيل شتان بين العقائد الدينية التى أوجب الله على الناس فهمها بعقولهم

ليتمكنوا من اتباعها والسير عليها وبين أسرار وخفايا اختص الله بها نفسه وحجبها عن البشر ، والربط بين هذا وذاك جعل الاثنين فى حكم المستحيل ، فكأن القس يقول إنه لكونه لا يستطيع فهم أسرار السماوات والأرض فهو لا يفهم سر الثالوث الإلهى ، أما قوله إنه قد فهم الثالوث على قدر طاقة عقله رغبة منه فى اتهام عقله بالضعف والقصور لعدم إمكانه فهم الثالوث ، فلا شك أنه اتهام مجاف لا نرضاه للكاتب كما لا تؤيده حقائق الأمور .

يقول المرحوم الدكتور عبدالله دراز « إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذى يقف عند أدنى مبادىء الغيب وغاياته فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر وإله للحرب وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم تصرف جميع الشئون ، فهى لا ترضى بآحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين وتستشرف إلى اليد التى جمعت تلك القوانين ونسقتها . . . »

هكذا يبين لنا مدى مجافاة عقيدة الثالوث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب ، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب ، ولقد قمت[1] بنفسى بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين فى مدى فهمهم

---

(١) الضمير فى هذه العبارة راجع إلى الأستاذ محمد مجدى مرجان .

وتقبلهم لهذه العقيدة ، تارة حين كنت محسوبا فى الجماعة المسيحية وتارة بعد انسلاخى عنها ، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولونى ثقتهم ويصدقونى الحديث فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس وأن كثيرين منهم يعيشون فى صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم ، وحين تناقشت فى ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أى تمحيص أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثى تسليما مطلقا أى تسليما أعمى فعلى المسيحى أن يؤمن ويعتقد أولا فى الثالوث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقد فإذا لم يفلح فى ذلك فإنه خير له أن يلغى عقله ولا يلغى عقائد الآباء وتراث الأجداد ، وتعاليم القساوسة .

والحقيقة أن هذا الذى يدعو إليه آباؤنا الكهنة ويبغون قسرنا عليه شىء عجيب ، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغى عقله الذى لا يعيش إلا بهديه والذى يفضله على العيش نفسه ، إن الأخ المسيحى فى محاولته فهم عقيدة الثالوث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق وفى خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد ، وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلا للأسف المرير ، ففى مقالة للدكتور ولتر أوسكار لنديرج يقول فيها « إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان بدلا من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام

الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي منطق مقبول .

وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات للتوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية ... » .

إن العالم الأمريكي يقرر هنا أن تمثيل رجال الدين الله بالإنسان ، مكوناً من ثلاثة عناصر أو أجزاء ذات نطق و حياة .

هذه الصورة الغريبة التي تخالف كل فكر وطبع والتي يسعى رجال الدين جاهدين في دعوة الناس إلى تقبلها ، تجعل المسيحي المثقف في صراع دائم بين هذه الأفكار وبين مقتضيات عقله ومنطقه ، وفي دوامة هذا الصراع إما أن يصل إلى الحقيقة ويجهر بها معلنا التوحيد وإما أن يفضل السلامة فيكتفي بالإلحاد .

وهذا الذي يدعونا إليه آباؤنا الكهنة من إلغاء العقول وتقبل النقول دون فكر أو روية إنما يخالف الدين الذي يرتدون زيه بل ويخالف كافة الأديان السماوية التي ما نزلت إلا لذوي العقول فالعقل هو المخاطب دائماً برسالات السماء ، وكل من يطالع تلك الرسالات يجد الحض فيها دائماً على التفكير وإعمال العقل .

فالتوراة تدعو الناس إلى استعمال عقولهم ، والله في التوراة يخاطب الإنسان في حنو وترفق « أقبل علينا ودعنا نفكر معا » والأناجيل

أيضاً تدعو إلى إعمال العقل . ولقد كان السيد المسيح عيسى عليه السلام حريصاً فى كافة عظاته للناس على أن يقرنها بالأمثلة العقلية التى تدفعهم إلى التفكير والتدبر .

أما القرآن الكريم خاتم الرسالات السماوية فإنه يخاطب العقل فى كافة آياته ويجعل التفكير والتدبر أعلى درجات العبادة ، ويضع العقلاء والعلماء فى أقرب المراتب وأدناها إلى الله يقول سبحانه وتعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولوا الالباب ﴾ (سورة الزمر) آية ٩ . ولأولى الألباب نزلت الأديان ، وتفضل الله بمخاطبة الإنسان ، أما غير أولى الألباب فهم الأحجار والدواب ، وهؤلاء لا دين لهم ولا عقيدة يقول محمد خاتم المرسلين : « الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « فقيه واحد خير عند ربه من ألف عابد » .

ومع ذلك فإنه يبدو أن أصحاب الثالوث لا يؤمنون بالعقل ولا برسالات السماء ولا بأقوال الأنبياء ، وإلا لما أصروا على اعتقادهم رغم مناقضة لكل ذلك » ا . هـ[١] .

على هذا المنهج من التعمية والغموض والإيمان بالمتناقضات التى يصيب التفكير فيها الرءوس بالدوار الشديد ، سار دعاة الثالوث وحملة

---

(١) الله واحد أم ثالوث للاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا ص ٧٠ وما بعدها.

لوائه ، وحاولوا جهدهم أن يحملوا الناس على نبذ عقولهم وإلغاء أفهامهم ، ليؤمنوا بثالوثهم إيماناً أعمى لا يعرف التفكير ولا الإقناع ، بل ينقادون وراء الثالوثيين كما تنقاد البهائم خلف أصحابها . فيا لله للانسان ، كيف يستبيح ظلم أخيه الإنسان وإضلاله بهذا الضلال الكبير ؟

مناقشات عقلية لأسس تأليه المسيح عند دعاة الثالوث:

إن الناظر فيما ارتضاه الثالوثيون واقتنعوا به كأساس بنوا عليه قولهم بألوهية المسيح يجد أنه لا يخرج فى جملته وتفصيله عن أوهام خلقها وعاها ما يتمخض عنه الغلو عادة من خيال مريض .

فكون عيسى عليه السلام قد ولد من غير أب وعاش حياته على الأرض طاهراً مبرئاً من الخطأ والزلل ، بعيداً عن الدنايا والرذائل وسفساف الأمور ، وقال من الكلمات أو فعل من الأفاعيل ما يدل على أنه من الصفوة المختارة للنبوة والرسالة لا من عامة الناس .

كون عيسى عليه السلام متصفا بهذا كله أو أكثر منه لا يجعله إلها كما قال الثالوثيون لأن الله — عز وجل — قادر على أن يخلق من يشاء بالكيفية التى يختارها ويرضاها على ما سنبينه قريباً إن شاء الله ، ولأن الطهر والعفاف والبراءة من العيوب والأخطاء لا ترقى بالبشر إلى مرتبة الألوهية إلا فى نظر المغالين الذين أسر الخيال عقولهم وكبلها بكثير من الخرافات والأوهام .

وما زعموه من أن الأفلاك قد أعلنت منذ أمد طويل عن بنوة عيسى

لله ، ومجيئه من العذراء للأرض مخلصا وفاديا ، وموته على الصليب ودفنه ، ثم قيامته وصعوده بعد ذلك وجلوسه عن يمين أبيه وبرهنوا على صحته بأسماء الأبراج فبرج العذراء قد سمى بهذا الاسم لأنه يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ، وبرج الميزان يرينا أن البشر قد وزنوا فوجدوا ناقصين ، وبرج العقرب أو الحية يرينا الحية القديمة التي سممت حياة الإنسان بالخطيئة . . . إلى آخر ما قالوه في هذا الصدد وأفاضوا فيه .

ما زعموه من هذا كله وبرهنوا عليه في نظرهم هو فيما نرى زعم غير صحيح ، لأن ما أعلنته هذه الأفلاك كما قالوا لم يدر إلا بخلدهم ولم يجر إلا على ألسنتهم فما أنزل الله به من سلطان ولا أخبر به نبي من أنبياء الله ورسله حتى نصدقه ونعترف به ، وما ساقوه من دليل على ذلك إنما هو محض الهوى والافتراء .

إذ من يقول إن تسمية برج ما باسم العـــذراء أو الميزان ، أو الأسد أو الثور ، أو العقرب أو السرطان ، يدل على أن عيسى إله وإبن للاله ، إن هذا لون من الاستهتار بالعقول والاستخفاف بالأفكار ، لا يفعله إلا من استمرأ إلغاء عقول الناس والاستهانة بها تحت شعار الدين ، والدين من هذا براء .

عقيدة التثليث فى ميزان القرآن الحكيم

بعد ما ناقشنا عقيدة التثليث بمنطق العقل السليم ، نبدأ فى مناقشتها بمنطق القرآن الحكيم الذى أثبتت الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة والحجج البالغة صدقه وحقيقته على ما بيناه فى الباب الأول من هذا الكتاب فنقول وبالله التوفيق :

إن القرآن الكريم قد أبرز فى جل سوره قضية الألوهية وأولاها باهتمامه وعنايته فما أن يفتح الإنسان المصحف الشريف حتى يبدو لناظريه باسم الله الرحمن الرحيم ، الذى ينبغى أن تقترن به كل بداية ونهاية فبسم الله نقرأ ونكتب ، وبسم الله نأتى ونذهب ، وبسم الله نأكل ونشرب ، وبسم الله نعد ونحسب ، وبسم الله ننام ونستيقظ ، وبسم الله نحيا ونموت .

بسم الله يحدث كل شىء فى الحياة . لا بسم الآب والإبن والروح القدس ، ولا بسم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا بسم الشمس والقمر والزهرة والشعرى ، ولا بسم النار والانسان والحيوان .

باسمه وحده يحدث كل شىء فى الوجود لأنه سبحانه خالق الوجود ومالك أمره فمحال أن يحدث شىء فيه أو يتم إلا باسمه تعالى وبإذنه وأمره .

وما يكاد الانسان يجاوز هذه الآية [بسم الله الرحمن الرحيم] حتى يطالع الثناء العطر على الله سبحانه ، بما هو أهل له من الحمد الكامل على نعمائه الواسعة الكثيرة ، وكيف لا يكون أهلا لذلك

وهو الذى ربى العالمين ومنحهم الحياة ، وعمهم برحمته وفضله ورضاه، وملك يوم الحساب والجزاء فعدل فيه ووفاه .

ولم يذكر هذا الثناء بصيغة الأمر الملزم ، بل سيق بصيغة الخبر حتى يقبل عليه فاعله عن يقين وإذعان ، وحب وإخلاص ، لا عن أمر وتكاليف ، وإجبار وإلزام ، ومن منطلق هذا الايمان اليقينى الذى يحدث للنفس بعد استكناه أسرار الكون واستجلاء الحقائق بما يملك الانسان من وسائل .

من منطلق هذا الإيمان اليقينى الراسخ بوجود الله وسلطانه على خلقه ورحمته بهم رحمة واسعة علم الله عباده الذين رسخ اليقين به فى قلوبهم أن يفردوه وحده بالعبادة والاستعانة مجريا القول على ألسنتهم فيقولون [إياك نعبد وإياك نستعين] .

كل هذا يجده الباحث عن الله عز وجل فى فاتحة ذلك الكتاب المعجز الخالد ، فأين من هذا البيان الرائع ، وذلك الهدى البارع ، ما يقوله دعاة الثالوث فى مفتتح صلاتهم الربانية حيث يقولون .

« أبانا ، الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشرير آمين [١] » .

شتان بين هذا وذاك لأن تلك الصيغة ليس فيها من الثناء على الله

---

(١) إنجيل متى اصحاح ٦٠ فقرات ٩ : ١٣

تعالى ما فى فاتحة القرآن ولا بعضه ، بل قولهم « أبانا الذى فى السماوات » وصف لله بالأبوة التى قد تستلزم البنوة الحقيقية كما نادى بها دعاة الثالوث وأربابه .

وهذا ليس ثناء على الله عز وجل ولا مدحا له ، بل هو انتقاص لقدر الله سبحانه ، اذ محال أن يكون له ولد فتعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .

وطلبهم تقديس اسم الآب وإتيان ملكوته بقولهم ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك تحصيل للحاصل ، فهو لغو لا يليق بعاقل ، وذكره بصيغة الأمر ينافى الأدب مع الله سبحانه ويجافيه ، وأبعد من ذلك عن اللياقة والأدب مع الله عز وجل طلب كون مشيئته على الأرض كمشيئته فى السماء ، وكونها بصيغة الأمر أيضاً لأن مشيئته تعالى نافذة فى جميع خلقه من سمائه وأرضه بالضرورة فلا معنى لطلبها ، وطلب المساواة بين السماء والأرض فى المشيئة الإلهية إن أريد به من كل وجه فهو تحكم لا يخفى ما يترتب عليه .

أين هذا ونظائره من حديث الفاتحة عن الله عز وجل ؟ .

وما أن ينتهى الإنسان من فاتحة القرآن حتى يجد نفسه أمام هذا الكتاب العزيز وقد انساب فى رقة وعذوبة يعالج موضوعات شتى وقضايا متنوعة ، ينتظمها كلها خط واحد هو خط الألوهية الحاكمة القادرة المنزهة عن الحوادث والأشباه والنظائر ، فالله هو الذى نزل هذا الكتاب وهو الذى هدى المؤمنين ، وختم على قلوب الكافرين

وهو الذي يستهزىء بالمنافقين كما استهزءوا برسوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ، وهو المسيطر على الكل لا يخرج أحد عن مشيئته وقدرته لأنه على كل شىء قدير ، وهو الذى ينبغى أن يعبده الناس لأنه خلقهم وخلق من قبلهم ، وجعل لهم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم فلا ينبغى أن يجعلوا له أندادا وهم يعلمون أنه الفرد الواحد الذى لا ندله ولا نظير ، وكيف يكفرون به وهو الذى أحياهم من العدم ، وسيعيدهم إليه مرة أخرى ثم يبعثهم بعد ذلك إلى حياة أبدية لاموت فيها ولا فناء ، وهو الذى خلق للناس ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم ، وهو صاحب المنة على البشر كلهم بخلق أصلهم من من طين ، ونفخه الروح فيه وتكريمه بأمر الملائكة أن يقعوا له ساجدين .

خط واحد ينتظم سائر القضايا والموضوعات المبثوثة فى القرآن كله غير أن بعض هــذه القضايا متصل بالألوهية اتصالا مباشرا يناقش القرآن فيها مقالات الناس عن الله وفكرهم فيه ، ويرد حججهم وبراهينهم على صحة ما ذهبوا إليه بأدلة قوية صحيحة تبطل فساد المفسدين وزيف الزائغين .

من هذه القضايا قضية التثليث التى اختلقها فلاسفة المسيحية فيما مضى من الزمان .

وقد أنزل الله عز وجل فى كتابه المحكم آيات كثيرة ، يناقش

فيها دعوى التثليث عند المثلثين وأتباعهم من النصارى ، ويدلل على بطلانها بأقوى الحجج وأوضح البراهين ، من هذه الآيات ما يلى :

آيات الحجاج فى سورة البقرة :

بعد ما توعد الحق سبحانه من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالخوف والخزى فى الدنيا ، والعذاب العظيم فى الآخرة وبين أنه سبحانه ينبغى أن يعبد فى كل مكان ، عاد إلى تعداد مخازى أهل الكتاب والمشركين فقال عز اسمه [وقالوا اتخذ الله ولدا][1] فهو معطوف على قوله تعالى [وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى] وقوله سبحانه — [وقالت اليهود ليست النصارى على شىء] إلى آخره .

وهذا يعنى أن اليهود والنصارى والمشركين قد اشتركوا جميعا فى تلك المقالة المنكرة ، وهو حق بينه الله تعالى فى كتابه الكريم غير مرة فقال عن اليهود والنصارى [وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله][2] .

وقال عن المشركين (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين)[3] ثم رد على كل من ادعوا له ولدا بقوله سبحانه ﴿ بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون ﴾ .

نزه الحق تعالى نفسه بكلمة (سبحان) التى تفيد التنزيه مع التعجب مما ينافيه ، فإن الذى يعرفه جل ذكره لا يصح أن يصدر عنه مثل هذا

(١) البقرة ، ١١٦ ، ١١٧ (٢) التوبة : ٣٠ (٣) الزخرف : ١٥

القول المشعر بأن له تعالى جنسا يماثله ، لأن من يقول مثل هذا الكلام ليس على علم بالله تعالى بل هو زاعم فيه المزاعم الباطلة ، وظان به الظنون الجاهلة

والمعنى تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد كما زعم هؤلاء الجاهلون الظانون بالله غير الحق ، فانه لاجنس له حتى يكون له ولد منه ، وعلى هذ فالولد الذى نسبوه له تعالى إما أن يكونَ من العالم العلوى وهو السماء أو من العالم السفلى وهو الأرض ولا يصلح شىء منهما لمشابهته سبحانه لأن هذين العالمين وجميع مافيهما مقهور لله تعالى خاضع لسلطانه (بل له مافى السماوات والأرض كل له قانتون) فكيف يكون فيهما أو فى أحدهما مايجانسه .

وإذا لم يكن لله جنس يتخذ لنفسه منه ولدا ، ولم يكن فى السماوات والأرض مايصلح أن يكون له ولدا فمن أين جاء بهذا الولد الذى نسبوه إليه ؟ (إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً)[1] .

نعم إن له سبحانه أن يختص من عباده من شاء بما شاء كما اختص الأنبياء بالوحى والرسالة ، ولكن هذا التخصيص لا يرقى بالمخلوق أبداً إلى مرتبة الخالق ، ولا يرتفع بالموجود الممكن إلى درجة واجب الوجود وإنما يودع سبحانه فى فطرة من شاء من خلقه مايؤهله لما شاء له (قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى)[2]

وعبر بـ (ما) فى قوله (بل له مافى السماوات والأرض) وهى لما لا يعقل وبجمع العقلاء فى قوله (قانتون) لأن المراد بتسخير السماوات

---

(١) مريم : ٩٣ .

(٢) طه : ٤٩ ، ٥٠ .

والأرض وما فيهما له سبحانه التسخير الطبيعى الذى لا يشترط فيه الاختيار ، لا التسخير الشرعى المعبر عنه بالتكليف الذى يفعله الكاسب باختياره ، ويستوى فى هذا التسخير الطبيعى العقلاء وغير العقلاء ، ولكنه فى غير العقلاء أظهر .

أما القنوت فانه لما كان بالعقلاء أليق غلب فيه مايعقل على مالا يعقل ، وإن كان لغير العاقل قنوته الخاص به .

قال صاحب المنار : — وجملة القول : أن الآية ناطقة بأن مافى السماوات والأرض ملك لله — تعالى — ومسخر لإرادته ومشيئته لافرق بين العاقل وغيره ، فقد حكم على الجميع بالملكية وبالقنوت الذى يراد به التسخير وقبول تعلق الإرادة والقدرة ، ولكنه عند ذكر الملك عبر عنه بالكلمة التى تستعمل غالبا فى غير العاقل وهى كلمة (ما) لأن المعهود فى ذوق اللغة وعرف أهلها أن الملك يتعلق بما لا يعقل ، وعند ذكر القنوت عبر عنه بضمير العقلاء لأنه من أعمالهم ، ومما يعهد منهم ويسند إليهم لغة وعرفا ، وهذا كما ترى من أدق التعبير وألطفه ، وأعلى البيان وأشرفه اهـ /[1] .

ثم أكد سبحانه الحكمين السالفين وهما تنزيهه عن اتخاذ الولد وملكيته لما فى السماوات وما فى الارض وخضوع الكل له بقوله تعالى (بديع السماوات والارض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) .

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ط الهيئه المصرية العامه للكتاب ١/ ٣٦٠ .

فأما قوله (بديع السماوات والأرض) فمعناه أنه سبحانه هو المخترع للسماوات والأرض لاعلى مثال سبق ، لأن الإبداع كما قالوا هو إيجاد الشيء على غير مثال ، وإذا كان هو المبدع للسماوات والأرض والموجد لجميع مافيهما فكيف يصح أن ينسب إليه شيء منهما على أنه شبيه له ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأما قوله (وإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فمعناه أنه سبحانه إذا أراد إيجاد شيء وإحداثه أمره أن يكون موجودا فيكون موجودا كما أمره ، وهذا ضرب من التمثيل أى أن تعلق إرادته تعالى بايجاد الشيء يعقبه وجوده ، كأمر يصدر فيعقبه التنفيذ ، فليس بعد الإرادة إلا حصول المراد فما حاجته بعد ذلك إلى اتخاذ الولد كما يقول المفترون ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ولم يورد الحق هذه الدعوى الباطلة والرد عليها فى سورة البقرة فحسب بل ذكرها ورد عليها بما يبطلها ويفحم أصحابها فى غير ما سورة من سور القرآن الكريم .

فقال فى سورة النساء (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) : ١٧٠ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا لهم بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل

شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ١٠٠ : ١٠٣ .

وقال سبحانه فى سورة التوبة (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) ٣٠ .

وقال فى فى يونس (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له مافى السموات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون) ٦٨ ، وقال فى سورة الكهف (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ٤ .

وقال عز اسمه فى سورة مريم (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) ٨٨ : ٩٥ .

وقال فى سورة الانبياء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) ٢٦ .

وقال جل ذكره فى سورة المؤمنون (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) ٩١ : ٩٢ .

وقال فى سورة الصافات (ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله

وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون) ٤ : ٦ .

وقال فى سورة الزمر (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) ٤ .

وقال فى الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) ١٥ : ١٧ .

وقال سبحانه فيها أيضاً : (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون) ٨١ : ٨٢

وقال تعالى فى سورة الجن (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) ٣ .

وقال تعالى فى سورة الإخلاص (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ٣ ، ٤ .

هذه طائفة من الآيات القرآنية المنزلة فى بيان دعوى الولدية لله ، مناقشة أربابها بالأدلة المقنعة والحجج المفحمة التى تبطل دعواهم وتنقضها من أساسها ، والباحث فى تلك الآيات المبثوثة فى سور القرآن يجد أن أساليبها فى مناقشة هذه القضية متنوعة ومتعددة .

ففى سورة الأنعام يبطل — الله — هذه الدعوى بأدلة مقنعة غاية الإقناع منها :

أنه سبحانه هو المخترع للسماوات والأرض لاعلى مثال سابق ، وأنه خلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ، وأنه لاتدركه الابصار وهو

يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فكيف يكون مثل هذا محتاجاً إلى ولد؟

ومنها أن الولد يتولد عادة من بين والد ووالدة فإذا كان الله كما يزعمون والد هذا الولد فمن والدته ؟وأين هى ؟ .

ومن تلك التى لها من الصفات ما يؤهلها لصحبة الله عز وجل (سبحانه وتعالى عما يصفون) (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم) .

وفى سورة التوبة يذكر الحق أن مقالة اليهود والنصارى عن عزير والمسيح بأنهما ابنان لله ليس صادراً عن علم حققوه ، ولا عن دين إلهى تعلموه ، وإنما هو قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، كالهنود الذين قالوا قديما عن كرشنة إنه ابن الله ، والصينيين الذين قالوا عن بوذا إنه ابن الله ، والمشركين الذين قالوا عن الملائكة إنهم بنات الله .

وبيان تلك الحقيقة التى أثبتها العلماء بعد البحث العميق والدرس الطويل ، بهذا الأسلوب الموجز ، ضرب من ضروب الإعجاز القرآنى فى مناقشته لأمثال تلك القضايا الهامة التى يجهل الناس منها أكثر مما يعرفون .

وفى سورة الكهف : يوجه الملك سبحانه إنذاراً شديداً للذين قالوا اتخذ الله ولدا لأنهم ما قالوا هذه المقالة عن علم لهم ولا لآبائهم وإنما هى كلمة كبيرة أخرجوها من أفواههم دون اكتراث بعظم إثمها وفداحة جرمها لأنها كذب صراح وافتراء بين ، ووصف لله سبحانه بما لا يليق به (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

وفى سورة مريم يذكر الله تعالى أن أصحاب هذه الفرية الباطلة قد

أحدثوا بافترائهم هذا شيئاً منكرا فظيعاً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، لأن هذا زعم يتنافى مع ما ينبغى لله عز وجل من التقديس والإكبار ، والتعظيم والإجلال وكيف لا يكون أهلا لذلك وهو الذى له مافى السماوات ومافى الأرض وله الحكم وإليه المآب ، إلى آخر ماهو مبثوث فى سور القرآن حول تلك القضية الخطيرة من صيغ مختلفة ، وأساليب متنوعة مؤداها كلها أن من ينسبون لله تعالى ولدا فى القديم والحديث وثنيين كانوا أو يهودا أو نصارى كاذبون فى دعواهم تلك ، لأن ولادة هذا الولد المزعوم لله — وعز وجل — إن كانت عن طريق التقائه سبحانه بزوج له ، فهو غير صحيح ، لأنه تعالى منزه عن ذلك [أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة] [ما اتخذ صاحبة ولا ولدا] وإن كانت عن طريق الخلق والإبداع فهو سبحانه مبدع السماوات والأرض وخالق كل شىء فلماذا التخصيص بولد واحد دون سائر المخلوقات ؟

وإن كانت عن طريق التولد والصدور الذى قالت به الأفلاطونية الحديثة ، وفلاسفة المسيحية فهو غير صحيح أيضاً ؛ لأنه سبحانه لم يلد أى لم يسبق له أن ولد مولودا لا عن طريق التزاوج ، ولا عن طريق التولد والصدور [ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون] [لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد] .

آيات الحجاج فى سورة آل عمران :

بعد ما ناقش الحق — تعالى — فى سورة البقرة وغيرها من القرآن الكريم جميع الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، وأبطل زعمهم هذا

بالبراهين القاطعة والحجج المقنعة ، أخذ سبحانه فى سورة آل عمران يناقش النصارى بصفة خاصة فى موقفهم من المسيح عيسى عليه السلام ، وقضية الألوهية والرسالة بشكل عام .

حديث السورة عن قضية الألوهية :

فقرر فى الحديث عن الألوهية بادىء ذى بدء أنه سبحانه هو الحى الذى لا يعترى حياته فناء القيوم الذى تخضع لقيوميته وهيمنته الأرض والسماء ، وماأوجد فيهما من سائر الأشياء ، وأنه هو الذى نزل القرآن ملتبسا بالحق على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل هدى لكل من التزم بما جاء فيهما من تعاليم الله الصحيحة ، وأحكامه السليمة التى لم يشبها تحريف ولا تبديل .

وأنزل مايفرق به بين الحق والباطل فى كل زمان ومكان من تعاليمه الصحيحة التى أودعها كلها فى كتابه الخالد الذى تكفل بحفظه على مر العصور والأزمان ونشره فى كل بقاع الأرض .

وبين أن للكافرين بهذه الآيات المنزلة من عنده تعالى العذاب الشديد بما كانوا يكفرون .

وأنه عز فى علاه لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

وأنه هو الذى يصور الناس فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وأنه هو الذى جعل فى القرآن المحكم والمتشابه ليميز بذلك الخبيث

من الطيب (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الالباب) :

ذكر الرازى عن ابن اسحاق أن النصارى قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه ، قال بلى : قالوا فحسبنا فأنزل الله تعالى : (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه) الآية[١] .

وأنه تعالى جعل من دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لايقدر عليها غيره وبما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد فى القرآن ومن إقرار الملائكة وأولى العلم له بالوحدانية شاهدا على أنه الإله الواحد الذى لا إله غيره ولاشريك له فى ملكه ، وأنه وحده هو الذى يقوم بالعدل بين الناس (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

قال ابن جرير : وإنما عنى جل ثناؤه ـ بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عيسى من البنوة ، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا ، واتخاذهم دونه أربابا ، فأخبرهم الله عن نفسه ، أنه الخالق لكل ماسواه ، وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه . فبدأ ـ جل ثناؤه ـ بنفسه

---

(١) تفسير الرازى ج ٢ ط المطبعة الحسينية بمصر ص ٣٨٨ .

تعظيمه لنفسه ، وتنزيهه لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها ، كما سن لعباده أن يبدؤا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك اه [١].

وقرر سبحانه أنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، ويولج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، ويخرج الحى من الميت ، والميت من الحى ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، فكيف يقول النصارى بعد ذلك إن عيسى ابن الله - أو هو - الله - إلى آخر هذه المزاعم الباطلة التى زعموها فى حق عيسى عليه السلام (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله كل شىء قدير)[٢].

وبين سبحانه أنه يعلم مافى الصدور ، والضمائر أبداه أصحابها أم أخفوه ، ويعلم مافى السماوات ومافى الأرض علم إحاطة وشمول ، فكيف يستجيزون لأنفسهم أن ينسبوا إلى الله جل ثناؤه مالا علم لهم به زورا وبهتانا ؟

كل هذا وغيره مما قرره الله عن قضية الألوهية يجده القارىء لسورة آل عمران من مفتتحها إلى قوله تعالى : (وما يذكر إلا أولوا الألباب) ١ : ٧ .

---

(١) تفسير الطبرى ط الحلبى حـ ٣ ص ٢١٠ .

(٢) المائدة ١٧ .

ويجده كذلك فى قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ١٨ .

وفى قوله سبحانه (قل اللهم مالك الملك) إلى قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) ٢٦ ، ٢٧ .

وفى قوله عز اسمه (قل إن تخفوا مافى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السماوات ومافى الأرض والله على كل شىء قدير) ٢٩ .

حديث السورة عن الرسالة :

وقرر تعالى فى حديثه عن الرسالة فى هذه السورة الكريمة أنه اصطفى بعض خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يعرفون مهمتهم التى كلفهم بها وهى دعوة الخلق إلى الحق ، وأن هؤلاء الرسل أعقل وأحكم من أن يقولوا للناس — وقد آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة — إلا ما طلب الله منهم أن يقولوه ، وأنه قد أخذ عليهم جميعاً العهد والميثاق أن يصدق بعضهم بعضا فى الحق ودعوة الناس إليه (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) ، (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ٧٩ و ٨١ .

وهذا هو العهد الذى حفظه عيسى كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام ، وسوف يموت عليه بعد نزوله إلى الأرض إن شاء الله تعالى ويحجب به ربه يوم القيامة ، إقرءوا إن شئتم قوله تعالى فى سورة المائدة [وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك] إلى قوله [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم] ١١٦ : ١١٨ .

وأن جوهر ما أرسل الله به رسله واحد لا اختلاف بينهم فيه ، ولا محيص لأحدهم عن دعوة الناس إليه (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ١٩ : ٢٠ .

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ، قل ءامنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) ٨٣ : ٨٥ .

ذلكم هو جوهر رسالات الله إلى الناس ولبابها فمن صدق بما جاء به رسول دون آخر فقد كفر ، ومن كفر فعليه كفره ، ومن أسلم فأولئك تحروا رشدا .

القول الفصل فى عيسى المسيح :

هذا ما كان من الحجاج فى قضية الألوهية والرسالة بشكل عام ، أما ما يتعلق بمناقشة النصارى فى موقفهم من المسيح عليه السلام فقد حسم الله الأمر فى هذا الموضوع حسما لا تقوم معه فيما نرى حجة لمجادل ، لا من النجرانيين الذين جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من غيرهم ، حيث ذكر سبحانه أطوار قصة عيسى من أصولها الأولى إلى أن خرج إلى الحياة بشرا سويا ، ودافع عن أمه ولما يزل بَعْدُ فى المهد صبيا .

فبين لنا فى سورة آل عمران بإيجاز رائع ، وأسلوب بارع ، أنه اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، سلسلة كلها مصطفاة لهداية الإنسانية إلى الصراط المستقيم .

فمن آدم الذى اجتباه ربه فتاب عليه وهداه يخرج نوح عليه السلام الذى مكث يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل ويصدهم عن عبادة الأصنام ألف سنه إلا خمسين عاما ، ومن أبى البشر الثانى يخرج خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذى احتمل فى سبيل نشر عقيدة التوحيد الأهوال الجسام ومن أبى الأنبياء يخرج فرعان : أحدهما إسماعيل ، الذى اصطفى الله منه خاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وسلم ، وثانيهما : إسحاق الذى اصطفى الله منه يعقوب ويوسف وداود وسليمان وموسى وهارون ثم آل عمران الذين كان منهم عيسى عليه السلام آخر رسل الله وأنبيائه إلى بنى إسرائيل (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) .

وتمضى القصة الرائعة بعد ذكر شيء عن السلسلة التى خرج منها عيسى عليه السلام ، فتبين لنا أن امرأة عمران لما أحست بعلامات الحمل وكانت تواقة إلى الولد — نذرت لخدمة بيت الله وليدها ، فقالت رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ، فلما وضعت حملها وتأكدت أنه أنثى اعتذرت لربها عن نذرها بقولها ، رب إنى وضعتها أنثى ، وما يستطيعه الذكر من القيام بهذا العمل لا تستطيعه الأنثى .

ثم تعلن حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وزوج جده عمران أنها سمت ابنتها مريم وأنها تعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم ، ويستجيب الله من فوق سبع سماوات ، فيتقبل الوليدة بالقبول الحسن وينبتها نباتاً حسناً ويعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم :

روى البخارى بسنده « عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وإبنها ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ا.هـ[1]

ويكفل مريم بعد أبيها — بأمر الله — زوج أختها زكريا عليه السلام ، وكان كلما دخل عليها المحراب[2] وجد عندها من الرزق ما يثير العجب والاستغراب فيسألها من أين لك هذا ؟ [قالت هو من من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب] .

قال بعض العلماء كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٦ ط المطبعة الأميرية ص ٣٤

هكذا عاشت مريم فى محرابها ، تتزود بالرزق الطيب يأتيها من عند ربها ، وكلما رأت من العجائب شيئاً زادت فى صلاحها وتقاها ، لأنها كانت تعلم علم اليقين أن ما يأتيها من العجائب إنما هو بقدرة الله آتاها ، وظلت كذلك حتى بشرتها الملائكة بأغرب بشارة (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) .

ويزيدنا الله توضيحاً لهذه البشارة فى سورة مريم حيث يقول (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) قال صاحب صفوة البيان ماخلاصته (انتبذت) أى اعتزلت وانفردت للتخلى للعبادة مبتعدة عن الناس فى مكان يلى شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها متخذة من دونهم ساترا (فأرسلنا إليها روحنا) أى جبريل عليه السلام ليبشرها بالكلام ولينفخ فيها فتحمل به ، والاضافة للتشريف كبيت الله — (فتمثل لها بشرا سويا) أى فى صورة إنسان معتدل الخلقة كامل البنية ، لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ، ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مكالمته .

(إن كنت تقيا) أى إن كان يرجى منك تقوى الله فإنى عائذة

---

(١) المحراب هو غرفة فى بيت المقدس ، لا يصعد إليها إلا بسلم ، أو هو مسجد وكانت مساجدهم تسمى المحاريب ، وسمى محرابا لأنه محل محاربة الشيطان والهوى .

به مذك وهو كقول القائل : إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى اه [١]

وتعجب مريم من تلك البشارة ، فتسأل ربها كيف يكون لى ولد ولست ذات زوج . ولم أك بغياً ، ويأتيها الجواب من قبل الله مزيلا تعجبها واستغرابها ﴿ قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا ﴾ وبينما كانت مريم تستقبل البشارة بعيسى عليه السلام وهى فى غاية العجب والاستنكار كان كافلها زكريا الذي كانت امرأته عاقراً وقد بلغ من الكبر عتياً يستقبل هو الآخر البشارة بيحيي مصدقا بكلمة من الله أى بعيسى عليه السلام سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ، وبأمر الله — وحده — حملت مريم بعيسى من نفخة الملك وبأمر الله وحده حملت أختها العاقر [٢] بيحيي من زكريا الذى بلغ سناً لا ينجب فيها عادة أمثاله .

بنفس قدرة الخالق الذى أبدع السماوات والأرض دونما مثال وخلق آدم من الطين ونفخ فيه من روحه فصار أباً لمن على الأرض من نساء ورجال .

بنفس تلك القدرة حملت مريم بعيسى دون ما أب ، وحملت أختها بيحيي رغم الكبر والعقم ، فسبحان من له الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير . ويكمل الله قصة حمل عيسى وميلاده فى سورة مريم فيذكر

---

(١) صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين مخلوف ج٢ دار الكتاب العربى بمصر ص ٤ ، ٥

(٢) هذا جريا على الرأى القائل بأن أم يحي أخت مريم ، وأن يحى وعيسى ابنا الخالة وهو ما قالت به السنة الشريفة فى حديث الإسراء .

أنها لما حملته اعتزلت به فى مكان بعيد خلف الجبل ، وظلت فى هذا المكان حتى حانت لحظة الميلاد فألجأها المخاض إلى جذع نخلة كان فى هذا المكان . فاستندت إليه ووضعت — بأمر الله — وليدها وهى فى غاية الحزن والألم مما ستقاسيه من ألسنة الناس ﴿ قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ .

عندئذ ناداها ابنها عيسى من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك جدولا بالماء رقراقا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً[1] فكلى واشربى واطمئنى غاية الاطمئنان فسيبرىء الله ساحتك من كل إفك وبهتان ، ولا تكلفى نفسك عناء الحديث مع الناس فى هذا الأمر وليكن حديثك قاصراً على مناجاة الله والملائكة ، وقولى بالإشارة لمن يريد الحديث معك من البشر إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً .

فلما أحست بالطمأنينة تملأ نفسها وعرفت أنه من الممكن أن يدافع عنها وليدها وهو فى مهده كما كلمها قبلا محققا بذلك بشارة الملائكة لها خرجت به على الناس ، فقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون فى الصلاح والعبادة كيف فعلت هذا المنكر الفظيع ؟ وأبوك ما كان امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ، فأشارت إلى ابنها أن اسألوه ولم تقل شيئاً ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً ؟ عندئذ أنطق

---

(١) قال بعض العلماء روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً وهذا يدل على براءة ساحتها لأن مثله لا يحدث للفواحش ، وعلى قدرة الله أن يجعلها تحمل بدون بعل .

الله الوليد فى مهده مرة أخرى فوصف نفسه بثمانى صفات أولها العبودية لله سبحانه وآخرها تأمين الله له فى أخوف المقامات ، وكل واحدة منها تقتضى تبرئة ساحة أمه من الفواحش والمنكرات ، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى [فحملته فانتبذت به مكانا قصيا] إلى قوله سبحانه (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ٢٢ : ٣٣ .

ولما كان كلامه فى المهد وما أجرى على يديه بعد الرسالة من معجزات قد يوقع بعض الناس فى الوهم والالتباس ، فيظنون أنه إله ، أو ابن إله بين الحق سبحانه فى سورتى آل عمران والمائدة أنه مستمد ذلك كله من ربه عز وجل ، فهو الذى علمه الكتابة والحكمة والتوراة والإنجيل ، وهو الذى أرسله إلى بنى إسرائيل ، وهو الذى جعله يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .

ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويحى الموتى باذن الله ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم وهو الذى كف عنه بنى سرائيل حين أرادوا أن يصلبوه .

هذا ما بشر الله به مريم عن وليدها قبل خروجه إلى الحياة ، وما مكن الله منه عيسى بعد أن صار نبيا يدعو الناس إلى عبادة الله ، فلا مجال إذن لمغالاة المغالين بقولهم عن عيسى إنه إله أو ابن إله .

(إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين)

وكيف يستجيز أحد لنفسه أن يرفع عيسى إلى مرتبة الألوهية بعد أن يعرف أنه قال عن نفسه ما سجله الله عنه فى القرآن من قوله فى سورة

آل عمران ﴿ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) ٥٠ ، ٥١

وقوله فى سورة المائدة ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ﴾ ١١٧

وقوله فى سورة الصف ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾

هذا ما كان من شأن عيسى وأمه وأصوله الأولى فى بعض الأطوار أما ما كان من أمره مع بنى إسرائيل بعد ما أرسله إليهم فانه عليه السلام لما أحس منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله فأعلن الحواريون مناصرتهم لله ولرسوله وقالوا ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، وأعلن أعداؤه محاربته فكادوا له وتآمروا عليه ولكن الله أبطل كيدهم ومكرهم ، فرفعه إليه وتركهم فى ضلالهم يعمهون .

﴿ وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما ﴾ .

هذه قصة عيسى عليه السلام منذ كانت أمه حملا فى بطن أمها إلى أن رفعه الله إليه ونجاه من الخطاة الآثمين ، أوحاها إلى نبيه محمد

صلى الله عليه وسلم فى بضع وعشرين آية من سورة آل عمران [١] وفى نحو من ثمانى عشرة آية من سورة مريم [٢] حاسما بها القول فى أمر عيسى عليه السلام لمن جادلو فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ .

﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ .

فما زاد عيسى فى الخلق عن آدم ، هذا من تراب كان بكلمة الله بشرا سويا ، وهذا من نفخة الملك كان بكلمة الله بشرا سويا .

﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ هذا يا محمد هو القول الفصل فى عيسى ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ﴾ .

أى فمن جادلك يا محمد فى شأن عيسى . من بعد ما جاءك من العلم بأنه بشر لا يستحق الألوهية ، كما هو شأن آدم الذي هو أعجب منه خلقا ، فاترك مجادلتهم فهم مقلدون معاندون معرضون عن الحق بعد وضوحه ، وأفحمهم فقل لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم يبتهل كل منا إلى الله تعالى

---

(١) الآيات من ٣٣ : ٦٣ (٢) الآيات من ١٦ : ٣٣

ويدعوه أن يجعل لعنته على الكاذبين منا ، وسوف يحيق بهم العذاب إن هم باهلوا لأن ما قصصنا عليك من أمر عيسى لهو القصص الحق الذى لا زيف فيه ، والصدق الذى لا كذب فيه ، المطابق للواقع الذى لا يصح العدول عنه إلى ما عليه النصارى فى شأن عيسى من أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، والحق أنه ما من إله إلا الله فلا شريك له فى ملكه ، بأى وجه من الوجوه ، ولا معبود بحق سواه وإن الله لهو الغالب الذى يقهر ولا يقهر المتقن لما يصنعه ويدبره .

وقد حدث أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخبر وفد نجران بها ودعاهم إلى الغدو فى اليوم التالى ومعهم نساؤهم وأبناؤهم .

وحضر الرسول فى الموعد ، ومعه الحسن والحسين ، وفاطمة وعلى فلم يجدهم ، فقد تشاوروا فيما بينهم ، فقالوا للعاقب وكان صاحب رأيهم يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً نبى مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم : قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك وأن نرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا : يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا ، فأمر أبا عبيدة أن يخرج معهم ، ويقضى بينهم

بالحق فيما اختلفوا فيه[١] .

وروى البخارى عن حذيفة قال جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قال إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة اه[٢] .

ثم أمر ـ الله ـ تعالى نبيه بعد ذلك أن يدعو أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى عبادة الله وحده فقال سبحانه .

« قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »ه[٣] .

وبعد فقد طوفنا بك أيها القارىء الكريم فى إحدى حدائق الفرقان ، فى نيف وثمانين آية أنزلها الحق سبحانه فى صدر سورة آل عمران ، ردا على من جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر عيسى من

---

(١) كذا ذكره الرازى فى تفسيره ج ٢ ط المطبعة الحسينية بمصر ص ٣٨٨ ، وجاء نقلا عن القرطبى فى التفسير الوسيط للجنة من العلماء ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ج ٣ ص ٥٨٥ .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ط المطبعة الأميرية ص ١٧٢ .

(٣) آل عمران آية ٦٤

نجران ، وبرهانا على بطلان دعوى تألية المسيح وبنوته لله عز وجل في كل زمان ومكان .

آيات الحجاج في سورة النساء :

لا يكاد القارىء ينتهى من قراءة ما جاء عن عيسى عليه السلام في سور آل عمران وما شابهها في ذلك من سور القرآن ، حتى تطالعه سورة النساء بعدة نداءات إلهية هى فى مجموعها أشبه ما تكون بقوانين كلية ، يستنبط منها الدارسون للقرآن ما تحتاج إليه الأمم من وسائل تنظيمها فى أهم شئونها أسرية كانت ، أو اجتماعية ، دينية كانت أو سياسية إلى غير ذلك من تلك الشئون الكثيرة التى عنيت سورة النساء برسم المنهج القويم لها ، والنظام الحكيم لإدارتها وتدبيرها

من تلك النداءات ما خص الله به اليهود والنصارى ، تارة بقوله (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) وأخرى بقوله (يا أهل الكتاب) وقد ناداهم الحق بهذا الوصف مرتين ، لبيان أن المنادين به صلة وثيقة بالوحى السماوى ، والهداية الإلهية عن طريق الكتاب الذى أوتوه وصاروا أهلا له ، وفيه تقرير الحق فى الألوهية ، وما لله من أوصاف الجلال والجمال ، التى تأبى الحلول والاتحاد ، كما تأبى البنوة التى زعموها لبعض رسله الكرام ، وفيه الآيات الواضحات على أن رسولا يأتى بعد التوراة والانجيل ، مصدقا لما فيهما من أصول الدين وأركان الهداية ، وإذن يكون إعراضهم عن رسالة هذا الرسول الذى جاء مصدقا لما معهم وغلوهم فى رسولهم ، وقد دعاهم إلى توحيد — الله —

وتنزيهه عن الوالد والولد يكون هذا وذاك غير ملائم لاتصافهم بذلك الوصف وهو أنهم أهل الكتاب ، ويكون موقفهم من الرسول ورأيهم فى الألوهية مما لا يتفق ونسبتهم إلى الكتاب فهو يسجل عليهم بالنداء المذكور هذا الانحراف ، كما يسجل عليهم به عدم أهليتهم لهذا الانتساب ويبرزهم فى صورة عجيبة ، يدعون أنهم أهل كتاب أوهم أهل كتاب ، ثم ينكرون ما يقرره ذلك الكتاب .

تناقض يثير العجب ، ويرد عقلاءهم إلى تدبر شأنهم حتى يصححوا موقفهم فى نظر أنفسهم ، وفى نظر العقلاء جميعاً أ . ه [١] بتصرف

دعوة اليهود إلى الإيمان الصحيح :

فأما اليهود فقد دعاهم الحق سبحانه ، إلى الإيمان الصحيح بقوله ﴿ يا أيها الذين أوتو الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾[٢] .

إرشاد النصارى إلى العلاج السليم :

وأما النصارى فقد أرشدهم العليم الحكيم إلى الدواء الناجع والعلاج السليم ، لما أصاب عقيدتهم من التحريف والتزييف ، فقال سبحانه ﴿ يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ﴾ حقاً إن غلو المسيحيين فى شأن المسيح عليه السلام لما عرفوا عنه من خوارق العادات فى ميلاده ، ونشأته

(١) أنظر تفسير العشرة اجزاء الأولى للشيخ شلتوت ط دار القلم ص ٢٣٧ ، ٢٣٨
(٢) النساء : ٤٧

وما أجرى الله على يديه من معجزات ولما قرءوا فى كتبهم الأولى من العبارات الموهمة كالآب ، والإبن ، وما إلى ذلك هو الذى دفعهم فى الحقيقة إلى الاعتقاد بأن عيسى ابن الله ـ وبأنه إله مع الله إلى آخر ما جاء فى عقيدتهم الثالوثية التى أسست قواعدها فى نحو القرن الثالث الميلادى ، فلا علاج إذن لهذا الداء الوبيل إلا بترك المغالاة فى أمر عيسى عليه السلام ، والعودة إلى تأمل ما لله فى كونه من إبداع وإحكام ، بدءاً بآدم عليه السلام الذى خلقه الله من تراب دون ما أب ولا أم ، وانتهاءا بعيسى الذى أوجده الله من أم دون ما أب ، وبهذا تكون القدرة الإلهية قد احتوت جميع القسمة العقلية لخلق البشر ، لأن الإنسان إما أن يكون قد خلق بلا أب ولا أم ، وهذا ينطبق على آدم عليه السلام ، وإما أن يكون قد خلق من أب دون أم وهذا ينطبق على حواء كما جاء فى سفر التكوين ، وإما أن يكون قد خلق من أب وأم وهذا ينطبق على سائر البشر ، وإما أن يكون قد خلق من أم دون أب وهذا ينطبق على عيسى عليه السلام .

فمن الغلو فى الدين أن يسلم المسيحيون بالثلاثة الأول ، ولا يسلموا بالقسم الرابع مع أنه ليس بعزيز على قدرة الله وسلطانه .

ومن الغلو فى الدين أيضاً أن يؤولوا ما جاء فى العهدين القديم والجديد ، من وصف غير عيسى بالبنوة لله بالعبودية ، ويحملوا هذا الوصف لعيسى على ظاهره فيقولوا هو ابن الله حقاً .

قال القاسمى :

والذى أوقعهم ﴿ يعنى المسيحيين ﴾ فى هذه المهلكة الوخيمة ،

والورطة الجسيمة ، ما ورد موهما من ألفاظ الإنجيل كالأب والإبن ، فلم يحملوها على ما أريد منها ، وحملوها على ظاهرها ، فضلوا وأضلوا .

وفى « منية الأذكياء » ما نصه : وأما ما ورد فى الإنجيل الموجود الآن ، من إطلاق ابن الله على عيسى عليه السلام ، فهو إن لم يكن مما حرف يكون مجازا ، بمعنى ابن المحبة ، كما يقال : فلان من أبناء الدنيا ، ونظير ذلك قول عيسى عليه السلام لليهود ، حين ادعوا أن لهم أبا واحدا هو الله : ﴿ لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى ﴾ ثم قال لهم ﴿ أنتم من أب هو أبليس : وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ﴾ ادعت اليهود أن الله تعالى أبوهم أى أنهم مطيعون له ، ولا يخفى أن الابن والأب هنا مجازان ، وقد كثر اطلاق اسم الأب على الله تعالى ، واسم الابن على العبد الصالح ، فى الكتب السالفة فهو إما من الخبط فى الترجمة ، وإما مؤول بما ذكرنا ، فلا تغفل لكن قد منع من هذا الإطلاق فى الملة المحمدية بالكلية ، تحرزا من الايهام والوقوع فى شرك الأوهام اهـ [1] .

ولما كان الغلو فى الدين آفة الآفات فقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على وقاية المسلمين منه فقال :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله » ا . هـ [2]

---

(١) تفسير القاسمى ط عيسى الحلبى ج ٥ ص ١٧٦٨

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ط المطبعة الأمرية ص ١٦٧ .

وقال تعليقا على قول من قال له عليه الصلاة والسلام يامحمد ياسيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا .

(ياأيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى — الله — عز وجل) ا . ه[1] .

ولما كان الغلو فى الدين كذلك يفضى بأصحابه إلى وصف الله تعالى بالباطل ، قرن سبحانه النهى عنه بقوله (ولا تقولوا على الله إلا الحق)

أى لاتغلوا فى دينكم فترفعوا عيسى فوق منزلته ، ولاتنزلوا بالله عن قدره فتصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك .

حقيقة عيسى عليه السلام

ثم بين لهم الحقيقة التى اختلفوا فيها أمداً طويلا ، وأعماهم الغلو عن معرفتها وتفهم كنهها .

فقال : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أى ماالمسيح ابن مريم إلا عبد الله ورسوله تكون فى بطن مريم العذراء وخرج من رحمها طفلا كسائر الأطفال بكلمة الله التى هى كن (وروح منه) أى بتخليقه وتكوينه كسائر الأرواح المخلوقة ، وإنما أضافه سبحانه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كبيت الله ، وناقة الله . وقيل : الروح هو نفخ جبريل عليه السلام

---

(١) كذا ذكره بن كثير فى تفسيره جـ٢ ط الشعب ص ٤٣٠ نقلاعن مسند الامام أحمد

فى جيب درع مريم ، فحملت باذن الله وسمى النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح ، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه وجد ابتداء بأمره تعالى وإذنه ، وقبل غير ذلك مما بيناه بالتفصيل فى الباب الأول من هذا الكتاب (١)

دعوة النصارى إلى الإيمان الصحيح

ثم دعاهم الحق تعالى إلى الإيمان بالله ورسله الذين منهم عيسى عليه السلام وإفراد الله بالوحدانية ، وعدم القول بالتثليث والولدية له سبحانه فقال (فآمنوا بالله ورسله ، ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا) أى فصدقوا بالله وخصوه بالألوهية وآمنوا بجميع رسله ولا تخرجوا بعضهم عن سلك الرسالة إلى مرتبة الألوهية ولا تقولوا إن الله واحد بالجوهر ، ثلاثة بالأقانيم فتسفهوا أنفسكم بترك التوحيد الخالص الذى هو ملة إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام ، والقول بالتثليث الذى هو عقيدة الوثنيين الطغاة ثم تدعوا الجمع بين التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وهو تناقض تحيله العقول ولا تقبله الأفهام .

قال الرازى : واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً والذى يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة إلا أنهم وإن سموها صفات ، فهى فى الحقيقة ذوات بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول فى عيسى

(١) واجع المثال الخامس من الشبهة الرابعة ص ١١٠ ، ١١٦ ط مطبعة الأمانة

وفى مريم بأنفسها ، وإلا لما جوزوا عليها أن تحل فى الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم فى الحقيقة يثبتون ذوات متعددة ، قائمة بأنفسها وذلك محض الـكفر ، فلهذا المعنى قال تعالى ولا تقولوا ثلاثة ا . ﻫ [1]

أو ولا تقولوا الآلهة ثلاثه الله والمسيح ومريم ، فقد حكى ذلك عن فرقة قديمة منهم يقال لها (كولى رى دينس) ولعل هذا كان مكتوباً فى نسخهم ، وقد كذبهم الله فى هذا الزعم أيضاً بقوله سبحانه (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك) وسيأتى لهذا الموضوع مزيد بيان إن شاء الله — عند مناقشتنا للبابا شنوده فى محاضرته عن التثليث والتوحيد .

وسواء أكان المراد من الآية هذا أم ذاك فإن القول بالتثليث يفضى إلى الـكفر الصراح ، لذا قال الله عز وجل لدعاة الثالوث جميعاً كيفما كانت آراءهم فى التثليث (انتهوا خيراً لـكم إنما الله إله واحد) أى انتهوا عن التثليث واقصدوا خيرا منه وهو التوحيد إنما الله عز وجل إله واحد بالذات ، لاتعدد فيه بوجه ما .

ثم نزه الحق نفسه بقوله (سبحانه أن يكون له ولد لهمافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا)

أى تنزه الله سبحانه وتقدس عن أن يكون له ولد وهو المالك للسماوات والأرض وما فيهما والمالك لهذا كله مالك بالضرورة لعيسى

---

(١) تفسير الفخرى الرازى ج٣ ط المطبعة الحسينية بمصر ص٣٨٤

وأمه لأنهما مما فى الأرض ، فمن العبث أن يوصف عيسى وهو المملوك لله سبحانه بأنه ابنَ الله أو إله مع الله — تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

ومن عجب أن يؤله المسيحيون عيسى عليه السلام ويدعوا بنوته للحق سبحانه مع أن عيسى نفسه لايستنكف أن يكون عبداً لله لاهو ولا الملائكة المقربون (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً).

آيات الحجاج فى سورة المائدة :

وتختم سورة المائدة هذا الحجاج الممتع الرائع الذى وردفيما قبلها من سور القرآن .

أخبار عن أهل الكتاب تؤكدها سورة المائدة :

فتؤكد ما جاء فى البقرة وآل عمران ، والنساء من أن أهل الكتاب قد نقضوا مواثيقهم وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وتضيف أنهم نسوا حظا مما ذكروا به وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن ابن عباس وغيره فجزاهم الله على ذلك بطرد اليهود من رحمته سبحانه وتقسية قلوبهم وإغراء العداوة والبغضاء بين النصارى إلى قيام الساعة وأخبر بأنه سبحانه سوف ينبئهم بما كانوا يصنعون (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم

واصفح إن الله يحب المحسنين ، ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)[1]

النداءات الإلهية فى أهل الكتاب فى السورة :

وتصدر السورة الكريمة خمس نداءات إلهية لأهل الكتاب ، يخبرهم فى أولها وثانيها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاءهم يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب الذى أخذ الله عليهم الميثاق ببيانه للناس وعدم كتمانه[2] كالبشارات بالنبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل وغير ذلك ويعفو عن كثير مما أخفوه فلا يفضحهم ببيانه

وبأن هذا النبى العربى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل قد جاءهم يبين لهم على انقطاع من الرسل ، وطول عهد بغياب الوحى جميع مايحتاجون إليه من أمر دينهم ، وما يصلح به أمر دنياهم من العقائد الحقة التى أفسدتها عليهم نزعات الوثنية ، والأخلاق والآداب الصحيحة التى أفسدها عليهم الإفراط والتفريط فى الأمور المادية والروحية ، والعبادات والأحكام التى تصلح بها أمورهم الشخصية والاجتماعية .

جاء يبين لهم هذا وذاك مما تقاصرت عن معرفته همم أحبارهم

---

(١) المائدة : ١٣ ، ١٤

(٢) اقرءوا فى ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) ١٠٧

ورهبانهم قطعاً لمعذرتهم ، ومنعاً لقولهم يوم القيامة ماجاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءهم البشير النذير بما عرفوه ومالم يعرفوه مع أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب .

الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على أنه نبى الله حقاً ورسوله صدقا، والله على كل شىء قدير ، فلا يعجزه أن يريهم صدق نبيه بنصر دعوته وإعلاء كلمته عليهم فى الدنيا ، ليقيسوا على ذلك إن عقلوا ما يكون من الأمر فى الدار الأخرى .

[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين] (١) .

[ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير] (٢)

وتنعى السورة الكريمة على أهل الكتاب فى ثالث هذه النداءات أنهم عابوا على المسلمين وأنكروا عليهم إيمانهم الصادق بالله وتوحيده وتنزيهه وإثبات صفات الكمال له ، وإيمانهم الكامل بما أنزله إليهم من القرآن الكريم وبما أنزله من قبل على رسله من الكتب الأخرى، مبيناً أن السبب فى ذلك هو فسق أكثرهم وانحرافهم عن الصراط

---

(١) المائدة : ١٥

(٢) المائدة : ١٥ .

المستقيم (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون)[1]

وتبين لهم فى النداء الرابع أنهم ليسوا على شىء يعتد به من أمر الدين ، ولا ينفعهم انتسابهم لعيسى وموسى والنبيين مالم يقيموا التوراة والإنجيل الحقيقيين فيما دعيا إليه من التوحيد الخالص والعمل الصالح ، وفيما بشرا به من بعثة النبى الذى يجىء من ولد إسماعيل ، والذى عبر عنه المسيح عليه السلام بروح الحق وبالبارقليط ، وما أنزل إليهم وإلى سائر الناس من الله تعالى على لسان نبيه محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القرآن المجيد ، لأنه هو الذى كمل به دين الأنبياء والمرسلين .

(قل ياأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم)[2] .

وتؤكد فى ندائها الخامس ماجاء فى سورة النساء من نهى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين إلا أنها لاتتبع هذا النهى بنهيهم عن قول الباطل فى حق الله سبحانه كما سبق فى النساء بل تتبعه بنهيهم عن إتباع أهواء ذوى الأهواء ، من أرباب الديانات الباطلة ، والمذاهب الفاسدة حتى لا يضلوا كما ضلوا .

(قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء

---

(١) المائدة : ٥٩ .

(١) المائدة : ٦٨ .

قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)[١]

أخبار عن عيسى عليه السلام تؤكدها سورة المائدة :

ثم تؤكد السورة الكريمة بعد ذلك ماجاء فى سورة البقرة من أن الله عز وجل قد أيد عيسى عليه السلام بروح القدس ، وروح القدس هو ملك الوحى الذى يؤيد الله به الرسل بالتعليم الإلهى والتثبيت فى المواطن التى من شأن البشر أن يضعفوا فيها ، قال تعالى فى شأن القرآن (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)[٢] .

فالروح جبريل ، والقدس هو الله عز وجل وأضافه لنفسه تعظيما له أو المراد بروح القدس ماخص الله به عيسى من الروح الطاهرة النيرة ، الطيبة الخيرة ، وهذه الروح العلوية الذكية هى التى أيد الله بها المؤمنين كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)[٣]

وكما أكدت هذا المعنى فقد أكدت ماجاء فى سورة آل عمران من وصف عيسى عليه السلام حين بشر الله به أمه بأنه سيكلم الناس فى المهد وكهلا إلى آخر ماوصفه الله به من الصفات الطيبة العجيبة التى هى من خوارق العادات .

---

(١) المجادلة : ٢٢ .
(٢) المائدة ٧٧ .
(٣) النحل : ١٠٢

دلالة قصة المائدة على عبودية عيسى لله تعالى :

ثم تنفرد السورة الكريمة بذكر قصة المائدة فتبرز ما دار بشأنها من حوار بين الحواريين وعيسى عليه السلام ، يدرك المتأمل فيه أن عيسى مربوب لله سبحانه وأن أنصاره كانوا يعرفون ذلك وإن يدا البون بينه وبينهم شاسعاً فى أغراض كل منهما من طلب المائدة وسؤالها .

فأما الحواريون فقد قدموا الأغراض الدنيوية حيث قالوا (نريد أن نأكل منها) وأخروا الأغراض الدينية حيث قالوا (وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين)

وأما عيسى عليه السلام فقد قدم الأغراض الدينية واهتم بها حيث قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك)

وأخر الأغراض الدنيوية حيث قال (وارزقنا) ولم يقف عند هذا الغرض الدنيوى بل سرعان ما انتقل من الرزق إلى الرازق حيث قال (وأنت خير الرازقين) .

« فقوله ربنا » ابتداء منه بذكر الحق سبحانه وتعالى ، وقوله أنزل علينا انتقال من الذات إلى الصفات ، وقوله تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها صادرة عن المنعم ، وقوله وآية منك إشارة إلى كون هذه المائدة دليلا لأصحاب النظر والاستدلال ، وقوله وارزقنا إشارة إلى حصة النفس وكل ذلك نزول من حضرة الجلال فانظر كيف

ابتدأ بالأشرف فالأشرف نازلا إلى الأدون فالأدون ثم قال وأنت خير الرازقين ، وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق ومن غير الله إلى الله ومن الأخس إلى الأشرف .

وعند ذلك تلوح لك سمة من كيفية عروج الأرواح المشرقة النورانية الإلهية ونزولها اللهم اجعلنا من أهله » ا . ه[1] .

ما سيكون من أمر عيسى يوم القيامة :

ولم يقف القرآن الكريم بالباحثين فيه عند هذا الحد من أمر عيسى عليه السلام ، بل جاوزه إلى الحديث عما سيكون من أمره عليه السلام حين يوقف بين يدى الله يوم القيامة فيسأله ربه عز وجل « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ويخبر الله عز وجل فى القرآن خبر الصدق الذى لاشك فيه بأن عيسى عندما يسئل من ربه هذا السؤال سيجيب ربه قائلا :

« سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » إلى أن يقول « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

ويعقب الحق بقوله سبحانه « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » .

---

(١) تفسير الرازى جـ ٣ ط المطبعة الحسينية المصرية ص ٤٧١

ويؤكد ما ذكره فى القرآن مراراً من أنه مالك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير .

حكم الله على المغالين فى عيسى عليه السلام :

من منطلق ما ذكره الله – عز وجل – لأهل الكتاب فى سور القرآن المختلفة من إرشاد وتعليم ، وتوجيه وبيان ، وإبراز لقدر الله سبحانه بما يسموا به عن اتخاذ الولد من صاحبة أو من غير صاحبة ، وعن مشاركة أى من المخلوقات له فى الملك ، بل هو الواحد الذى لا شريك له وهو على كل شىء قدير ، يخلق ما يشاء بواسطة وبغير واسطة ، لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

من منطلق هذا كله جاء حكم الله قاطعاً فى ثلاثة مواضع من سورة المائدة بكفر المغالين فى أمر عيسى عليه السلام .

فقال تعالى فى موضعين منها :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »(١) .

وقال فى الموضع الثالث « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة »(٢) .

والمتأمل فى نصوص ذلك الحكم يجد أنها قد صدرت بلام القسم الدالة على التأكيد ، وبقد الدالة على التحقيق ، فكفر أرباب هذه العقيدة وحملة لوائها أمر مؤكد محقق لا شك فيه .

وقد استقصى الحق سبحانه فى هذه الآيات كل أبعاد عقيدة التثليث

---

(١) آية ٧١ ، ٧٢ (٢) آية ٧٣

وألوهية المسيح على اختلاف أصحابها فيها ، فالذين قالوا قديما إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى فصار عيسى بهذا الاتحاد إلها ، أو إن مريم ولدت إلها على معنى حلول الله فى ذات عيسى واتحاده به عليه السلام كاليعقوبية وأمثالها كافرون لأنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .

والذين يقولون حديثاً إن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر : الله الآب ، والله الابن ، والابن عندهم هو عيسى دون ما جدال والله الروح القدس ، كافرون أيضاً لأنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .

ولما كانت طبيعة الله كما زعموا عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر ، يطلقون على كل واحد منها اسم الله ، وكان هذا يعنى بالضرورة أن كل أقنوم منها إنما هو واحد من الأقانيم الثلاثة حكم الله بكفرهم من هذه الزاوية أيضاً فقال « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » أى كفر القائلون بأن الله واحد من ثلاثة سواء أكان الثلاثة هم الآب ، والابن والروح القدس كما يقول المسيحيون فى عصرنا هذا ، أم كانوا الله وعيسى ، وأمه كما قالته قديماً فرقة كولى رى ديانس وأمثالها ممن بين الله مذهبهم هذا فى قوله (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك)

وكذا يندرج فى هذا الحكم أرباب التثليث الوثنى الذين أخذت عنهم فكرة التثليث المسيحى .

وبهذا يكون الحكم فى الآية الكريمة قد شمل جميع المثلثين وثنيين كانوا أم مسيحيين ، قدامى كانوا أم محدثين .

تعليقات مسيحية على الآية الكريمة وردها :

قال البابا شنودة فى محاضرة له حول التثليث والتوحيد ، ردا على من سأله عن معنى قول الله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

نحن لم نقل : إن الله ثالث ثلاثة ، ومن يقل بمثل هذا فهو كافر نحن لا نقول بثلاثة آلهة ، الله واحد منهم ، ولكن نقول : هو إله واحد له ثلاثة أقانيم ا . هـ .[1]

ونحن نقول ردا على صاحب هذا الكلام وأمثاله إنكم أطلقتم على كل أقنوم من تلك الأقانيم الثلاثة اسم الله فعندكم الله الآب ، والله الإبن والله الروح القدس ، وعلى هذا فالله الآب ثالث ثلاثة هم الآب ، والابن والروح القدس، والله الابن ثالث هذه الثلاثة أيضاً ؛ وكذلك الله الروح القدس لأن أى واحد من ثلاثة هو ثالث لهذه الثلاثة سواء أكان هذا الواحد فى أول الثلاثة أم فى وسطها ، أم فى آخرها ، فأى أقنوم عندكم هو الله ، وهو ثالث ثلاثة أى واحد من الأقانيم الثلاثة .

فكيف يستجيز المحاضر لنفسه أن يجيب سائله بمثل هذا الكلام؟.

هذا وقد ذكر الحق سبحانه من الأدلة المقنعة ، والبراهين الساطعة عقب كل نص من نصوص ذلك الحكم وما يقطع به معارضة المعارضين فيه ، فبين إثر النص الأول [2] أنه المالك للسماوات والأرض وما بينهما والقادر على أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً، وعلى

---

(١) التثليث والتوحيد محاضرة للبابا شنودة مسجلة بصوته ومحفوظة عند المؤلف .

(٢) المراد بالنص الأول آية ١٧ من سورة المائدة .

أن يخلق ما يشاء كيفما شاء لأنه على كل شيء قدير ، فكيف يتأتى لأحد أن يجترىء على الجلال الإلهى ، فيضفى صفة الله سبحانه على واحد من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

اقرءوا إن شئتم قوله سبحانه « قل فمن يملك من الله شيئاً » إلى قوله « والله على كل شيء قدير » .

وبين عقب النص الثانى (١) أنهم بينما يقولون إن الله هو المسيح ابن مريم يقول المسيح عن نفسه لمن أرسله الله إليهم يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، فأنا مربوب لارب ، وأنا عابد لا معبود « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

وبين بعد النص الثالث(٢) أن الحق الذى تشهد به الآثار ، وينطق بصدقه تعاقب الليل والنهار ، وتدل عليه سائر الأخبار أنه ما من إله إلا إله واحد ، وأن دعاة التثليث فى القديم والحديث آثمون فى دعواهم تلك ، وإن كثر عددهم وبسط عيشهم وإن لم ينتهوا عن إثمهم هذا ليمسنهم من الله العذاب الأليم ، أفلا يتوبون إلى الله من هذا الكفر الصراح ، ويستغفرونه من هذا الإثم العظيم ، إنهم إن فعلوا ذلك وجدوا الله غفورا رحيما .

ثم يبين الحق سبحانه أن المسيح الذى جعلوه إلها وثالث ثلاثة أقانيم اختلقوها ، أو آلهة زعموها ليس إلا رسولا قد خلت من قبله

---

(١) المراد بالنص الثانى آية ٧٢ من سورة المائدة

(٢) المراد بهذا النص آية ٧٣ من سورة المائدة .

الرسل وأمه صديقة صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ولم يخرجا فى شأنهما كله عن سائر الناس فهما يأكلان الطعام كما يأكل الناس ويحدثان الحدث كما يحدث الناس وينامان كما ينام الناس، ويستيقظان كما يستيقظ الناس.

والذات الإلهية منزهة عن ذلك كله — فالله يرزق ولا يرزق (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[١] وهو يطعم ولا يطعم (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)[٢]

وهو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)[٣]

فكيف يستبيح عاقل لنفسه أن يصف من يستيقظ وينام ويأكل الطعام بصفة من هو منزه عن هذا كله، أليس فى تصديق مثل ذلك إهانة للعقول والافهام (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)

وبعد .. فهذا بعض ما أنزل الله فى حجاج المسيحيين من القرآن (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

(فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وها هو الرسول قد جاء فأكمل الله به الدين وأتم به النعمة وارتضى سبحانه

---

(١) الذاريات ٦٨ (٢) الأنعام ١٤

(٣) البقرة ٢٥٥

للعالم كله الإسلام دينا ، وانقطعت ببعثته صلى الله عليه وسلم سائر المعاذير فلا عذر لمن لم يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

دعاوى مسيحية :

رغم وضوح القرآن الكريم فى إثبات عقيدة التوحيد ، ونفى الشرك والتثليث وضوحا يقطع نقاش كل مناقش ، وجدال كل مجادل ورغم غموض عقيدة التثليث والتوائها فى عقول أربابها ومعتقديها .

رغم هذا وذاك ، فإنا نجد من المسيحيين من يدعون فى تهاون واستخفاف ، أن الإسلام وكتابه مشتملان فى جملتهما وتفصيلهما على عقيدة التثليث ، فأما القرآن فمركز الثالوث فيه كما زعموا قول الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله عندهم هو الآب، والرحمن هو الابن والرحيم هو الروح القدس .

وأما الإسلام فيكمن التثليث فيه كما ذكروا ما يأتى :

أولا : تأكيد المقسم ليمينه بقوله : أقسم — بالله — ثلاثا ، أو يذكر نص اليمين ثلاث مرات ، لأنه حينئذ يكون قد بلغ بيمينه الحد الذى لا يتجاوز وهو الثالوث الأقدس .

ثانيا : كون المطلق لا تبين زوجه البينونة الكبرى إلا إذا طلقها ثلاثا ، لأنه ليس فوق الثالوث شىء يبتغى .

ثالثا : قول المؤذن خمس مرات فى كل يوم — الله أكبر — أى

أكبر مما يماثله فى الألوهية ، وهو اقنوم الآب الذي هو أعظم من أقنوم الابن .

رابعا : تسمية الإسلام — لله — بالعفو الغفور ، والجبار المنتقم ، لأنه لا يصح أن يسمى بهذه الأسماء المتضادة ، المتناقضة إلا من كانت طبيعته ثالوثية ، فالله الآب يتسم بالجبروت والانتقام ، والله الابن يتصف بالعفو والغفران ، والله الروح القدس يتسم بالقدسية وبعث الحياة فى الأنام ، أما أن يتصف واحد فقط بالجبروت والرحمة والعفو والمغفرة معا فذلك ما لا يتصوره عقل [١]

نقض هذه الدعاوى وإبطالها :

هكذا ادعى بعض المسيحيين على الإسلام وكتابه المبين ونسى هؤلاء وأولئك ما يأتى :

أولا : إذا كان قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم) قد اشتمل على ثلاثة أوصاف — لله — زعموها ثالوثهم المقدس فإن قوله تعالى فى أول سورة غافر (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) إلى قوله (لا إله إلا هو إليه المصير [٢]) .

قد اشتمل على سبعة أوصاف — لله . وقوله فى سورة الحشر (هو

---

(١) انظر ما جاء عن ذلك مفصلا فى كتاب الله واحد أم ثالوث للاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا ص ٥٣ : ٦١

(٢) الآيات ١ : ٣ .

الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة[١]) إلى آخر السورة قد اشتملى على سبع عشرة صفة — لله — أيضاً .

أفلا يأخذون من هذا وسابقه أن الآلهة أربعة وعشرون إلها كما أخذوا من البسملة أن الآلهة ثلاثة ؟ إن هذا لهو الإفك المبين .

ثانيا : لست أدرى من أين أتوا بالعلاقة بين العقيدة فى الإسلام وبين ماتعارف عليه الناس من تأكيد أيمانهم بالثلاث ، أو الأربع ، أو نحو ذلك ، مما لا مدخل له فى إثبات العقائد أو نفيها على الإطلاق ، وإلا فلو جاز لنا أن نقول إن من يقسم بالله ثلاثا هو ثالوثى العقيدة ، لجاز لنا أن نقول أيضا إن من يقسم — بالله — خمساً فذلك لأنه يجد عقيدة التخميس فى دينه ، وكون السماوات سبعاً ، والأرض سبعاً ، وأيام الأسبوع سبعاً إشارة إلى عقيدة التسبيع بدلا من عقيدتى التثليث والتخميس .

وهكذا كلما رأينا عددا معينا مضطردا فى شيء تعارف عليه الناس ، أو استقرت عليه الطبيعة الكونية جعلنا علاقة بينه وبين العقيدة الإسلامية متجاهلين ماقرره أئمة الإسلام ، من أن العقيدة لا تثبت بخبر الواحد ولو كان صحيحا ، بل لابد فى إثباتها من أن يكون الخبر بها المنقول إلينا عن النبى ﷺ متواتراً أو كالمتواتر ، ننسى ذلك كله ونتجاهله ونحتكم فى إثبات العقائد كما رأى النصارى إلى الحلانين فنقول لمن يقسم بالله ثلاثا أنت ثالوثى العقيدة ، ولمن يقسم بالله مرتين

(٢) الآيات ٢٢ : ٢٤ .

أنت ثنائي العقيدة ، إلى آخر تلك الأمور التي لا يقول بها إلا مجنون مأفون .

ثالثاً : بدلا من أن يقر هؤلاء المدعون بما في تشريع الطلاق من رحمة — الله — الكبرى بعباده ، وبما جره عليهم منع الطلاق عندهم من مفاسد وموبقات وما قد يكون من هجر بعضهم المسيحية بالكلية بغية التخلص من زوجه التي فرضت عليه فرضاً ، بدلا من أن يقروا بهذا ويزعنوا له راحوا يستخرجون من كون البينونة الكبرى لا تقع إلا بالطلقة الثالثة دليلا على وجود عقيدة التثليث في الإسلام .

— فالله — في العقيدة الإسلامية — كما زعموا — ثلاثة لأن الطلاق في التشريعات الإسلامية ثلاثة .

ونحن إذا سايرنا هذا المنطق العجيب كان لنا أن نقول إن — الله — في العقيدة الإسلامية خمسة ، لأن الصلوات في الشريعة الإسلامية خمسة ، بل لبعض الناس إذن أن يقول إن — الله — في العقيدة الإسلامية ثلاثون ، لأن الصيام في التشريعات الإسلامية ثلاثون يوماً إلى آخر هذه الترهات التي لا يقول بها إلا أبله معتوه .

رابعاً : قول المؤذن كل يوم — الله أكبر — لا يعني أن أقنوم الآب أعظم من أقنوم الإبن ، والروح القدس كما قالوا ، بل يعني أنه سبحانه أكبر من أن يتخذ ولدا من صاحبة أو من غير صاحبة ، وأكبر وأعظم من أن يكون له في ملكه شريك ، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

خامساً : قولهم إن فى تسمية — الله — بالجبار المنتقم ، والعفو الرحيم دلالة على ثالوثيته غير صحيح لأن — الله — الواحد عليم حكيم ، فبمقتضى علمه وحكمته يكون جبروته أو رحمته ، فإذا رحم أحداً فلأنه فى علمه سبحانه يستحق الرحمة وإذا انتقم من أحد فلأنه فى علمه عز وجل يستحق الانتقام ، وكون الواحد لا يكون جبارا رحيما أمر لا يقره الواقع العملى . فنحن نرى الجندى فى الميدان أسدا هصورا ، وفى بيته ومع أولاده رحيما عطوفا ، وهو إنسان واحد ، بل أبعد من ذلك نرى الأسد ينقض على فريسته فينهش لحمها ويفتت عظامها ويحنو على أولاده فيدنيهم منه ويحملهم فوق ظهره وهو هو أسد واحد .

فكيف لا يكون الواحد جامعا بين الجبروت والقسوة ، والعطف والرحمة ، تلك بدهيات لا ينكرها إلا متعصب مغرور .

مناقشات هادئة مع البابا شنودة الثالث
فى محاضرته عن التثليث والتوحيد

قد استمعنا إلى تسجيل لمحاضرة ألقاها البابا أمام جماعة الشباب الفاسكونى تحت عنوان التثليث والتوحيد خلاصتها :

أن المسيحين على اختلاف طوائفهم لا يؤمنون بثلاثة آلهة ، كما يقول بعض الناس ، بل يؤمنون بإله واحد له ثلاثة أقانيم هى الأب والإبن والروح القدس ، وليس هذا فحسب ، بل يرون أن عدم الإيمان بإله واحد أمر يتنزه عنه حتى الشياطين كما جاء فى رسالة يعقوب الرسول

من قوله : (أنت تؤمن بإله واحد ، حسنا تفعل ، والشياطين أيضا يؤمنون ويقشعرون) .

وقد ساق المحاضر تدليلا على صدق هذه القضية وصحتها شواهد عدة من مصادر متنوعة فاستشهد من الكتاب المقدس بما يأتى :

١ — قوله فى بداية المحاضرة : باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

٢ — قول المسيح عيسى لتلاميذه حين أرسلهم للتبشير كما جاء فى متى ٢٨ : ١٩ « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » ، ثم قال بعدما أورد هذا الشاهد لاحظوا أنه قال (باسم) ولم يقل (بأسماء) .

٣ — ما جاء فى رسالة يوحنا الرسول ٥ : ٧ ما إن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة ، الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد .

٤ — قولهم فى أول قانون الإيمان المسيحى الذى يؤمن به جميع المسيحيين بالحقيقة نؤمن بإله واحد .

٥ — استشهد على أن فكرة التثليث قديمة بما جاء فى الكتاب المقدس من قول المسيح (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) وبقولهم عن المسيح فى قانون الإيمان السالف الذكر (المولود من الأب قبل كل الدهور) وبما جاء فى يوحنا ١٧ من قول المسيح (الآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم) ،

وبما جاء فى الكتاب أيضا من قوله : شىء به (كل كان ، ولم يكن بغيره شىء مما كان) .

٦ — استشهد على أن كلمة (الله) تطلق على الآب والإبن والروح القدس بما جاء فى الكتاب المقدس من قوله : (الله روح والذين يسجدون له فبالروح ينبغى له أن يسجدوا) .

٧ — استدل على اتحاد المسيح والله بما جاء فى يوحنا ١٠ : ٣٠ من قول المسيح : أنا والآب واحد .

٨ — استدل على أن المسيح عقل الله بما جاء فى أمثال سليمان (الابن صنو الحكمة) واستشهد من القرآن الكريم على أن المسيحيين موحدون لا مشركون ، وعلى أن التثليث الذى يحاربه الإسلام إنما هو التثليث الوثني ، لا التثليث المسيحى بما يأتى :

١ — ما جاء فى سورة العنكبوت آية ٤٦ من قوله تعالى : (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد) ثم كرر الفقرة الأخيرة مرتين .

٢ — ما جاء فى سورة آل عمران آية ١١٣ من قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات) الكتاب — كما قال (أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم علق قائلا : قال (يؤمنون بالله) ولم يقل با لهة ، أو بثلاثة آلهة .

٣ — ما جاء فى سورة المائدة آية ٨٢ من قول الله سبحانه (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن

منهم قسيسين ورهبانا) وهم لا يستكثرون — كما قال — ثم علق قائلا فقد تحدث القرآن عن ثلاث طوائف اليهود والذين أشركوا فى جانب ، والنصارى وحدهم فى جانب آخر ، فلو كان النصارى من المشركين ما فرق بينهم وبين من سبقهم .

٤ — قوله فى سورة البقرة آية : ٦٢ وتشبهها آية المائدة : ٦٩ « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم » ولا خوف عليهم — كما قال — « ولا هم يحزنون » ثم علق قائلا : لو كان النصارى من الذين أشركوا لكان عليهم الخوف ولكانوا يحزنون ولكان مأواهم النار وبئس القرار ، ولكنهم لما لم يكونوا من المشركين كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٥ — قوله تعالى فى سورة الحج آية : ١٧ « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد » ثم علق قائلا : يفصل بينهم أى يجعل بينهم فاصلا ، فلو كان النصارى من المشركين لما فصل بينهم وبين المشركين .

٦ — قوله تعالى فى سورة الأنعام : (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » ثم علق قائلا : نحن لم نقل بأن له صاحبة ، وإنما الذين يقولون بهذا هم الوثنيون ، فالمسلمون يحاربون التثليث الوثنى ، ونحن نحاربه أيضا .

٧ — قوله تعالى فى سورة الجن آية : ٦٣ « وإنه — كما قال — « تعالى جد » ربنا — كما ذكر — « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » .

٨ — قوله تعالى فى سورة المائدة آية : ١١٧ « وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » قال « حاشا » — كما قال — ثم علق بقوله : نحن لم نقل إن مريم إلهة من دون الله ، ولا كذلك المسيح أيضاً ، إذ هو ليس إلها من دون الله، وإنما هو الله .

واستشهد من الفقه الإسلامى على تفريق الإسلام بين المشركين والمسيحيين بما يأتى :

١ — لا يبيح الإسلام التزوج من المشركين ولا تزويجهم ، ويبيح التزوج من المسيحيات .

٢ — يهدر الإسلام دم المشركين ، ولا يأمر بقتل النصارى ، وإنما فرض عليهم الجزية .

ثم أفاض فى تحقيق تلك القضية ، وبيان كيف يكون الثلاثة واحدا ، ومعنى كلمتى ابن وروح قدس ، وكيفية ولادة الابن من الأب بضرب الأمثلة والتشبيهات العقلية ، فشبه الأب بذات الإنسان ، أو بجرم الشمس والنار ، وشبه الإبن بعقل الإنسان ، أو بنور الشمس والنار ، وشبه الروح القدس بروح الإنسان ، أو بحرارة الشمس والنار، بجامع أن المشبه والمشبه به فى تلك الأمور يتكون من ثلاثة أشياء ، ومع ذلك فهو شيء واحد ، فكما أنه لا تنفصل ذات الإنسان عن عقله وروحه ، ولا ينفصل جرم الشمس والنار عن نورهما وحرارتهما ، فكذلك لا ينفصل الآب عن الابن والروح القدس .

وبين أن ولادة الأب ليست من قبيل الولادة التناسلية لأن الولادة التناسلية يترتب عليها انفصال المولود عن والده ، وإنما هي من قبيل الولادة الذاتية الروحية ، تماما كولادة العقل للفكر ، فالمولود على هذا خارج عن الوالد داخل فيه ، كالفكرة التي يلدها العقل فهي خارجة منه وفي الوقت ذاته كائنة فيه .

وأن كلا من الأقانيم الثلاثة قد خلق العالم ، وضرب لذلك مثلا بشخص حل مسألة رياضية بعقله ، فهو قد حل هذه المسألة وعقله قد حل هذه المسألة وهو وعقله كائن واحد ، وأن لفظ (الله) يطلق على الأب وعلى الابن والروح القدس ، فنقول الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، ثم فرق بين تثليث الوثنيين وتثليث المسيحيين بأن في الأول امرأة إلهة ، وليس ذلك في الثاني ، وبأن في الأول اختلافا زمنياً إذ الأب أكبر من الأم وكلاهما بالضرورة أكبر من الإبن وليس ذلك في الثاني ، لأن أحد الثلاثة ليس أقدم من الآخر ، وبين أن فكرة التثليث قديمة وليست وليدة المسيحية ، وأن أكبر دليل على ذلك قول المسيح السالف (مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم) ، ثم وعد مستمعيه بمحاضرة أخرى في موضوع التجسيد والصلب لأهميته وسعة أطرافه .

هذا ملخص واف – فيما نرى – لما فهمناه من تلك المحاضرة .

ولو أن قائلها اكتفى في إثبات ما جاء فيها بما تحت يده من النصوص المسيحية في الكتاب المقدس وغيره لما رددنا عليه وناقشناه ، لكنه عمد

إلى تأويل آيات من القرآن الكريم على غير وجهها الصحيح ، حتى يتخذ منها أدلة على صدق قوله وصحة ادعائه ، ثم ادعى أن القرآن الكريم قد اتهم المسيحيين كذباً وزورا بما ليس فيهم ، الأمر الذى دفعنا للرد على هذه المحاضرة ومناقشة صاحبها إحقاقاً للحق وإبطالا للباطل ولو كره الكافرون .

ونستأذن البابا فى مناقشة نيافته حول هذا الموضوع بأسلوب طابه فى محاضرته وارتضاه ، وهو الأسلوب الهادىء الذى يرتفع عن مستوى الغضب والسب والتجريح . فنقول وبالله التوفيق :

أولا : مفهوم ما ذكرتموه من كون الآب والإبن والروح القدس إلها واحداً هو أن هذه الأقانيم الثلاثة أجزاء لكل واحد هو الإله ، بدليل أنكم شبهتم الآب بذات الإنسان والإبن بعقله ، والروح القدس بروحه ، فكما أن هذه أجزاء لكلٍّ واحد هو الإنسان ، فتلك بالتالى أجزاء لكل واحد هو الإله .

وهذا – فيما نرى – لا يمكن قبوله أو تصوره ، لأن الواحد – كما نفهمه – هو الفرد الذى لا يتجزأ ، ولما كان الواحد بهذا المعنى لا ينطبق على أى مما يقبل الوجود والعدم كان بالضرورة منطبقاً على من وجوده لذاته من ذاته لا من غيره ، أى الواجب الوجود الذى يمنح سائر الكائنات وجودها وعدمها ، ولا يستمد هو وجوده من كائن آخر ، وهو الله – عز وجل ، إذ لو تركب من أجزاء لكان ناقصا ، لأنه يحتاج فى خلق العالم إلى تلك الأجزاء أو إلى بعضها – كما ذكرتم –

— من أن الأب بالإبن خلق العالم — والاحتياج نقص ، والنقص على الله محال .

وليس من قبيل الأجزاء ما جاء فى سورة الفتح من قوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ١٠ وما جاء فى سورة القمر من قوله تعالى : ﴿ تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ ١٤ وما جاء فى سورة الرحمن من قوله عز اسمه : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ٢٧ لأن معنى اليد فى الآية الأولى : القدرة ، ومعنى الأعين فى الآية الثانية : الرعاية والحفظ والعناية ، ومعنى الوجه فى الآية الثالثة : الذات .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فإن هذه الأشياء ، بمعانيها السالفة هى صفات كمال المتصف بها ، وليست مولودة منه ، ولا هو والد لها .

ثانياً : مفهوم قولكم بالنص (مثلما يولد الفكر من العقل هكذا ولادة المسيح من الآب) أن الأب قد ولد المسيح ، إلا أنها ليست ولادة تناسلية ولا خِلقية ، بل هى ولادة روحية ذاتية كولادة الفكر من العقل سواء بسواء .

ومعلوم أن الوالد سابق فى الوجود على المولود — تناسلية كانت ولادته له أم غير تناسلية فالعقل — مثلا — لابد أن يكون موجوداً قبل الفكرة التى يلدها .

وقد قررتم فى نفس المحاضرة أن الأب والابن والروح القدس متساوون فى الوجود تساويا كاملا ، بحيث لم يسبق أحد الثلاثة فى هذا الوجود أحداً أبدا فكيف يتأتى هذا التساوى مع كون أحد الثلاثة — باعترافكم — قد ولد الآخر .

ثالثاً : قررتم فى محاضرتكم أن الإبن عين الآب ، والأب عين الإبن ، وعليه فما يعلمه أحدهما يكون بالضرورة معلوما للآخر ، إذ لا انفصال بينهما فى أى شىء من الأشياء ، وقد جاء فى إنجيل مرقس ١٣ - ٣٢ عن يوم القيامة ما نصه :

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب) فكيف يكون الابن عين الآب وهو بنص الانجيل يجهل أشياء يعلمها أبوه ؟؟ .. نبئونا بعلم إن كنتم صادقين ؟

رابعاً : ما استشهدتم به على صحة عقيدة التثليث من قول عيسى - عليه السلام - الوارد فى إنجيل متى ٢٨ : ١٩ (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس) وبما جاء فى رسالة يوحنا الرسول من قوله فى ٥ : ٧ (إن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) .

إلى غير ذلك من الشواهد التى استشهدتم بها من الكتاب المقدس على صحة عقيدة التثليث منقوض - فيما نرى - بما جاء عن عيسى نفسه - عليه السلام - من قوله فى إنجيل يوحنا ١٧ : ٣ (وهذه هى الحياه الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته) إذ قد بين عيسى سلام الله عليه فى هذا النص أن الله واحد لاشريك له ، وأنه هو عبد الله ورسوله ، وليس ابناً له كما جاء فى النصين السالفين ، وأى القولين نصدق ؟ وبأيهما نأخذ ؟ .

خامساً : ما استشهدتم به من القرآن الكريم على أن المسيحيين

موحدون لا مشركون غير صحيح من الناحيتين اللفظية والمعنوية .

فأما من حيث نصوص الآيات فقد وقعت عند ذكرها فى أخطاء نرجو أن تأذن لنا بتصحيحها قبل أن ندخل فى مناقشة ما أوردت من معان لهذه الآيات فنقول :

قولك فى سورة آل عمران آية : ١١٣ يتلون آيات الكتاب خطأ . صوابه ﴿ يتلون آيات الله ﴾ .

قولك فى سورة المائدة آية : ٨٢ وهم لا يستكبرون خطأ . صوابه ﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ .

قولك فى نفس السورة أيضاً آية ١١٦ قال حاشا خطأ . صوابه ﴿ قال سبحانك ﴾ .

قولك فى سورة البقرة آية : ٦٢ ولا خوفَ ، خطأ . صوابه ﴿ ولا خوفٌ ﴾ .

قولك فى سورة الجن آية : ٣ وإنه تعالى جد ربُّنا ، خطأ . صوابه ﴿ وأنه تعالى جد ربِّنا ﴾ .

هذا من الناحية اللفظية .

وأما من الناحية المعنوية فإن قوله — تعالى — فى الآية السادسة والأربعين من سورة العنكبوت ﴿ وإلهنا وإلهكم واحد ﴾ هو بيان للحقيقة التى أرسل الله عز وجل بها جميع أنبيائه ورسله من آدم عليه السلام — إلى محمد ﷺ — بما فيهم عيسى ابن مريم — عليه السلام .

وقد طلب منا الحق سبحانه وتعالى أن نؤمن بهذه الحقيقة إيماناً راسخاً ، ونهى كل من حرفوها فانحرفوا بها إلى عقيدة التثليث بقوله

سبحانه فى سورة النساء ١٧١ ، ١٧٢ ﴿ فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السماوات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ ١٧١ ، ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾ ١٧٢

فكل من قال بأن الله واحدلا ثلاثة هم واحدهو الموحد الذى لا يوسم بسمة الشرك ، أما القائلون بالتثليث فليسوا موحدين ولا هم يؤمنون باله واحد ، كما استشهدتم على ذلك بآية العنكبوت وغيرها من الآيات.

وقوله تعالى — فى سورة آل عمران آية : ١١٣ (من أهل الكتاب أمة قائمة) ... الخ الآية هو بيان لحال طائفة من أهل الكتاب استمسكت بالحق واعتصمت به ، واحتفظت بعقيدتها نقية سليمة من التحريف والتزييف حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم — فدخل من بقى من هذه الطائفة فى دين الله سبحانه لما عرفوه من كتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كونه نبى آخر الزمان الذى أمرت الكتب السماوية كل من أدركه باتباعه والايمان به .

وقد جاء هذا البيان بعد بيان — الله — سبحانه — فى الآيات السابقة لما عليه طوائف أخرى من أهل الكتاب من الفسق والفجور والعصيان الذى استحقوا بسببه ماضربه الله عليهم من الذلة والمسكنة والهوان .

فدل هذا على أن حكم الله عز وجل فى أهل الكتاب كان حكما

عدلا ، يقضى لكل طائفة منهم بما لها وما عليها ، فهم فى ميزان العدل الإلهى ليسوا سواء .

هذا هو معنى الآية التى استشهد بها الأستاذ المحاضر على أن المسيحيين يؤمنون بإله واحد ، ولعله يكون قد تبين — بعد إيراد هذا المعنى — أن الآية الكريمة ليست شاهدا لما ذكره الأستاذ المحاضر على الإطلاق .

واستشهاده على أن الله فرق بين النصارى والمشركين فى قوله تعالى من سورة الحج آية : ١٧ (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) أى يجعل فاصلا بين المسيحيين والمشركين ليس فى موضعه ، لأن معنى الآية الكريمة أن هذه الطوائف كلها سوف تقف بين يدى الله يوم القيامة وأنه سيحكم بينها فيما اختلفت فيه ، فالفصل هنا بمعنى الحكم ، لا بالمعنى الذى أراده المحاضر .

وكذا ما استشهد به الأستاذ المحاضر على التفريق بين المشركين والنصارى من قول الله تعالى فى سورة المائدة آية ٨٢ (لتجدن أشد الناس عداوة) .. إلى قوله تعالى (وأنهم لا يستكبرون) وقوله سبحانه فى سورة البقرة آية : ٦٢ (إن الذين آمنوا والذين هادوا) ... إلى قوله تعالى (ولا هم يحزنون) ليس شاهدا له لأن التفريق الواقع فى سورة المائدة إنما هو بين الوثنيين واليهود من جانب ، والنصارى من جانب آخر .

فالأولون كانوا فى عصر صدر الإسلام أشد الناس عداوة للمؤمنين وإعراضاً عن الدخول فى هذا الدين ، والآخرون كانوا فى هذا العصر

أقربهم مودة للمؤمنين فى القول والمعاملة وأبعدهم عن التجبر والاستكبار ولم يقل أحد بأن النصارى كانوا وثنيين حتى تجعل هذه الآية شاهداً على التفريق بين النصارى والمشركين ولأن وعد الله عز وجل الوارد فى آية البقرة بالأجر العظيم وعدم الخوف والحزن إنما هو لمن آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وزائفى الإيمان وعمل صالحا ، فكيف يقال إن هذا الوعد للنصارى لأنهم ليسوا مشركين على حين أن النص صريح فى كون هذا الوعد إنما هو للمؤمنين الحقيقيين وليس لليهود ولا للنصارى ولا للصائبين ولا لزائفى الإيمان . فالقول بكون هذا الوعد للنصارى مخالف لمنطوق النص الكريم ومفهومه ، فهو إذن غير مقبول ولا معقول ، واستدلال الأستاذ الحاضر بما جاء فى سورة الأنعام من قول الله سبحانه (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) ١٠١ وبما جاء فى سورة الجن من قوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) (٣) استدلال سيادته بهاتين الآيتين على أن الإسلام لا يحارب التثليث المسيحى ، وإنما يحارب التثليث الوثنى – وهو كما قال إله ذكر يتزوج من إلهة أنثى فينجبان إلهاطفلا – أمر غير مستساغ ، لأن الإسلام قد حارب التثليث أيا كان نوعه ودعا إلى التوحيد الخالص فى نحو قوله سبحانه (بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) فالله سبحانه قد أخبر عن نفسه فى تلك السورة الكريمة بأنه لم يلد أحداً لا من صاحبة ، ولا من غير صاحبة ، كفكرة الولادة الروحية المشابهة لولادة الفكر من العقل التى تقولون بها .

وعلى هذا فالاستفهام الوارد فى سورة الأنعام إنما هو لبيان أن منشأ الوالدية إذا كان من اتصال ذكر بأنثى ، فكيف يكون لله ولد وليست له صاحبة ، وإذا كان بالخلق ، فكيف يكون له ولد واحد وهو خالق السماوات والأرض ومن فيهما من الإنس والجن والملائكة ، بل خالق كل شىء وهو بكل شىء عليم .

والنفى الوارد فى سورة الجن إنما هو لبيان أن الله لم يتخذ صاحبة حتى يقال إنه أنجب منها ولدا ، ولم يكن له ولد بدون هذه الصاحبة حتى يقال إنه صدر عنه ولد كما نسمع به الآن .

وإذا كانوا يفسرون ولادة الله للمسيح بأنها ولادة روحية كولادة الفكر من العقل ، فماذا يقولون عن خروجه من رحم امرأة طفلا كسائر الأطفال .

ومن عجب أن الأستاذ المحاضر الذى استشهد بالقرآن الكريم على صدق ماأورده فى محاضرته من أفكار قد اعتبر قول الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ﴾ اتهاما كاذبا للمسيحيين بما لم يقولوه ولم يؤمنوا به ، حيث قد فسر الآية الكريمة بأن المسيح إله ومريم العذراء إلهة ، فتكون هى الصاحبة والله هو الأب والمسيح هو الإبن ، ثم قال معقباً « نحن لانوافق على هذا الكلام ولا نؤمن به إطلاقا فمن قال إن مريم إلهة هو إنسان كافر ، وأما المسيح فليس إلهاً من دون الله وإنما هو الله .

هذا مافسر به الآية الكريمة ؛ والذى نراه أن اتخاذ إله من دون الله يراد به عبادة غير الله تعالى سواء أكانت تلك العبادة الخالصة لهذا الغير أم شركة بين الله وبينه ، وهذا ينطبق على المسيحيين كل الانطباق ، أما اتخاذهم المسيح إلها فظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وأما أمه عليها السلام فقد كانت عبادتها متفقا عليها فى الكنائس الشرقية العربية بعد قسطنطيين ، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التى ظهرت بعد الإسلام بعدة قرون .

ومن تلك العبادة التى توجه بها المسيحيون القدامى إلى مريم — عليها السلام — صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة ، واستشفاع بها ، ومنها صيام ينسب إليها ويسمى باسمها ، وكل ذلك مقرون بالخضوع والخشوع لذكرها ولصورها وتماثيلها ، واعتقاد السلطة الغيبية لها التى يمكنها بها فى اعتقادهم أن تنفع وتضر فى الدنيا والآخرة بنفسها ، أو بواسطة ابنها .

وقد صرحوا بوجوب العبادة لها ، وإن لم يطلق عليها إسم الإله عندهم ـ فيما نعلم بل يطلقون عليها اسم والدة الإله .

لذا كان القرآن دقيقاً عندما قال هنا انهم اتخذوها وابنها إلهين ، بينما يقول سبحانه فى الحديث عن عقيدة النصارى فى المسيح (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) المائدة : ١٧ ، لأن الاتخاذ غير التسمية ، فهو يصدق بالعبادة ، وهى واقعة قطعاً (١) فكيف يستبيح

---

(١) أنظر فى ذلك تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج٧ ص ١٩ وما بعدها .

الأستاذ المحاضر لنفسه أن يكذب القرآن فى أمر قد وقع، وأظنه لا يجهله لما نعرف عنه من كثرة القراءة وسعة الإطلاع.

سادساً : ما استشهد به المحاضر من الفقه الإسلامى على التفريق بين النصارى والمشركين ليس صحيحا فيما نرى لأن الأحكام الفقهية، الواردة بمنع تزويج المسلمين من المشركات، وتزويج المشركين من المسلمات، واهدار دم المشركين إنما هى للذين يعبدون الأصنام.

أما أهل الكتاب ومنهم المسيحيون، فأن شركهم جاء من كونهم اعتقدوا الوهية لله وأن لله ثلاثة أقانيم إلى غير ذلك من معتقداتهم التى انحرفوا بها عن الخط الصحيح الذى كانت عليه كتبهم السماوية قبل التغيير والتبديل.

لذا اقتضت حكمة الله العادل أن يعاملهم معاملة تختلف عن معاملة الوثنيين، فأباح التزوج منهم وفرض عليهم الجزية، ولم يهدر دمهم احتراما لكتبهم الصحيحة قبل تحريفها، وتقديراً لما كان عليه أسلافهم من دين صحيح.

فهل بعد هذا عدل ؟ وهل فوق هذا فضل ؟

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

الفصل الثانى

مناقشة القرآن للمسيحيين فى صلب المسيح

موقف اليهود من صلب المسيح :

لم يكتب اليهود فى تواريخهم القديمة دينية كانت أم غير دينية شيئاً ما عن عيسى المسيح عليه السلام فضلا عن كونهم عذبوه أو صلبوه . ولعل من أبرز الدلائل على ذلك أن يوسف (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى قد أغفل هذا الموضوع تماماً حينما كان يكتب تاريخه المشهور أمام « طيطوس » سنة إحدى وسبعين بعد الميلاد ، رغم قرب زمنه من زمن المسيح عليه السلام ، بل تكاد تكون نهاية المسيح قد تمت وهو حى يرزق صغيراً أو كبيراً ، ولا يمكن أن يكون إغفال الكتابة عما كان بين المسيح واليهود شيئاً غير متعمد من يوسف هذا لأن قرب عهده بالمسيح واشتهار أمره بين الناس من ناحية ، واعتناء يوسيفوس بالتأريخ لأحوال اليهود وما حدث بينهم وبين خصومهم من ناحية أخرى ، يؤكد أن إغفال (يوسيفوس) أمر المسيح كان شيئاً متعمداً مقصوداً حتى لا يجر على اليهود مزيداً من القلاقل والمشاكل .

وما قد يرى فى بعض نسخ هذا الكتاب من ذكر للمسيح فإنما هو من إلحاق بعض المسيحيين المتأخرين بغية أن يثبتوا لليهود اعتراف بعض مؤرخيهم بما فعل أسلافهم بالمسيح .

ولم يكن هذا الإغفال قاصراً على تواريخهم فقط بل بلغ بهم الأمر أن محوا من التلمود ما كان فيه من أخبـــار المسيح كما قرره بعض علمائهم .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار :

أخبرني الدكتور « إسرائيل ولفنون » أن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في « التلمود » ولـكن اليهود أخرجوها منه حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التي يقيم بينها اليهود فيكون ذلك مصدر قلاقل ، وأخبرني أيضاً أن المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين فأغرى الحـكام الرومانيون اليهود ليشتـكوا عليه ففعلوا وأمر الحاكم الروماني بقتله هكذا يقول اليهود . أ . هـ[1] .

وما حملهم على إيغالهم هذا في إنكار ما فعل أسلافهم بالمسيح إلا خوفهم من الوقوع في مزيد من القلاقل والمشاكل كما قلنا آنفاً ، هذا موقف اليهود من مسألة صلب المسيح .

وأما النصارى فإن لهم موقفاً آخر من هـــذه المسألة يختلف من موقف اليهود كل الاختلاف فصدق الله حيث يقول :

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الـكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾[2] .

---

(١) قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار ط . مؤسسة الحلبي وشركاه ص ٤٣

(٢) البقرة : ١١٣

الإصحاح السادس والعشرون

قصة صلب المسيح وقيامته عند النصارى عقلا ونقلا :

يعتقد المسيحيون اعتقاداً جازماً بأن عيسى عليه السلام قد صلب ومات على الصليب ، وأنه قام من قبره بعد ما دفن فيه ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

وقد استدلوا على صحة عقيدتهم تلك بأدلة عقلية ونقلية :

ثبوت القصة عندهم من جهة النقل :

فأما من جهة النقل فقد ذكرت جميع أناجيلهم قصة صلب المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء بالشرح والتفصيل وما أورده متى فى إنجيله حيث قال ما نصه :

« ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه ، تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب ، حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب .

ثبوت قصة الصلب عند النصارى من جهة العقل :

هذا من جهة النقل هو نص ما ورد فى أناجيلهم عن صلب المسيح وقيامته ، وأما من جهة العقل فقد استدل المسيحيون على صحة هذه المسألة بالأدلة العقلية التالية :

انظر الإصحاح ٢٦ ــ ٢٨

١ — مسألة الصلب متواترة على مدى العصور ، تواترا يفيد العلم القطعى الذى يقطع شك كل شاك ، وريب كل مرتاب ، إذ إنها لو لم تكن متواترة متفقاً عليها اوجد منا من أنكرها ، ولكن بالتقصى لم يثبت أن أحدا خالف فى هذه المسألة أو جحدها . فدل هذا على تواترها تواترا يفيد العلم اليقينى الذى لا شك فيه .

٢ — فى اتفاق الأناجيل الأربعة المعصومة من الخطأ على قصة صلب المسيح وقيامته بعد ذلك من قبره وإطلاعه تلاميذه والنساء اللواتى كن معه على أثر المسامير فى جسده دلالة قاطعة على صحة تلك القصة وصدقها ووقوعها المسيح عيسى لا لغيره .

هذه قصة الصلب كما وردت عند النصارى عقلا ونقلا وسنناقشها مناقشة هادئة بالعقل السليم والنقل الحكيم بعد ما نورد ما ذكروه من أسباب لهذا الحدث الرهيب ومقارنته بنظائره فى الأديان القديمة .

لماذا صلب المسيح :

إن القارىء لقصة صلب المسيح عليه السلام فى أى من مصادرها المسيحيه لا يكاد يفرغ من قراءتها حتى يلح عليه سؤال هام .

لماذا حدث كل هذا للمسيح عيسى وهو ابن الله كما يزعمون ؟ أليس الوالد مكلفاً بالدفاع عن ولده ؟ ألم يكن الله قادرا على حفظ ابنه ووحيده من كل هذا العذاب ؟

والجواب الوحيد عند المسيحيين على هذا السؤال هو :

ان معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ،

(١) العهد الجديد ط عنتر ص ٤٨ : ٤٥

قد دنست سائر أبنائه من البشر جيلا بعد جيل ، وأصبحت لعنة تطاردهم حيثما كانوا ، لا مهرب لهم منها ولا محيص لهم عنها ؛ فكان على الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم ، وطرد بها من الجنة واستحق من أجلها هو وأبناؤه البعد عن — الله تعالى — ، وكان على الله — بمقتضى صفة الرحمة — أن يغفر سيئات البشر . ولما لم يكن هناك من سبيل للجمع بين ما تقتضيه صفة العدل من عقاب البشر ، وما تستلزمه صفة الرحمة من الغفران لهم إلا بتوسط ابن الله ووحيده ، وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس ، ثم يصلب ظلما للتكفير عن خطيئة البشر ، أرسل الله ابنه ووحيده إلى الأرض مارا برحم أنثى كى تضفى عليه صفة البشرية ، ليكون كسائر البشر ثم هيئه لتحمل أقسى ألوان النكال وأمر أنواع العذاب ، بدءا من الضرب والسحل والتعذيب ، وانتهاءا برفعه أمام الناس ظالماً على الصليب .

فقد ورد فى العهد الجديد ما خلاصته أن المخلص الوحيد للعالم من خطيئة أبيهم آدم ووسيلة قربهم من الله بعد بعدهم عنه بسبب تلك الخطيئة إنما هو يسوع المسيح ابن الله الذى جعله أبوه فداءا للبشر ، يحمل عنهم خطيئتهم بتحمله للصلب والتعذيب ظلما وعدواناً ، إلى آخر ما هو مبثوث فى العهد الجديد وكتب المسيحيين من تلك المقولات وأمثالها[1] .

(١) أنظر العهد الجديد عند انجيل مرقس ص ١٠ فقرة ٤٤ وما بعدها ، وانجيل يوحنا ص ٣ فقرة ١٦ ، ورسالة بولس الى أهل رومية ص ٣ فقرة ٢٣ ، وما بعدها والإصحاح السادس كله ، وانظر أيضاً كتاب يسوع المصلوب للقس منسى يوحنا ط مطبعة المحبة الأرثوذكسية بالقاهرة .

ويذكر الأستاذ الدكتور أحمد شلبي عن بعض الكتاب المسيحيين ما مفاده ، أن نظرية الفدية هذه إنما هي فكرة بولس حيث يقول :

ويعيد الأب بولس الياس الخوري الحق إلى نصابه حينما يعلن في جرأة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحي :

ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم إبنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا أ [1] .

وسواء أكانت هذه فكرة بولس ابتدعها من عند نفسه أم لا فان قصة الصلب وما علاها النصارى به لا تخلو في جملتها وتفصيلها من بحث ومناقشة .

قصة الصلب بين المسيحية والديانات القديمة :

حوت بعض الديانات القديمة ضمن طقوسها أفكارا ، لا تكاد تخرج في جملتها وتفصيلها عن الفكر المسيحي حول ابن الإله المخلص الفادي الذي قبل أن ينزل إلى الأرض ويصلب ظلما ، لتطهير البشر من خطيئة أبيهم الأول .

(١) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبي ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة

فبوذا عند البوذيين هو ابن الإله المخلص الفادى ، وكذلك كرشنة عند الهنود وأندرا عند أهل التيت إلى آخر ما جاء فى هذه الديانات من قصص ابن الإله الخاص الفادى التى تركزت كلها بعد ذلك حول عيسى عليه السلام ، وقد وقعت لحسن الحظ على نسخة خطية فى هذا الموضوع لواحد من القساوسة الكبار هدته أبحاثه العميقة ودراساته الجادة إلى ما حواه الفكر المسيحى من أساطير الأولين ، وخرافات الأقدمين ، ومدى ما لها من التأثيرات الضارة على العقيدة المسيحية التى كانت صحيحة خالية من الخرافات والأوهام ، فأبى إلا أن يحترم عقله ويربأ به عن العقائد المحرفة والأفكار المزيفة ، فأعلن إسلامه — لله رب العالمين وتصديقه بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وسائر شرائع الإسلام ، وهذا الرجل هو الأستاذ إبراهيم خليل أحمد الذى كتب فى نسخته تلك ما نصه : —

جدول للمقارنة بين المسيحية والديانات الأخرى فى قصة الصلب

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
بوذا ابن الله	كرشنة ابن الله	المسيح ابن الله
وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس	وأول الآيات والعجائب عملها كرشنه شفاء الأبرص	وأول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص . متى ٨ : ١ — ٤
	وأوتى إلى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وزياد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباق على رأسة	وبينما كان يسوع فى بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكىء متى ٢٦ : ٦ — ١٣ ، لو ١٢ ٧ : ٨
صلب ومات على الصليب	كرشنة صلب ومات على الصليب	يسوع صلب ومات على الصليب يو ١٩ : ١٦ — ١٨
حدث بموته أهوال ومصائب وشر عظيم	لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء أظلمت الشمس فى وسط النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون فى الأرض وشاهد الناس ألوفا من الأرواح فى جو السماء يتحاربون صباحا ومساء وكان ظهورها فى كل مكان	لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثير من القديسين وخرجوا من قبورهم متى ٢٧ : ٥١ — ٥٣ ، لوقا ٢٣ : ٤٤ — ٤٥

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
	ونقب جنب كرشنة بحربة	ونقب جنب يسوع بحربة لو ١٩ : ٣٤
	وقال كرشنة للصياد الذى رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتى إلى السماء مسكن الآلهة .	وقال يسوع لأحد اللصين الذين صلبا معه « الحق أقول إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » لو ٢٣ . ٤٣
مات وفتح الباب بقوة عظيمة وصعد إلى السماء بجلده	ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات لو ٢٤ ، ٥ ، ٦
	ونزل كرشنة إلى الجحيم	ونزل يسوع إلى الجحيم
	وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .	وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا أعمال الرسل ١ : ٩
سيأتى للارض ثانية ليعيد السلام والبركة	ولسوف يأتى كرشنة إلى الأرض فى اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء	ولسوف يأتى يسوع إلى الأرض فى اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح راكب على جواد أشهب عند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء . أعمال الرسل ١ : ١١ بط ٢ : ١ ، ١٣ .

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
سيدين بوذا الأموات	وهو (أى كرشنة) يدين الأموات فى اليوم الأخير	يدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير يوحنا ٥ : ٢٤ — ٣٠
لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذى صار تجسدا لما حل على العذراء ماريا .	ويقولون عن كرشنة أنه الخالق لكل شيء مما كان فهو الصانع الأبدى .	ويقولون عن يسوع أنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى .
بوذا هو الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلى .	كرشنة الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء .	يسوع الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر
حارب الأرواح الشريرة ونشر تعاليمه لعمل العجائب والمعجزات	لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت مكتنفة إياه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كإحياء الأموات وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما كان أولا، ونصره الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه إلها كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير	لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض . وينصر الضعيف عل القوى والمظلوم على الظالم وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلها كان يسوع يحب تلميذه يوحنا ١٩ : ٢٦ ، ٢٧ يو ٢١ : ٧ يو ٢١ : ٢٠ — ٢٣

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
في آخر أيامه بدلت هيئته على جبل « بنداقا » في سيلان ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل أكاليل ويقولون أن جسده أضاء منه نور عظيم ، وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس أو القمر وحينما رأى الحاضرون ذلك قالوا ما هذا بشر إن هو إلا إله عظيم	في حضور أرجونا بدلت هيئته وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلي اجتمع في إله الآلهة فاحنى رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وأني أرجو رحمتك يارب الأرباب	وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت سحابة بيضاء كالنور وفيما هو يتكلم إذ سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا مت ١٧ : ١ — ٨
	وكان كرشنة خير الناس خلقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البراهمين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا .	كان يسوع خير الناس خلقا وعلم باخلاص غيره ، وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا . يو ١٣ : ٣ — ١٤

ويقول المؤلف النابغة السير أرثر كونان دويل [١] « ولم يدر بخلد أية قبيلة من القبائل الوثنيه هذه الفكرة المضحكة التى تزعم بأن الإنسان ولد ملوثا بتلك الوصمة الموروثة التى تدعى الخطيئة الأصلية ، وأن الخالق جل وعلا أضطر أن يضحى بدم ابنه البرىء لمحو كل أثر لهذه اللعنة الخطيئة » ثم يورد السير آرثر فندلاى فى كتابه صخرة الحق ذكر ستة عشر إلها مخلصاً عرفوا قبل مجىء المسيح ، والمفروض أنهم ماتوا لأجل خطايا العالم ، سمى كل واحد من هؤلاء مخلصاً ، وأعطى لقب المسيح وها هى أسماؤهم واكتفى ببعض منهم .

رقم	المسيح المخلص	الموطن	التاريخ ق . م
١	أوزريس	مصر	١٧٠٠
٢	بعل	بابل	١٢٠٠
٣	أنيس	فرجيا	١١٧٠
٤	ناموس	سوريا	١١٦٠
٥	ديوسفيوس	اليونان	١١٠٠
٦	كرشنا	الهند	١٠٠٠
٧	أندرا	التبت	٧٢٥
٨	بوذاجوتاما	الصين	٥٦٠
٩	بروميثيوس	اليونان	٥٤٧
١٠	مذرا	الفرس	٤٠٠

(١) كتاب المثل الأعلى فى الأنبياء لمؤلفه خ . كمال الدين

ويقول السير أرثر فندلاى فى كتابه الكون المنشور إن أول مخلص قرأنا عنه هو أزوريس الذى ظهر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد . وكان أمير مصلحاً فظن الشعب أنه إله لأن الآلهة كما كانوا يعتقدون تابس لبوس ذوى الشرف الرفيع ، ولما ظهر شبحه بعد الممات ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى رفعت عنه غضبها ولعنتها التى اكتسبت عليه بسبب ذنوبه وبهذا كان ظهور الضحية بعد الموت معناه أنها قهرت الموت ، وفتحت أبواب السماء للمؤمنين .

وبذلك عمل أوزوريس على « أن يتواضع ويسير مطيعاً حتى للموت كما قال بولس عن المسيح عيسى ابن مريم بعد ذلك بألف وسبعمائة عام ، ومعنى ذلك أن أوزوريس أصبح مخلصاً فاذياً وسيطاً يتقبل كل الحب والتقدير من عابديه ويقول السير أرثر فندلاى فى كتابه صخرة الحق إنه اكتشف لوحة أثرية ، فى بابل تثبت أن الإههم بعل كان يتصف بنفس الصفات التى ألحقت بعيسى وأن هذه اللوحة كتبت قبل العصر المسيحى بمئات السنين حوالى (٢٠٠٠ سنة ق . م) ثم قارن على ضوئها المبادىء البابلية والمسيحية .

المبادىء البابلية	المبادىء المسيحية
أخذ بعل أسيرا	أخذ عيسى أسيرا مت ٢٦ : ٥ لو ٢٢ : ٥٤ يو ٨ : ١٢
حوكم بعل فى قاعة المحكمة	حوكم عيسى فى قاعة بيلاطس مت ٢٧ : ٢ لو ٢٣ — ١ يو ٨ : ٢٨
ضرب بعل	جلد عيسى مت ٢٧ : ٢٦
أخذ بعل إلى الجبل	أخذ عيسى إلى الجبل مت ٢٧ : ٢٣ لو ٢٣ : ٢٣ يو ١٩ : ١٧
أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما	أخذ مع عيسى مجرمان أطلق صراح براباس مت ٢٧ : ٣٨، لو ٢٣ : ٢٥ يو ١٩ : ١
بعد أخذ بعل تهدمت المدينة	بعد موت عيسى تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة مت ٢٧ : ٥١، ٥٤
أخذت ملابس بعل	اقتسم الجنود ملابس المسيح مت ٢٧ : ٣٥
ذهب بعل إلى الجبل واختفى من الحياة	خرج عيسى من القبر وذهب إلى عالم الأموات
ذهبت امرأة تبكى عند القبر	ذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر عيسى يو ٢٠ : ١١ — ١٨
عاد بعل إلى الحياة ثانية	ارتفع عيسى من القبر حيا لو ٢٤ : ٣٦ : ٣٥

ثم يستأنف قائلا :

وتماما مثل ما كان المصريون يرددون : لما كان أوزوريس يحيا حقا فسوف أحيا ، لما كان أوزوريس لن يموت فلن أموت ، ردد المسيحيون الأوائل نفس الألفاظ مستخدمين اسم المسيح بدلا من أوزوريس ، ولما أضيف اسم عيسى إلى قائمة الآلهة المخلصين أصبحت كل القصص التي قيلت عن الآلهة المخلصين السابقين أصبحت تقال بالمثل على عيسى .

ومن تلك قصة الولادة من العذراء والقيامة بالجسد والقصة المسيحية من المحاكمة والموت والقيامة والصعود التي تقص عن عيسى ما هي إلا نفس المأساة التي كانت تتكرر في المعابد القديمة ، صيغت في ألفاظ وركزت حول عيسى بدلا من أوزوريس وبعل وبرمثيوس أو واحد من الآلهة الآخرين ا . هـ

هذا ما كتبه الأستاذ إبراهيم خليل أحمد من المقارنات بين المسيحية الحالية وما سبقها من الديانات القديمة ، كالبوذية وغيرها ، فيما ذكروه من قصة صلب المخلص الفادى ابن الإله الذى قبل أن ينزل إلى الأرض ويصلب ظلما لتطهير البشر من الخطيئة الأولى ، نقلا عن عدد غير قليل من الكتاب والباحثين العالميين .

وإلى هذا كله يشير القرآن الكريم بقوله : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم

---

(١) نسخة خطية بقلم الأستاذ إبراهيم خليل أحمد

يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون »[1] فما أعظم هذا الكتاب العزيز الذى يطرح القضية أمام الناس فيختلفون فيها جد الاختلاف ، ثم يعود المنصفون منهم بعد ما يبذلون قصارى الجهد والطاقة فى البحث والتنقيب إلى حكم القرآن لأنه الحق الذى لا زيف فيه والصدق الذى لاشك فيه ، وكيف لا وهو كتاب أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض وهو بعباده خبير بصير .

قصة الصلب عند النصارى وأسبابها

فى ميزان العقل السليم

نظرة عقلية فى أسباب الصلب عند النصارى :

الناظر المتفحص فيما أجاب به المسيحيون عن سبب صلب المسيح يجد أنه فى جملته وتفصيله غير صحيح لما يأتى :

أولا : ما قالوه من أن خطيئة آدم قد دنست جميع أبنائه من البشر جيلا بعد جيل حتى جاء المخلص منقوض بما جاء فى الكتاب المقدس من قوله لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل .

وقوله لا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل[2]

ثانيا : ما زعموه من تعليق المسيح على الصليب دون ذنب ولا إثم يتنافى مع ما جاء فى الكتاب المقدس أيضا من قوله « وإذا كان على

(١) التوبة ٣٠

(٢) انظر العهد القديم سفر التثنية اصحاح ١٩ فقرة ٢١ واصحاح ٢٤ : ١٦

إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً[1] .

لأن عيسى عليه السلام لم يرتكب باعتراف بيلاطس وغيره كما ورد فى الأناجيل من الأخطاء ما يجعله ملعونا من الله مستحقاً للتعليق على الصليب .

ثالثاً : لا يستطيع عاقل أن يقول إن تعذيب إنسان غير مذنب للتكفير عن الآخرين المذنبين هو منطق العدل والرحمة ، بل مقتضى العدل أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومقتضى الرحمة أن يتجاوز الرحيم عن أخطاء المخطئين دون أن يعرض البراءاء للقتل والصلب والتعذيب .

ولو قالوا إن المسيح هو الذى قبل ذلك بمحض اختياره ورضاه ، لقلنا لهم إن من يعذب نفسه بقطع يده أو إيلام جسده أو إزهاق روحه ، يكون مذنباً أثيما ولو أراد ذلك وارتضاه .

رابعاً : ما زعموه من كون الله ملزماً بمقتضى العدل أن يعاقب البشر ، وبمقتضى الرحمة أن يغفر لهم إلى آخره ، يتنافى مع ماهو ثابت لله عز وجل من كونه لا يسئل عما يفعل إذ من ذا الذى أوجب عليه مازعموه ؟ وهل كان سبحانه فى حاجة إلى التوفيق بين مقتضى العدل ومقتضى الرحمة ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

خامساً : هذا التعليل الذى علل به النصارى صلب المسيح يلزمهم

---

(١) سفر التثنية إصحاح ٢١ ، فقرة ٢٢ : ٢٣ .

يحب من فعلوا ذلك به عليه السلام إذ قد قدموا بهذا العمل هدية للبشر وهى تخليصهم من خطيئة دنستهم أمدا طويلا من الزمان ، وكانت ستظل تدنسهم إلى آخر الدهر فلماذا نرى النصارى يكرهون اليهود ويعتبرونهم آثمين مذنبين فى حق المسيح عليه السلام ؟

سادساً : لم يخلص الناس من الخطيئة — فى زعم المسيحيين إلا بعد ما جاء المسيح وصلب وعلى هذا فإن كل من كانوا قبله مدنسون بالخطيئة بما فيهم الأنبياء عليهم السلام الذين هم محل عناية الله واصطفائه ، ومريم ابنة عمران التى هى أم المسيح نفسه مما يترتب عليه أن يكون المسيح عليه السلام هو الآخر مدنسا بالخطيئة من جهة أمه ، فكيف يكون المخلص غير طاهر من الخطيئة ؟ ولو قالوا قد طهر الله مريم حتى يخرج المار برحمها طاهراً غير مدنس لقلنا ألم يكن الذى طهر مريم من خطيئة أبيها الأول كما تزعمون قادراً على تطهير سائر الناس من تلك الخطيئة دون ما تعريض اشخص بلا ذنب للسحل والضرب ، والتعذيب والصلب ؟

ثم أين كان عدل الله ورحمته منذ خطيئة آدم حتى صلب المسيح ؟

أكان سبحانه طوال تلك الفترة حائرا بين العدل والرحمة حتى قبل المسيح منذ ألفى عام تقريبا أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم وبنيه ؟

سابعاً : مازعمه من كون صلب المسيح كان للتكفير عن خطيئة البشر هو فى جملته أمر يتنافى مع ماتقضى به كل الشرائع من التناسب بين الذنب والعقوبة ، إذ إن أكل إنسان من شجرة نهى عن الأكل منها لاتكون عقوبته قتل إنسان بعد صلبه وتعذيبه بشتى أنواع العذاب

التى لا تكاد تحتمل ، على حين أن الله سبحانه قد اختار بنفسه عقوبة المخطىء نفسه وجعلها حرمانه وزوجه من الجنة ونعيمها فكيف يظل سبحانه بعد هذا العقاب الذى اختاره بنفسه ووقعه على المخطىء فعلا ، مضمراً للناس الشر والضغينة والغضب حتى يأتى المسيح عيسى فيفرغ فيه كل هذا بغية تكفير ذلك الخطأ وحده عن الناس ؟ ثم ما مصير باقى خطايا الناس وفيها ما هو أشد وأفظع ، وأنكى وأشنع من خطيئة آدم ؟ ومن ياترى المخلص المنتظر الذى سيأتى ليكفر عن الناس باقى الخطايا ؟

وإذا كان تطهير الناس من معاصيهم والتكفير عن خطاياهم لا يكون إلا بالأهوال والآلام فهل من بقوا بعد الطوفان الذى اجتث من فوق الأرض أصول الظلم وقواعد الظالمين ما زالوا آثمين ولم يبرئوا من إثمهم حتى جاء المخلص فحمل عنهم وعن غيرهم الآثام والأوزار ؟

هذا وقد حاول بعض كتاب المسيحيين أن يرد على مثل هذه الأمور وغيرها بأن الله سبحانه لم يكن محتاجاً فى التكفير عن خطايا الناس إلى تجسيد الكلمة وصلبها ، ولكنه فعل ذلك مفديا البشر بأعز ما لديه ، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعا .

وبأن الإله الإبن شاء مع الإله الآب أن يعطيا للناس أمثولة من المحبة خالدة تبقى على الدهر ، وتحركهم على الندامة على ما اقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة[1] .

ونحن نقول ليس من الحكمة فى شىء أن نفتدى بدينار ما يحتاج

---

(١) انظر مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى ط مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ص ١٤٩ وما بعدها .

فى الفداء إلى درهم ولا من الحكمة فى شىء أيضاً أن نبنى صروح المحبة والوئام على أنهار من الدم والآلام بل ليس من المنطق السليم أن يضحى أب بابنه من أجل شىء هو قادر على تنفيذه بدون تلك التضحية المرة المؤلمة .

كانت هذه مناقشات عقلية هادئة لما عللوا به صلب المسيح عليه السلام أردنا بها إبراز مدى بطلان هذا التعليل الذى لجئوا إليه واعتمدوا عليه فى تبرير ما زعموه من صلب المسيح عليه السلام .

نظرة عقلية فى قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل :

أما قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل على النحو الذى أسلفنا بعضاً منه فإن الباحث فيها بعمق ودقة يجد بين كتابها من التخالف والتناقض فى روايتها ما يؤكد للقارىء أنهم لم يشهدوها شهود معاينة ، وإن كانوا قد شهدوها فإنهم لم يعاينوها المعاينة الدقيقة التى تتيح نقلها على وجهها الصحيح القريب من الائتلاف والبعيد عن الاختلاف بل لم تنقل إليهم نقلا موثوقا به حتى يتسنى لهم ذكرها ذكرا متوافقا لا متخالفا ، الأمر الذى يفقد الباحث ثقته فى رواة تلك القصة ونقلتها ويجعل التصديق بها غير سائغ ولا مقبول .

ولو أن ما بين هذه الأناجيل من تخالف فى رواية تلك القصة كان قليلا لهان الأمر أو كاد ، ولكن الأناجيل الأربعة لم تختلف فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله ثم قيامته فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحد هذه الاناجيل تتحد

مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر .

من تلك الاختلافات ما يأتى :

١ — حدد متى و مرقس المكان الذى جاء إليه المسيح وتلاميذه بقرية جثسيمانى ، وجعله لوقا جبل الزيتون ، وقاربه يوحنا حيث قال إنهم جاءوا عبر وادى قدرون حيث كان بستان .

٢ — أتفق متى ومرقس على أنه أخذ معه بطرس وابنى زبدى وخالفهما لوقا ويوحنا حيث ذكر الأول أنه انفصل عنهم مقدار رمية حجر وصار يصلى وأسقط الثانى هذه العبارة من إنجيله .

٣ — اتفق متى ومرقس على أنه قال لمن معه نفس حزينة حتى الموت وطلب منهم أن يمكثوا فى المكان الذى كان فيه وأن يسهروا معه ، ثم أخذ يصلى مناجيا الله قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت ، ثم عاد إلى تلاميذه فوجدهم نياما فعاتب بطرس وأمرهم بالسهر ، ثم راح يصلى ثم جاء إلى التلاميذ فقال لهم ناموا واستريحوا وأخبرهم بأن ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الآثمين — وطلب منهم أن يقوموا وينطلقوا لأن من سيسلمه قد اقترب وأما لوقا فقد زاد أمرين :

أحدهما : أن ملكا من السماء نزل إلى المسيح يقويه وهو يصلى .

ثانيهما : أنه كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . وأسقط مجيئه إلى التلاميذ المرة الثالثة .

وأما يوحنا وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ فقد أسقط ذلك كله ، وهذا دليل على أنه لم يحدث شيء من ذلك .

ولسنا نعرف إذا كان الملاك قد جاءه وهم نيام فما الذى أدراهم به ؟ وإذا كان قد صار عرقه كقطرات الدم وهم نيام لم يروا شيئا فكيف يثبتون هذا ؟

٤ — قال متى وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى سلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هـو أمسكوه ، فى الوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله ، فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه .

وافق مرقس متى فى هذا المعنى ، وقال لوقا إن المسيح قال له : يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ بدل قوله يا صاحب لماذا جئت وزاد لفظ « والكتبة » قبل شيوخ الشعب ، وأسقط يوحنا « الكتبة وشيوخ الشعب » وزاد « الفريسيين » ولم يذكر أن يهوذ قبله أو دل على ، بل قال أنه كان واقفا معهم وزاد أن المسيح خرج إليهم وقال لهم من تطلبون ؟ قال يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو وأنه لما قال لهم ذلك رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، ثم أعاد سؤاله وأعادوا الجواب ثم قال فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون .

٥ — ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ثم أن بطرس استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح برد سيفه إلى مكانه . وقال أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة فكيف تكمل الكتب ؟

إنه هكذا ينبغى أن يكون ثم قال : وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

أما مرقس فقد وافقه فى المعنى إلا هرب التلاميذ كلهم وزاد قوله : وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه ، فأمسكه الشبان فترك الازار وهرب عريانا — وهو يريد بذلك الشاب يوحنا ذلك الغلام الذى كان المسيح يحبه ، وأما لوقا فلم يذكر من ذلك كله سوى أن بطرس ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح بأن يغمد سيفه ، وانفرد عن الجميع بأن المسيح لمس أذنه وأبرأها وأما يوحنا فلم يزد شيئاً بل نقص جملا وانفرد بذكر اسم العبد الذى قطعت أذنه أن اسمه « ملخس » .

٦ — ما قصه يوحنا بين المسيح وطالبيه من حوار وقوله لهم . من تطلبون وقولهم يسوع الناصرى ، ورجوعهم وسقوطهم ، بعد قوله لهم أنا هو — يدل دلالة واضحة على رجوعهم عن المطلوب من جهة وإمساكهم بغيره دون ما شك من جهة أخرى ، ولم يذكر يوحنا تقبيل يهوذا أياه ، وتسليمه لهم ، بل المسيح هو الذى دلهم على نفسه إن كان هو الذى قبض عليه كما زعموا .

٧ — انفرد يوحنا عن الأناجيل الثلاثة بما ذكره من : أنهم ذهبوا للقبض عليه وجاء « يهوذا » إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ولعل هذا هو المعقول لأن الوقت كان ليلا وهم لا يعرفون المسيح ، بدليل أنهم استأجروا يهوذا الإسخريوطى ليدلهم عليه ، وقد ثبت من رواية يوحنا أن يهوذا هذا لم يدلهم عليه ولم يشر إليه وإذن فقد أخذوا من أعلن عن نفسه أنه المسيح صادقا كان أو كاذبا ولا سبيل

لمعرفته ما دام يهوذا ساكتا والليل مسدل أستاره .

٨ — أجمعت الأناجيل الثلاثة على أن الذين ذهبوا للقبض على يسوع هم الجند وخدام اليهود ، وانفرد لوقا وحده بأن رؤساء الكهنة كانوا قد ذهبوا للقبض عليه .

٩ — اتفق متى ومرقس ولوقا على أن الذين قبضوا على المسيح قد مضوا به إلى قيافا « رئيس الكهنة حيث اجتمع عنده الكتبة والشيوخ ، وخالفهم يوحنا ، فذكر أن الذين أوثقوه قد ذهبوا به إلى « حنان » حما « قيافا » .

١٠ — اتفق متى ومرقس ولوقا على أن بطرس وحده هو الذى تبع اليسوع من بعيد إلى دار رئيس الكهنة ، وخالفهم يوحنا حيث ذكر أن الذى تبع المسيح إلى دار رئيس الكهنة هو بطرس والتلميذ الآخر يعني نفسه (١) .

فبين الأناجيل الأربعة فى روايتها لقصة صلب المسيح عليه السلام التى هى أصل عقيدتهم وأساسها كما ترى من الاختلافات الشكلية والجوهرية ما يشكك أدنى الناس نظرا فيما تقوله وترويه ، فكيف يتأتى لعاقل أمام تلك الاختلافات أن يثق فى رواة تلك القصة ثقة تجعله يؤمن بها ؟ .

---

(١) انظر فى هذا الموضوع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ط مؤسسة الحلبى وشركاه ص ٤٣٣ ، ودعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام للاستاذ منصور حسن ، وكيل النائب العام ط الشركة المصرية للطباعة والنشر ص ٢٤ وما بعدها ، وتفسير المنار .

نظرة فى أدلة النصارى على صحة الصلب من جهة العقل

وأما ما ذكروه من الأدلة العقلية على ثبوت قصة الصلب وحقيتها، فإنه فيما نرى غير مقبول ولا معقول لما يأتى :

أولا : ما ادعوه من تواتر مسألة الصلب تواترا يفيد العلم اليقينى القطعى مرفوض ، لأن التواتر هو إخبار جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب بشىء قد أدركته إحدى حواسهم إخبارا متفقا عليه إتفاقا كاملا بحيث لا يختلف أحد المخبرين بذلك الشىء عن صاحبه إختلافا شديدا فى صلب ذلك الخبر المنقول .

هذا إن كان التواتر فى الطبقة الأولى فقط ، فإن كان فى الطبقات التى تليها كان ما بعد الأولى ناقلا عنها ولابد أن يتوفر فيهم أيضاً الشرط السالف الذكر وهو كونهم من الكثرة بحيث يحيل العقل تواطؤهم على الكذب واتفاقهم عليه ، وأن يتوفر فيهم شرط آخر هو أن يكون كل فرد من أفراد تلك الطبقة قد سمع ذلك الخبر الذى يرويه ممن فوقه وهكذا حتى يبلغوا الطبقة الأولى دون ما انقطاع فى سند أى منهم ، فان اختل شرط من هذه الشروط فلا ينعقد التواتر.
وأنى للنصارى بمثل هذا اللون من النقل ، والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون فى مجموعهم حد التواتر من ناحية ولم يتفقوا فى جل ما كتبوه من ناحية أخرى مما يدل على أنهم لم يخبروا عن مشاهدة ومن قيل عنهم إنهم شاهدوا هذه الواقعة كانوا ممن لا يؤمن عليه الأشتباه والوهم كبعض النساء .

فإن مريم المجدلية التى هى أعرف الناس بالمسيح كما يقولون قد اشتبهت فيه وظنت أنه البستانى على ما ذكره يوحنا فى إنجيله ، ثم إن ما عزى إليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة إلى العصر الذى صار للنصاري فيه ملك وحرية يظهرون فيها دينهم، وقد بينا فى بداية هذا الكتاب شيئاً مما أصاب أسانيد أهل الكتاب من الانقطاع والاعضال وجرح كثير من الرواة بالكفر والنفاق ، بله الكذب والتدليس وسنزيد هذا الموضوع بحثا عند ردنا على شبهات المسيحيين حول قصة الصلب .

ثانيا : ما ذكروه من كون الأناجيل الأربعة متفقة فى روايتها لقصة صلب المسيح وقيامته مما يدل على صدق تلك القصة وصحتها ، هو فيما نرى شيء غير مقبول لأن أناجيلهم هذه لم تختلف فى شيء اختلافها فى رواية قصة الصلب على ما بيناه آنفـــا فمن أين لهم بدعوى الاتفاق هذه .

على أن وصفهم للأناجيل بالعصمة من الخطأ مغالطة كبيرة لأن فى الأناجيل من الأخطاء والأغلاط ، والاختلاف فى الروايات ما لا يكاد يحصي وقد بينا طرفا من ذلك فى بداية هذا الكتاب .

هذا بالاضافة إلى أنه لا دليل على عصمة هذه الكتب ولا على أن كاتبيها كانوا معصومين ، بل لا دليل على نسبتها إلى من نسبت إليهم، لأنها غير متواترة كما تقدم ، بل هى معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا ، وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجحا عندنا لأنهم اتبعوا

فى اعتمادها تلك المجامع التى لا ثقة لنا بأهلها ، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا ، ومتخالفة فى قصة الصلب وغيرها تخالفاً يظهر ما بينها من تعارض وتضاد . ثم هى فوق هذا كله معارضة بالقرآن العزيز ذلك الكتاب الإلهى الذى ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره فقصارى تلك الكتب أنها تفيد الظن بالقرائن كما قال تعالى : (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) والقرآن قطعى فوجب تقديمه لأنه يفيد العلم القطعى .

وبعد أن انتهينا من مناقشة تلك القصة وأسبابها بمنطق العقل السليم نستأذن القارىء الكريم فى أن نزنها بميزان القرآن الحكيم فنقول وبالله التوفيق .

قصة الصلب وأسبابها فى ميزان القرآن الحكيم

إن أدنى نظر فيما كتبه اليهود والنصارى عن مسألة صلب المسيح يهدى صاحبه إلى إدراك ما عليه الفريقان من تباين وتضاد فى تلك المسألة .

فاليهود ينفضون أيديهم تماما من كل ما مس المسيح بسوء ، عظم أو حقر ، قل أو كثر ، والنصارى يحملون اليهود جرم ما حدث للمسيح من الآلام والأهوال بدءا من الشتم والسب وانتهاء بالتعذيب والصلب وتظل الحقيقة حائرة تائهة بين المغالين فى الانكار والمغالين فى الاتهام، حتى يأتى القرآن الكريم فيكشف الغطاء عن أبعاد تلك الحقيقة وزواياها ، ويبرزها للناس واضحة كالشمس لاتعرو السحاب سماها ،

فيقرر من جهة أن اليهود كفروا بعيسى عليه السلام ورموا أمه بالبهتان العظيم وآذوه قاطمين فى أذاه الشوط إلى مداه ، إذ قد تآمروا على قتله كما فعلوا بغيره من الأنبياء السابقين وخططوا لصلبه كما كان يفعل بالخطاة الآثمين لـكنهم فى هذه المرة لم يفلحوا ، فما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم ،و بين من جهة أخرى أن من اعتقدوا وقوع القتل والصلب على المسيح كانوا فى معتقدهم هذا مخطئين ، إذ ماقتل اليهود عيسى يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما . بين الحق سبحانه فى كتابه الحـكيم هذين الأمرين بقوله فى سورة آل عمران ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [١] .

وقوله تعالى فى سورة النساء (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وماصلبوه ولـكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينـاً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما ، وإن من أهل الـكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون

---

(١) آيات ٥٤ ، ٥٥ .

عليهم شهيداً (١) .

تأويل هذه الآيات :

قال المفسرون فى تأويل الآيتين السالفتين من سورة آل عمران ما خلاصته — أن اليهود الذين أحس عيسى منهم الكفر قد دبروا المؤامرات لقتله ، واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ هذا المأرب الذميم محاربة منهم لله ولرسوله عيسى عليه السلام كما فعل أسلافهم بالأنبياء الآخرين فأبطل الله تدبيرهم ، وأحبط كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا ، بل نجى الله نبيه عيسى — عليه السلام — من شرورهم (والله خير الماكرين) أى أحكمهم تدبيراً وأنفذهم كيداً ، وأقدرهم على عقاب الآثمين من حيث لا يشعرون ، وإنجاء الشرفاء المصلحين ، بله الأنبياء والمرسلين من أيدى الطغاة المفسدين العابثين ، ولم تكن نجاة عيسى عليه السلام من مكر أعدائه أمراً غير معلوم له بل قال له ربه عز وجل إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، فأما رفعه وتطهيره من الذين كفروا فقد وقعا له عليه السلام فى اللحظة التى أحاطوا فيها ببيته وظنوا أنهم قد ظفروا به فعندئذ نجاه الله من بينهم ورفعه من روزنة (٢) ذلك البيت إلى السماء ، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده فى المنزل ، فلما دخل أولئك اعتقدوه فى ظلمة الليل عيسى عليه السلام فأخذوه وأهانوه وصلبوه ، ووضعوا على رأسه

---

(١) آيات ١٥٥ ـ ١٥٩ .

(٢) الروزنة : الكوة ، وهى خرق فى أعلى السقف ، وهى كلمة معربة .

الشوك . وكان هذا من مكر الله بهم ، فانه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم فى ضلالهم يعمهون .

وأما كون الذين اتبعوه قد صاروا بأمر الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة فقد وقع لكل من آمن بعيسى عليه السلام نبياً ورسولا من الله إلى الناس وصدق بوحدانية الله عز وجل ونفذ ماجاء به رسول الله عيسى من عند ربه ، وكذا أولئك الذين صدقوا بشارة عيسى برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل إلى الناس فآمنوا به وصدقوه وانضووا تحت لوائه مذعنين لما جاء به تاركين ما كانوا عليه من تعاليم النصرانية ما اعتدل منها وما انحرف لما علموه من أن الدين الإسلامى ناسخ لما سبقه من سائر الأديان وأن كل الناس على اختلاف عقائدهم مطالبون بالدخول فى الإسلام هؤلاء وأولئك من أتباع عيسى عليه السلام قد جعلهم الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .

وأما وفاته عليه السلام فسوف تتحقق إن شاء الله بعدما ينزل إلى الأرض ويقتل الخنزير ويكسر الصليب كما أخبر بذلك الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ثم يجتمع الخلق بين يدى الخالق يوم القيامة فيحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بالقول الفصل والحكم العدل الذى يندم بعده المخطئون أشد الندم ولاينفعهم ندم ، ويسر بعده الصالحون المخلصون أبلغ السرور ولا يصيبهم أبدا ألم .

والتفت عن الغيبة فى قوله (ومكروا) إلى الخطاب فى قوله (ثم إلى مرجعكم) الآية ليشمل حكمه سبحانه المسيح والمختلفين معه ، ولاختلاف

بين أتباعه والكافرين به (١) وقال المفسرون فى تأويل ما أسلفنا من آيات سورة النساء ما فحواه أن الله لعن اليهود وجعل قلوبهم قاسية بسبب ما نقضوا من المواثيق والعهود ، وما ارتكبوا من الكفر بالله سبحانه وقتل أنبيائه ، وادعائهم غلظة قلوبهم وكونها مغلقة لا تقبل إلا ما أغلقت عليه وما اقترفوه من الكفر برسالة عيسى ابن مريم وقولهم على أمه بهتانا عظيما ، وادعائهم أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم الذى كان يقول عن نفسه إنه رسول الله .

ووصفهم هذا لعيسى بالرسالة ليس اعترافا منهم بأنه رسول الله وإنما وصفوه بها على سبيل التهكم والاستهزاء أى قتلنا هذا الذي كان يدعى لنفسه منصب الرسالة كقول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٢)) .

وكان من خبر اليهود أنهم لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى ، وأيده بالمعجزات الباهرات كإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله وتصويره من الطين طائرا ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإخباره من معه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم إلى غير

---

(١) أنظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٥٧ وما بعدها .

وتفسير ابن كثير ج٢ ط الشعب ص ٣٦ وما بعدها والمنتخب فى تفسير القرآن الكريم تأليف لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ط مطابع المجلس ص ٧٩ .

وتفسير سورة آل عمران لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى ط مطبعة السعادة ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) الحجر من الآية ٦ .

ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها وأجراها على يديه ، لما بعث الله عيسى وأيده بهذا كله حسدوه على ما آتاه الله من فضله فكذبوه وخالفوه وسعوا فى أذاه بكل ما أمكنهم حتى اضطروه وأمه سلام الله عليهما إلى عدم مساكنتهم فكان يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم إنهم لم يقنعوا بهذا كله فسعوا إلى ملك دمشق فى ذلك الزمان — وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته : اليونان وأنهوا إليه أن فى بيت المقدس رجلا يفتن الناس و يضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه ببيت المقدس أن يحتال على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ، ويكف أذاه عن الناس فلما وصل الكتاب امتثل متولى بيت المقدس ذلك ، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذى فيه عيسى عليه السلام وهو فى جماعة من أصحابه إثنا عشر أو ثلاثة عشر — وقيل سبعة عشر نفرا — وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصروه هنالك ، فلما أحس بهم وأنه لامحالة من دخولهم عليه ، أو خروجه لهم قال لأصحابه : أيكم يلقى عليه شبهى ، وهو رفيقى فى الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فاعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لاينتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو ، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك .

فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه

عيسى ، فأخذوه فى الليل وصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه ، فأظهر اليهود أنهم سعوا فى صلبه وتبجحوا بذلك ، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ، ماعدا من كان فى البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه ، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم ، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت .

وهذا كله من امتحان الله عباده ، لما له فى ذلك من الحكمة البالغة هذا رأى ، وهناك رأى آخر يقول : إن الله — تعالى — ألقى شبه عيسى عليه السلام — على من خانه ودبر قتله وتآمر مع اليهود عليه من تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطى الذى أرشد الجند إلى مكان عيسى وقال لهم : من أقبله أمامكم يكون هو المسيح ، فاقبضوا عليه لتقتلوه ، فلما جاء إلى المكان الذى كان فيه عيسى وتلاميذه ليدل الجند عليه ليقتلوه رفع الله عيسى وألقى شبهه على ذلك المنافق الخائن فقبضوا عليه وقتلوه وهم يظنون أنه عيسى .

وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره فى القرآن العظيم الذى أنزله على رسوله الكريم ، المؤيد بالمعجزات البينات والدلائل الواضحات ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين ، ورب العالمين ، والمطلع على السرائر والضمائر ، الذى يعلم السر فى السموات والأرض العالم بما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال : ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾

يعنى بذلك : من ادعى قتله من اليهود ومن سلمه من جهلة النصارى كلهم فى شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ، ولهذا قال : (وما قتلوه يقينا) أى : وما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل شاكين متوهمين (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا) أى منيع الجناب ، لا يرام جنابه ولا يضام من لاذ ببابه (حكيما) أي فى جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التى يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، والسلطان العظيم ، والأمر القديم ، ثم إنه سبحانه لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وبين أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وأنه قد نجاه منهم وجعله رغم كيدهم وحقدهم فى أجل المناصب وأعلى المراتب :

قال تعالى محققا لما أثبته فى الآية السالفة ، من القطع بكذبهم ومثبتا أنهم رغم مبالغتهم فى عداوة عيسى والكيد له سيكونون فيما يستقبل من الزمان من أتباعه المصدقين بجميع أمره الذى منه التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

أى ما أحد من أهل الكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان إلا ليؤمنن به قبل موته أى موت عيسى عليه السلام فهو لن يموت حتى ينزل فى آخر الزمان يؤيد الله به دين الإسلام تأييدا يجعل أهل الملل يدخلون فيه وفى هذا إشارة إلى أن موسى عليه السلام إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كثيرين جددوا دينه زمنا طويلا فالنبى الذى ينسخ شريعة موسى ، وهو عيسى عليه السلام ، هو الذى يؤيد

الله به هذا النبي العربي ، فى تجديد شريعته ، وتمهيد أمره ، والذود عن دينه ، ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة ، أمر قضاه الله تعالى فى الأزل ، فكفوا أيها اليهود عما أنتم عليه ، وارجعوا أيها النصارى عما صرتم إليه لأنه مامن أحد من أهل الكتاب المختلفين فى عيسى عليه السلام على شك ، إلا وهو يوقن بعيسى عليه السلام قبل موته ، بعد نزوله من السماء ، أنه ما قتل وما صلب ، ويؤمن به من بعد زوال الشبهة .

(ويوم القيامة يكون) أى عيسى سلام الله عليه (عليهم) أى على أهل الكتاب (شهيدا) أى بأعمالهم التى شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض ، فهو كما قال قتادة يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله، وأقر بعبوديته لله عز وجل[1] وإلى هذا يشير الحق سبحانه بقوله فى سورة المائدة ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . . . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى

(١) انظر تفسير ابن كثير ط الشعب ج ٢ ص ٣٩٩ ومابعدها ، وتفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ٦ ص ١٤ وما بعدها . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . وتفسير القاسمى ج ٥ ص ١٦٣٥ وما بعدها . ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي ، وتفسير سورة النساء للدكتور محمد السيد طنطاوى . ط مطبعة السعادة ص ٤٩٢ وما بعدها .

كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ١١٦ ، ١١٨ هذا نحوى ماجاء عن المفسرين من أشهر الآراء فى آيات آل عمران والنساء التى أسلفناها وسنورد مزيداً من البحث حول هذه الآيات عندما نعرض لآراء المسلمين فى كيفية وفاة عيسى ورفعه وأقوالهم فى ذلك .

التأويل المسيحى لآيات الصلب فى القرآن :

نقل الشيخ القاسمى رحمه الله عن أحد المسيحيين المعاصرين له تفسيره لآيات الصلب في القرآن فقال ما خلاصته :

ألف أحد المسيحيين كتاباً سماه (المعتقد الصحيح فى صلب السيد المسيح) زعم فيه أن التباس آية الصلب هو غالباً فى تقدير نائب الفاعل لفعل (شبه لهم) فإنا إن قدرنا نائب الفاعل مصدراً مأخوذاً من الفعل السابق المذكور فى الآية ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ وكان التقدير : شبه لهم أنهم قتلوه وأنهم صلبوه ، أو شبه لهم قتلهم له وصلبهم إياه . والمعنى أنه مثل أو خيل لهم أنهم كانوا هم القاتلين وهم الصالبين انحلت المسألة تقريبا ، وزالت كل صعوبة فى التأويل حيث إن السيد المسيح لم يقتل أصلا ولا صلب قهراً ، أو مات جبراً أو اضطرارا بل هو نفسه قدم ذاته للصلب عن رغبته واختياره ورضاه ، فكأن اليهود لم يفعلوا شيئا بقدرتهم ومجرد إرادتهم حتى يحق لهم الافتخار بأنهم قتلوه ، وأما إن قدر المسيح نائب الفاعل لـ (شبه) تعقدت المسألة وضاع السياق اللغوى لأنه لا وجه ، لغويا ، فى الآية يثبت وقوع الصلب على رجل آخر

غيره . إذ لم يذكر صريحا ولا إشارة .

وليس فى القرآن كله ما يفيد أن الله أنب النصارى ولا مرة واحدة على ضلال اعتقادهم بصلب المسيح وموته وقيامته ، ولا كذب الإنجيل أو الحواريين ، ولا لام الذين آمنوا بصلب المسيح على حين أنه أنبهم فى القرآن غير مرة على كثير من الضلالات عندهم ولم ترد كذلك أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ بنفى صلب المسيح فدل هذا كله على أن هذه الآية يصح تأويلها إيجابيا طبقا لما فى الإنجيل ، قياسا على غيرها من الآيات القرآنية الأخرى المجانسة لها التى أولت بخلاف ظاهرها اللفظى كأفعال المبايعة والرمى والموت والحياة وما أشبه ذلك والتى نسبت صراحة لغير فاعلها الظاهر .

فقولنا إن القرآن العزيز قصد نفى نسبة الصلب لليهود وإسناده لله حقيقة ، هو استناد على قوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ الأنفال / ١٧ .

وقوله : ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم (١) فههنا الفاعل الظاهر حسا وفعلا إنما هو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ولكن الفاعل الحقيقى إنما هو الله الفاعل لكل شىء ، وربما يعترض بأنه ذكر فى الآية نفسها أن الله رمى ، وأنه تعالى هو المبايع .

فنقول : كذلك فى آى : الصلب وإخباره مرارا عديدة صرح فى الإنجيل أن الفاعل والمسلم والبازل والحاكم والآذن فى أمر الصلب

---

(١) الفتح آية ١٠

إنما هو الله جل جلاله . فآية الصلب القرآنية على تفسيرنا هذا هى صحيحة فى ذاتها تماما وكمالا ، ومطابقة أشد المطابقة لما ورد فى القرآن بهذا الشأن ، ولكل فحوى أسفار الميثاقين أو العهدين بكل بيان ، أما تفسيرها بمطلق النفى فهو غلط وضد الحقيقة والذوق اللغوى وضد ما جانسها فى الآى الأخرى من نفس القرآن ، ومن نصوص مآثر الكتب المنزلة ولا سيما الإنجيل الذى زبدته وروحه وقوامه وخلاصته هى كون المسيح صلب ومات وقام وعرج إلى السماء وأرسل البارقليط الآخر الرسول محمدا مبلغ القرآن العظيم ، الحاوى لروح الصدق والحق ، والمذكر بكل ما قال المسيح فى الإنجيل الشريف (٢) .

هذه خلاصة ما نقله الشيخ القاسمى عن هذا المسيحى من تأويلاته لآية الصلب فى القرآن .

بيان بطلان هذا التأويل :

اعتمد صاحب هذا التأويل على الذوق اللغوى فى تفسيره لنائب الفاعل فى قوله تعالى (شبه لهم) وزعم أن المناسب للسياق واللغة أن يكون نائب الفاعل فى قوله (شبه) ضميرا يعود على المصدر المأخوذ من قوله (وما قتلوه وما صلبوه) وعليه فيكون المعنى فى نظره وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم قتله وصلبه ، وبنى على تأويله هذا ما ذكرناه سلفا من مفاهيم ظن أنها مقنعة مرضية ونسى أو تناسى بقية الضمائر الموجودة فى الآية الكريمة والتى ترتبط ببعضها ارتباطا

(٢) أنظر تفسير القاسمى ط الحلبى جـ ٥ ص ١٦٨٩ وما بعدها .

وثيقا فلو قلنا شبه لهم القتل والصلب لكان علينا أن نقول إن الضمير في (فيه) و (منه) و (به) و (وما قتلوه) و (رفعه) و (موته) و (يكون) راجع إلى القتل والصلب أيضاً وعليه فيكون المعنى ولكن شبه لهم القتل والصلب ، وإن الذين اختلفوا في القتل والصلب لفي شك من القتل والصلب ما لهم بالقتل والصلب من علم إلا اتباع الظن وما قتلوا القتل والصلب يقينا ، بل رفع الله إليه القتل والصلب .

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالقتل والصلب قبل موت القتل والصلب ويوم القيامة يكون القتل والصلب على الناس شهيدا فهل هذا المعنى يتسق مع الذوق اللغوى ويساير السياق اللفظى للآية إنه لاشك لا يوائم شيئاً من ذلك ولكنها النفوس المريضة تريد أن تغطى الحقائق بأي غطاء ولو كان على حساب الاستهتار بالعقول والاستخفاف بها كما فعل صاحبنا بتأويله السالف لآى الصلب في القرآن .

أدلة من الكتاب المقدس على صدق القرآن في نفى الصلب عن المسيح عليه السلام

إن الباحث فيما تحت أيدينا الآن من العهدين القديم والجديد يجد فيهما من حين لآخر — رغم ما أصابهما من التحريف الشديد — ما يدل على صدق القرآن الكريم فيما ذكره من أن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه ولكنهم قتلوا وصلبوا رجلا غيره شبه لهم ورفع الله عيسى إليه ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ .

فأما العهد القديم فقد احتوت أسفاره من النبوءات عن المسيح الشيء الكثير كما يقول النصارى ، ولا سيما سفر المزامير فإنهم يجعلون له عندهم اعتبارا خاصاً لكثرة ما تضمنه فى نظارهم من النبوءات الكثيرة عن السيد المسيح وما سوف يتعرض له فى مستقبل الزمان من القتل والصلب على يد أهل الإثم والطغيان .

قال القمص سرجيوس : فى سفر التكوين كان فجر النبوة وفى الأسفار التالية كان تدرجها فى الارتفاع حتى تكبدت السماء فى سفر المزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليا فى كمال مجده كأنه الإنجيل يتكلم عن يسوع من كل مناحى حياته عن أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله . تكلم الأنبياء عن المسيح فأشار كل واحد منهم إليه من ناحية أو نواح أما سفر المزامير فكان كالهالة أحاط بكوكب يسوع فتكلم حتى عن احساساته العميقة وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه أكثر من أى نبى آخر .

ويمكننا القول بأن سفر المزامير هو سفر مسيا الخاص بدليل أن الاقتباسات التى اقتبسها كتبة العهد الجديد من سفر المزامير هذا قد بلغت إلى نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم (١) أ . هـ .

لذا فقد تتبعنا هذا السفر دون غيره من أسفار العهد القديم لنقف على حقيقة ما أنبأ عنه من أخبار السيد المسيح عليه السلام .

وقد وجدنا من خلال هذا التتبع أن تلك المزامير تتحدث عن المؤامرة

---

(١) أنظر كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح للقمص سرجيوس ٢٨

على المسيح فتصف المتآمرين دائماً بالشر وتصف الشخص المتآمر عليه بأنه كثيراً ما كان يدعو الله أن ينجيه ويخلصه ويستجيب له ، وتبين أن هذا الداعى حقيق بأن يستجاب دعاؤه لأنه كامل ليس فى فمه غش ولا فى قلبه إثم ، ولأن الحق والعدل والرحمة كلها تقضى بأن يستجاب دعاؤه ، صورة سامية تصورها المزامير لإنسان كامل هو هذا الداعى الذى لا يمكن أن يكون سوى المسيح عليه السلام ، ونجد دائماً فى كل المزامير أن الله سيستجيب لدعاء هذا الكامل ، وسيخلصه ، سيرفعه ، سينقذه ، ثم تبرز لنا المزامير ، بعد اخبارها عن تخليص الله للشخص الذى ليس فى فمه غش ولا فى قلبه اثم صورة أخرى لشخص بغيض لا يعرف الله له إلا الحماقة والخزى والخجل والعار والتآمر صورة تتكرر فى سائر المزامير مقترنة بأن هذا الشرير المتآمر هو الذى سيصلب إذ الشرير معلق بعمل يديه ، وساقط فى الحفرة التى حفرها لسيده ومعلمه الطيب الذى ليس فى فمه غش ولا فى قلبه إثم ، ومنتشبة برجله الشبكة التى أخفاها صورة كريهة لشخص بغيض تدل ملامحه على أنه يهــوذا الاسخريوطى فهو الذى خان المسيح سيده ، فنال جزاء خيانته ، نفس الكأس التى كان قد أعدها لمن خانه ، وتتنبأ هذه المزامير فى جملتها عن مؤامرة يهوذا الاسخريوطى مع أعداء المسيح للقبض عليه ، ثم تحركهم ليمسكوه ، وأما هو ، أى المسيح ، فيصلى لله ، ويضرع إليه ، ويدعوه أن يخلصه من الصلب الذى هو آت إليه على يد أعدائه ، ولكن صوت الأعداء يقترب والدعاء يزيد حرارة ، حتى إذا ما وصلوا إليه حسب المسيح للحظة أن الله قد تخلى عنه ، وأنه مريد له أن يصلب ، فلإيمانه

يرضخ لمشيئة الله ، وإذ يستسلم لمن قدموا ليقبضوا عليه إذا معجزة الله تقع ، وإذا هو مستجيب كل دعائه ، فيرفعه إليه ، ويرتد الأعداء إلى الخلف ويسقطون وهم لا يدرون ماذا حدث ، ثم لا يجدون بينهم غير الشرير الخائن يهوذا الاسخريوطى ، فيقبضون عليه ، ويحاكمونه ويصلب على أنه المسيح عليه السلام ، وإذ يصلب يكون قد علق بعمل يديه .

هذه هى الصورة التى وجدنا المزامير تتنبأ بها ووجدناها بكاملها فى بعض المزامير ووجدناها متسلسلة كما هى فى مزامير أخرى على التوالى ووجدنا فى مزامير أخرى أيضاً جزءا منها على حدته ، ولكن يجمع بينها جميعاً ، أنها على أى حال وجدناها عليه ، إنما تتنبأ بصورة تتكرر ولا تتغير فيها جميعا ، فدائما هذا الكامل الذى ليس فى فمه غش ولا فى قلبه إثم ، الله مستجيب لدعائه ومخلصه ورافعه إليه ، ودائما أيضاً هذا الشرير هو الذى سيصلب هو الذى يعلق بعمل يديه هو الذى يقع فى الحفرة التى حفرها ، وبذلك تتضح النبوءة فى أجلى صورها وأصرح معانيها وأبهى صدقها وكمالها .

ولعل من الأفضل لتوضيح ما ذكرناه من فحوى نبوءات المزامير عن المسيح عليه السلام وما دبر له من مؤامرات أن نجمع كل نوع من نبوءات سفر المزامير على حدة فنسوق الفقرات التى ترمز إلى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ثم الفقرات التى ترمز إلى استجابة الله لدعاء المسيح بتخليصه من الصلب ، ثم الفقرات التى ترمز إلى القبض على يهوذا الإسخريوطى ومحاكمته وصلبه ، لنستجمع من كل ذلك الحقيقة التى تنبأت بها المزامير .

أولا : الفقرات التي ترمز إلى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب

قم يارب ، خلصني يا إلهي (مزمور ٣ : ٧)

عند دعائي استجب لي يا إله بري ، في الضيق رحبت لي ، ترأف علي واسمع صلاتي (مزمور ٤ : ١) .

لكلماتي أصغ يارب ، تأمل صراخي ، استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلي ، يارب بالغداة تسمع صوتي بالغداة أوجه صلاتي نحوك وأنتظر (م ١٠ : ٣) .

يارب نج نفسي خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك (م ٦ : ٤ : ٥) .

يارب إلهي عليك توكلت خلصني من كل الذين يطردونني ونجني (مزمور ٧ : ١)

يارب إلهي إن كنت قد فعلت هذا إن وجد ظلم في يدي أن كافأت مسالمي شراً وسلبت مضايقي بلا سبب ، فليطارد عدو نفسي وليدركها وليدس إلى الأرض حياتي وليحط إلى التراب مجدي (٧ : ٣ — ٥) .

أقض لي يارب كحقي ومثل كمالي الذي في ليفنه شر الاشرار وثبت الصديق (م ٧ : ٨ ، ٩) .

أرحمني يارب أنظر مذلتي من مبغضي (م ٩ : ١٣) .

أنظر واستجب لي يارب إلهي . أنر عيني لئلا أنام نوم الموت لئلا يقول عدوي قد قويت عليه ، لئلا يهتف مضايقي بأني تزعزعت ، أما أنا فعلى رحمتك توكلت (م ١٣٠ : ٣ — ٥) .

اسمع يارب للحق . أنصت إلى صراخي . أصغ إلى صلاتي من

شفتين بلا غش . جربت قلبى تعهدته ليلا محصتنى لا تجـد فى ذموما لا يتعدى فمى (م ١٧ : ١ - ٣) .

« إليك يا رب أصرخ وإلى السيد أتضرع . . ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة هل يحمدك التراب ، هل يخبر بحقك استمع يا رب وارحمنى يا رب كن معينا لى » (م : ٨ - ١٠) .

« أصغ يا رب إلى صلاتى وانصت إلى صوت تضرعاتى فى يوم ضيقى أدعوك » (م ٨٦ : ١ - ٧) .

« من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك » (م ١٣٢ ، ١٠) .

« انقذنى من أعدائى يا إلهى ، نجنى من فاعلى الإثم ومن رجال الدماء خلصنى لأنهم يكمنون لنفسى ، الأقوياء يجتمعون على لا لإثمى ولا لخطيتى يا رب بلا إثم منى يجرون ويعدون أنفسهم استيقظ إلى لقائى وانظر » (م٥٩ : ٥ - ٤) .

ليستجب لك الرب فى يوم الضيق ، ليرفعك إسم إله يعقوب ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك ، ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك سله ليعطك حسب قلبك ويتم كل رأيك (م ، ٢٠ : ١ — ٤)[1] .

مما سبق يتبين أن هذه الفقرات تجتمع كلها على معنى واحد وإن اختلفت ألفاظها فى التعبير عنه وهذا المعنى هو دعاء الله بالخلاص من

(١) انظر بقية ما جاء من هذه النبوءة فى العهد القديم سفر المزامير ص ٨٣٤ مزمور (١٦ : ١) ، (٢٨ ، ١ — ٣) ، (٣١ ، ٩) ، (٣١ ، ١٤ : ١٧) ، (٥٤ : ١ - ٣) ، (٥٥ : ١ ، ٢) ، (٥٦ : ١ - ٣) ، (٥٧ : ١ ، ٢) ، (٦٤ : ١ ، ٢) ، (٧١ : ١ - ٣) ، (٨٦ : ١٤ - ١٦) ، (١٠٩ ، ١-٥)

ضيق الحياة ومضايقات أعداء الحياة ، ويلاحظ أن بعض هذه الفقرات يشير صراحة إلى أن الدعاء ليس مقصوداً به الزمن الحاضر وإنما يقصد به الزمن المستقبل كما فى قوله (يا رب بالغداة تسمع صوتى) وأن بعضها الآخر يشير بوضوح إلى أن هذا الداعى يرى أنه حقيق بأن يستجاب دعاؤه كما فى قوله : (أقضى لى يا رب كحقى ومثل كمالى الذى فى) .

وأن جزءا منها يشير إلى أن المقصود بيوم الخلاص المطلوب هو اليوم الذى يحاولون فيه القبض على المسيح وقد سمته الفقرات بيوم الضيق .

وأن جزءاً آخر يشير إلى أن يطلب التخليص منه هو الصلب والموت كما فى قوله (خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك) وقوله (إليك يا رب أصرخ وإلى السيد أتضرع ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة) .

وأخيرا فإن فى هذه الفقرات إشارة صريحة إلى أن المدعو له بالخلاص من الموت والصلب هو عيسى عليه السلام ولا أدل على ذلك من قوله .

« من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك » .

فالنبوءة فى المزامير بما حدث من عيسى من دعائه لله بالخلاص من الموت والصلب يوم حاول أعداؤه القبض عليه أمر يبدو لا خلاف عليه لأنه إنما يتنبأ بواقعة متفق عليها عندهم .

ثانيا : الفقرات التى ترمز إلى تخليص الله المسيح ورفعه إليه :

« بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه » (م ٣ : ٤).

« يا بنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا . حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الـكذب فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه ، الرب يسمع عندما أدعوه » (م ٤ : ٢ ، ٣) .

« ويفرح جميع المتـكلمين عليك . إلى الأبد يهتفون وتظللهم . ويبتهج بك محبو اسمك لأنك أنت تبارك الصديق يا رب . كأنه بترس تحيطه بالرضاء » (م ٥ : ١١ ، ١٢) .

« أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم لأن الرب سمع صوت بكائى سمع الرب تضرعى ، الرب يقبل صلاتى (م ٦ : ٨ ، ٩) .

« ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى » (م ٧ : ٧) .

« أنظر مـذلتى من مبغضى يا رافعى من أبواب الموت » (م ٩ : ١٣) .

« يبتهج قلبى بخلاصك ، أغنى للرب لأنه أحسن إلى » (مزمور ١٣ : ٥ ، ٦) .

« لذلك فرح قلبى وابتهجت روح جسدى أيضاً يسكن مطمئنا لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً »(م١٦: ٩: ١٠)

« أنا دعوتك لأنك تستجيب لى يا ألله » (م ١٧ : ١٦) .

« الرب صخرتى وحصنى ومنقذى إلهى صخرتى به أحتمى ترسى وقرن خلاصى وملجأى أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى اكتنفتنى حبال الموت وسيول الهلاك أفزعتنى ، حبال الهاوية حاقت بى أشراك الموت انتشبت بى ، فى ضيق دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيـكله صوتى وصراخى ، قدامه دخل أذنيه ، أرسل من العلى فأخذنى

نشلني من مياه كثيرة ، أنقذني من عدوي القوي ومن مبغضي لأنهم أقوى مني أصابوني في يوم بليتي . وكان الرب سندي أخرجني إلى الرحب خلصني لأنه سر بي » (م ١٨ : ٢ — ١٩)

« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه ، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء الخيل ، أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكرهم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا ، يارب خلص ، ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا » (م ٢٠ : ٦ : ٩)

« لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر يسترني بستر خيمته على صخرة يرفعني » (م ٢٧ : ٥)

« فديتني يا رب إله الحق — ابتهج وافرح برحمتك لأنك نظرت مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي ولم تحبسني في يد العدو بل أقمت في الرحب رجلي » (م ٣١ : ٥ — ٨)

« الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته الرب لا يتركه في يده ولا يحكم عليه عند محاكمته انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض » (م ٣٧ : ٣٢ — ٣٤)[1]

---

(١) انظر بقية ماجاء من هذه النبوءة في العهد القديم ط عنتر سفر المزامير ص٨٣٤ مزمور (١٨ : ٤٣) و (١٨ ، ٤٦ — ٥) و (٢١ : ١ ـ ٦) و (٢١ : ١١) و (٢٨ : ٦ـ٨) و (٣٠ : ١ـ٣) و (٣٠ : ١ـ٣)و(٣٠ : ١١) و (٣١ : ٢١، ٢٢) و (م٣٤ : ٤ ، ٦) و (م٣٥ : ٩) و (٤٠ ، ١ ـ ٢) و (م ٤١ : ١ ، ٢) و (م٥٥ : ١٦) و (م٥٦ : ٩ـ١٣) و (م٥٧ : ٢ ، ٣) و (م ٥٩ : ١٠) و (م٥٩ : ١٦، ١٧) و (م٦٦، ١٦ـ٢٠) و (م٧١ : ١٥) و (م٧١ : ٢٣، ٢٤) و (م٨٦ : ٧) و (م٨٦ : ١٢ ، ١٣) و (م٩١ : ٢ : ٧) و (م ٩١ : ٩ـ١٦) و (م٩٤ : ٢١ ، ٢٢) و (١٠٩، ٣٠، ٣١) و (م١١٦ : ١، ٢) و (١١٦ : ٥ـ٨) و (م١١٨ : ٥) و (م١١٨ : ١٣ ـ ١٨) و (م١١٨ : ٢١ ـ ٢٣) .

هذه هى النبوءة الثانية التى تتنبأ بما سيحدث المسيح حينما يأتى أعداؤه للقبض عليه وبعد ما يكون قد استنفذ جهده وطاقاته كلها فى الدعاء لربه كى يخلصه من كيد أعدائه ، وفيها يلمح القارىء إشارات واضحة وصريحة إلى أن الله تعالى سوف يستجيب لدعاء المسيح ويخلصه من أيدى أعدائه الآثمين برفعه إليه من بينهم بعد ما يجثون ويسقطون ولعل من أوضح ما جاء فى تلك النبوءة دلالة على ذلك قوله « وجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى » وقوله :

« يا رافعى من أبواب الموت » وقوله « أرسل من العلى فأخذنى » وقوله « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه... هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل .. ونحن باسم الرب إلهنا نذكره هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا »

ولا يعقل أن ينتقل داود من الدعاء بالخلاص للمسيح إلى القول بأن الله سوف يخلص مسيحه — كما جاء فى هذه الفقرة — إلا بوحى يكون قد أخبره بذلك وأكده اه .

وكذا فى قوله « الرب لا يتركه فى يدهم ولا يحكم عليه عندمحا كمته إخبار مؤكد بأن المسيح سوف لا يتركه الله لأعدائه بل سيخلصه منهم فى الوقت المناسب.

وهنا نجد اتفاقا تاما بين ما تنبأت به المزامير عن كيفية خلاص المسيح من أيدى أعدائه فيما يستقبل من الزمان وبين ما أخبر به القرآن عن كيفية ذلك الخلاص للمسيح عليه السلام فيما مضى من الزمان .

ثالثا : الفقرات التي ترمز إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه :

« دنهم يا الله ، ليسقطوا من مؤامرتهم بكثرة ذنوبهم طح بهم لأنهم تمردوا عليك » (م ٥ : ١٠)

« جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدا ، يعودون ويخزون بغتة » (م ٦ : ١٠).

« هوذا يمخض بالاثم ، حمل تعبا وولد كذبا، كرا جبا حفره فسقط في الهوة التي صنع ، يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » (م ٧ : ١٤ — ١٦).

« لأنك أقمت حقي ودعواى ، جلست على الكرسي قاضيا عادلا ، انتهرت الأمم أهلكت الشرير » (م ٩ : ٤، ٥)

« تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها ، في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم ، معروف هو الرب ، قضاء أمضى ، الشرير يعلق بعمل يديه » (م ٩ : ١٥، ١٦)

« قم يا رب ، تقدمه ، اصرعه ، نج نفسي من الشرير بسيفك » (م ١٧ : ١٣)

« يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها » (م : ١٠ : ٣)

« إلهي إلهي لماذا تركتني – إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل أدعو فلا هدو لي .. عليك اتكل آباؤنا اتكلوا فنجيتهم .. إليك صرخوا فنجوا عليك اتكلوا فلم يخزوا أما أنا فدودة لا إنسان ، عار عند البشر ومحتقر الشعب ، كل الذين يرونني يستهزئون بي يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين ، اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به . . كالماء

انسكبت ... انفصلت كل عظامى — صار قلبى كالشمع قد ذاب وسط أمعائى ... يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى وإلى تراب الموت تضعنى ... لأنه قد أحاطت بى كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتنى ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى ... وهم ينظرون ويتفرسون فى يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . » (م ٢٢ : ١ — ١٨)

« عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا » (م ٢٧ : ٢)

« أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم ... حسب صنع أيديهم أعطهم .. رد عليهم معاملتهم . » (م ٢٨ : ٤)

« ليخز الأشرار .. ليسقطوا فى الهاوية » (م ٣١ : ١٧)

« الشر يميت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون » (م ٣٤ : ٢١)

« خاصم يارب مخاصمى . . قاتل مقاتلى .. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى .. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون باساءتى .. لأنهم بلا سبب أخفوا إلى هوة شبكتهم بلا سبب حفروا لنفسى .. لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكه نفسها ليقع » (م ٣٥ : ١ — ٨)

« الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه الرب يضحك لأنه رأى أن يومه آت الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم ... سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تتكسر » (م ٣٧ : ١٢ ، ١٥)

«هيأوا شبكة لخطواتى.. انحنت نفسى..حفروا قدامى حفرة سقطوا فى وسطها .. » (م ٥٧ : ٦)

« فيرميهم الله بسهم بغتة كانت ضربتهم ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم » (م ٦٤ : ٧ ، ٨)

« ويرد عليهم إثمهم وشرهم .. يفنيهم .. ويفنيهم الرب إلهنا » (م ٩٤ : ٢٣)[1]

هكذا تصور تلك النبوءة يهوذا بالصورة التى يستحق أن يكون عليها كل خائن شرير وتبين بجلاء أن حافر الحفرة هو الذى سقط فيها لا المحفورة له ، وصانع الشر هو الذى علق بيديه لا المصنوع له وواضع الشبكة هو الذى نشبت رجله بها . لا الموضوع له وهذا يعنى أن المحاكمة والصلب قد وقعا على يهوذا الأسخريوطى لا على المسيح عليه السلام ، إذاً لا نخلص من جماع ما تقدم إلا بأن المزامير قد تنبأت بحق ، بأن الله مخلص مسيحه ، مستجيب له ورافعه إليه عندما يحاول أعداؤه القبض عليه وبأن الذى سيقبض عليه فعلا ويحاكم ويصلب فعلا هو يهوذا الأسخريوطى ، تلميذ المسيح الذى خانه ، وبذا ننتهى إلى أن الحقيقة هى ما جاء فى القرآن عن تخليص الله للمسيح عليه السلام برفعه إليه ، وهى ما يقول به المسلمون من أن الذى قبض عليه وحوكم وصلب بالفعل هو يهوذا الاسخريوطى ، تلميذ المسيح الذى خانه[2]

---

(١) انظر بقية ماجاء من هذه النبوءة فى العهد القديم ط عنترص ٨٣٤ ومابعدها سفر المزامير (مزمور ٤١ : ٩) و (م ٥٤ : ٥) و (٥٥ : ٤ــ١٥) و (٥٦ : ٩) و (٦٩ : ٥ــ٢١) و (م٧٠ : ٢) و (م٧١ : ١٣) و (٧١ : ٢٤) و (٨٨ : ١٤ــ١٦) و (م١٠٩ : ٦ــ٨) و (م١١٨ : ٧)

(٢) انظر ماجاء عن ذلك مفصلا فى كتاب دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام الاستاذ منصور حسن عبد العزيز ط الشركة المصرية للطباعة ص ٧٠ : ١٤٤ .

وأما العهد الجديد فقد حوى — فوق ما فيه من خلافات فى قصة صلب المسيح تدل على عدم الثقة بها — عبارات تشير إلى أن الذى صلب وقتل إنما هو شخص آخر غير المسيح عليه السلام ، وأما المسيح فما رأوا منه إلا صورة رسمت لهم فشبه لهم أنه هو الذى مات ، والحقيقة أن الذى مات على الصليب إنما هو شخص غيره .

من تلك العبارات ما جاء عن بولس فى رسالته لأهل غلاطية من قوله « أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا [1] .

ومنها ما جاء عنه أيضاً فى رسالته لأهل رومية حيث قال « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته [2]

فمفاد هاتين العبارتين كما ترى أن المسيح قد رسم بينهم مصلوبا ولم يصلب جسده وأنه لم يذق الموت بل كاد يتعرض له ، ومعلوم أن بولس هو الذى حمل على عاتقه نشر فكرة صلب المسيح وتبريرها كما ذكرناه سلفا ، فجريان هاتين العبارتين على لسانه ينبىء عن ما أخفاه ذلك الرجل فى ذهنه من الحقيقة التى بينها القرآن بعد ذلك أجلى بيان .

ومن هذه العبارات ما اتفقت عليه أناجيلهم من أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه كلكم تشكون فى هذه الليلة ، وإنك لتلمح هذا المعنى واضحا فى القرآن الكريم غاية الوضوح حيث يقول الحق سبحانه .

---

(١) العهد الجديد ط عنتر ص ٣٠٦ اصحاح ٣ فقرة ١

(٢) العهد الجديد ط عنتر ص ٢٥٣ اصحاح ٦ فقرة ٥

﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ .

الأمر الذى يجعل الباحث المنصف لا يتردد لحظة فى قبول الحقيقة التى بينها القرآن وصرح بها .

من هذا وغيره يعلم أن فى التوراة والإنجيل — رغم ما أصابهما من التحريف الشديد والطمس المتعمد لكثير من الحقائق — ما يؤكد صدق القرآن فيما أخبر به عن مسألة الصلب وغيرها من المسائل الأخرى التى سوف نعرض لها فى حينها إن شاء الله تعالى .

شبهات للمسيحيين حول مسألة صلب المسيح وردها

هذا وقد حاول بعض المسيحيين أن يشوه ما ذكره علماء الإسلام من حقائق ثابتة تبين فى جلاء أن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه ولكن شبه لهم ، بعد ما عجزوا عن ردها بالحجة والبرهان ، فأوردوا حول تلك الحقائق عدة شبهات نوردها ونرد عليها فيما يلى :

أولا : إذا كان عيسى لم يصلب حقيقة وكان الذى صلب إنما هو رجل آخر ألقى الله عليه شبهه كما تقولون ورفع عيسى إليه ، فلم لم يخبر الحواريين بذلك قبل رفعه أو بعده ؟ .

وردا على هذا نقول إن عيسى عليه السلام لم يخبر الحواريين بأنه مرفوع إلى السماء وأن المصلوب هو شبيهه لتتأكد فى الأذهان عبوديته لله عز وجل ، فهو حين كانوا يعذبونه لم يكن يملك دفع ذلك الضر عن نفسه ، وحينما أراد الله تخليصه ورفعه إليه لم يكن يملك جلب هذا النفع

إليه ، هو فى الحالين عبد الله المطيع الصابر الراضى الذى لا يعصى لربه أمرا ، بخلاف ما لو أخبر عن ما سيئول إليه أمره من رفع الله له وصلب شبيهه فإن ذلك سيؤدى إلى تأكيد ما افتروه بعد ذلك من القول بألوهية المسيح عندهم ، وجعل الشك فى هذا الافتراء والادعاء أمرا يكاد يكون غير ممكن ، إذ ان يكون هناك عندئذ دليل أقوى من كون الله قد نجى ابنه كما يقولون وخلصه بالرفع إليه على ما أخبر به عيسى نفسه ، لذلك لم يشأ الله عز وجل لعيسى عليه السلام أن يخبر أحدا بأمر رفعه إلى السماء وصلب شبيهه لا قبل الرفع ولا بعده .

ثانياً : ما زعمه المسلمون من أن شبه عيسى قد ألقى على غيره فصلب مكانه على أنه هو هو أمر لا يصدقه العقل ، ولا يقبله ، لأنا إذا جوزنا ذلك ، جوزنا لكل إنسان أن يشك فى ولده وزوجه كلما أغمض عينه وفتحها إذ ما المانع أن يكون ابنه هذا ليس ولده حقيقة فى تلك اللحظة بل شبيه له أنه ابنه إلى آخر تلك البدهيات التى سوف يحولها القول بتجويز إلقاء شبه شخص على شخص إلى أمور يشك فيها ولا يوثق بها .

وهذا خلاف الضرورة قطعا ، فالقول بإلقاء شبه عيسى على غيره خلاف الضرورة كالقول بأن الواحد نصف العشرة مثلا فلا يسمع .

ودحضا لتلك الفرية نقول :

إن إلقاء شبه عيسى على غيره ليس أمرا عاديا يحدث للناس فى كل وقت وحين ، وإنما هو من الأمور الخارقة للعادة التى يجريها الله عزوجل

على يد أنبيائه ورسله ، كجعل عصى موسى حية تسعى ، بل هذا أخف وأهون ، لأن تحويل النبات إلى حيوان مستكمل لسائر الصفات الحيوانية أشد خرقا للعادة من القاء شبه إنسان على إنسان آخر، وهم يؤمنون بذلك ويقرون به ، فكما جوزوا إمكان قلب العصا حية ، وقلب النار بردا وسلاما على إبراهيم ، وقلب لون يد موسى عليه السلام ، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص ، وإحيائه للموتى ، وانقلاب الماء خمراً وزيتاً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كما جوزوا إمكان وقوع ذلك كله فى حق القدرة الإلهية ، فعليهم أن يجوزوا فى قدرة الله عز وجل إمكان إلقاء شبه عيسى على غيره ، إذ لا فرق بين هذا وغيره مما آمنوا به وصدقوه من المعجزات الأخرى .

ثالثاً : إن صلب المسيح أمر قد أخبرت به الأناجيل كلها ، واتفق عليه المسيحيون فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهم عدد يحيل العقل تواطأهم على الكذب ، فإن جوزتم كذب الأناجيل وأن هذا العدد الكبير يمكن تواطؤه على الكذب لزم المحال من وجوه :

أحدها : أنه يتعذر عليكم أيها المسلمون جعل القرآن متواترا إذ الذين نقلوه هم جمع يحيل العقل تواطأهم على الكذب ، فإذا جوزتم إمكان الكذب على الجموع الكثيرة التى تناقلت خبر صلب المسيح وآمنت به ، جوزتم ذلك فى حق نقلة القرآن أيضاً .

وثانيها : أن قولكم بتجويز الكذب على من نقلوا أخبار صلب المسيح ، جيلا بعد جيل ، يؤدى إلى بطلان قاعدة التواتر بالكلية .

وثالثها : أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا يسمع فلو قال إنسان ما : الخبر عن وجود مصر والسودان كذب ، لم يسمع ذلك منه ، وعد خارجا عن دائرة العقلاء ، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق وأن إخبار المسلمين والقرآن عن عدم ذلك ، مشكل .

والجواب : أن أرباب هذ الشبهة قد قالوا ما قالوا ، وهم غافلون أو متغافلون عن شروط التواتر الحقيقى التى يزيل عدم وجودها أو عدم وجود واحد منها صفة التواتر ، عن أى خبر من الأخبار وإن نقله أو قال به ألوف الألوف .

من تلك الشروط ما يأتى :

أن يكون المخبر عنه أمرا مدركا بأحد الحواس الخمسة ، إذ الأمور العقلية هى دائما محل الجدل والنزاع ، ألا ترى أن الأمة العظيمة قد تتفق على شىء من تلك الأمور العقلية وتخالفها فيه أمة أعظم منها وأكثر كالشيوعية والرأسمالية ، إلى غير ذلك مما هو محل خلاف بين الأمم من المذاهب والأديان والأفكار ، لذا قلنا إن التواتر يكون فيما يدركه الحس دون ما مصدره العقل ، وهذا الشرط لم يتحقق للذين شاهدوا الصلب ، لأنهم رأوا بأعينهم رجلا مصلوبا على خشبة ، أما كون هذا الرجل هو عيسى بالقطع فذلك ما لا يعرفونه لأن شبهه كان قد ألقى على من سيصلب مكانه ، فمثلهم فى أمره كمثل قوم أوتوا بإناء فيه رطل ماء ، ثم أوتوا بقدر الوزن السالف من ماء غير الماء الأول ، فإن غاية ما يحكمون به هو أنهم رأوا رطلا من الماء دون ما تمييز بين الماء

الأول والثانى ، وعلى هذا فلا تواتر فى خبر صلب المسيح كما ادعى النصارى ويبقى حكم القرآن قائما لا شك فيه .

٢ ـ أن يكون المباشرون لنقل الخبر من أصله جمعا يحيل العقل تواطأهم على الكذب ، وهذا الشرط أيضاً لم يتحقق لمن نقلوا خبر صلب المسيح ، لأن عددهم حين وقوع الصلب كان قليلا سواء أكان الحاضرون المشاهدون لتلك المسأله من أتباع المسيح أم من اليهود لأن تلاميذ المسيح بنص الأناجيل قد هربوا عندما قبض عليه كما زعموا ولأن الذين باشروا الصلب من اليهود كانوا نفرا قليلا عهد إليهم الملك بتنفيذ هذا الأمر فى سكون الليل والناس نائمون .

وهذا العدد يجيز العقل تواطأهم على الكذب ولا سيما إذا عرفنا أنهم بعد ذلك قد ارتشوا ليقولوا إن المسيح قد سرق من قبره .

فالذين يقبلون الرشوة لايحيل العقل اتفاقهم على الكذب فيما يخبرون به ؟ فبطلت دعوى التواتر التى قال بها النصارى .

هذا ، وليس فى تكذيب القرآن لأناجيلهم بعد عن الحق لأن هذه الأناجيل قد اختلفت فى ذكرها لتلك القصة اختلافات تشكك فيها أقل الناس علما ، فما بالك بالعليم الخبير ، إنه سبحانه عندما يكذبهم فيما قالوه من صلب المسيح إنما يظهر الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون.

آراء المسلمين فى رفع المسيح :

لا خلاف بين المسلمين فى أن الله — تعالى — ، قد نجى رسوله

عيسى المسيح عليه السلام من كيد أعدائه ، فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

ولا خلاف بين المسلمين أيضاً ، فى أن الله عز وجل قد رفع نبيه عيسى وطهره من الذين كفروا ، وإنما الخلاف بينهم فيما إذا كان الله — سبحانه — قد رفع عيسى إليه بجسده وروحه حيا ، أم أنه — عز اسمه — أماته — بعد ما نجاه من أيدى الظالمين — حينما شاء ، ودفن فى مكان ما من الأرض ، ثم رفع روحه إليه تكريما له وتعظيما .

سر اختلاف العلماء فى رفع عيسى :

ويرجع سر هذا الخلاف بينهم فيما نرى إلى ما يلى :

أولا : لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يعين أحد الأمرين السالفين فى رفع عيسى عليه السلام .

ثانيا : اختلافهم فى فهم قوله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ إنى متوفيك ﴾ وقوله — سبحانه — فى سورة المائدة ﴿ فلما توفيتنى ﴾ وقوله — سبحانه — فى سورة مريم ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ وقوله تعالى فى سورة الزخرف ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ .

ثالثاً : اختلافهم فى فهم معنى الواو الواردة فى قوله تعالى ﴿ ورافعك إلى ﴾ بعد قوله ﴿ إنى متوفيك ﴾ .

رابعاً : اختلافهم فى تعيين من يعود عليه الضمير فى قوله تعالى ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ .

دعائم الرأى الأول وتأويلات أصحابه :

فأما القائلون بأن عيسى عليه السلام قد رفع إلى السماء حياً بجسده وروحه فقد بنوا قولهم هذا على أن هذا هو المعنى المتبادر من قوله تعالى ﴿ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ﴾ لأن فى هذا الكلام إضراباً عن القتل إلى الرفع ، ولا يعقل أن يضرب عن الموت الذى ينشأ عن القتل ليخبر عن رفع الروح بعد الموت الطبيعى الذى لا دخل للقتل فيه ، بل المعقول والمقبول أن يكون الإضراب عن القتل إلى الرفع ، مقصوداً به إبطال أن يكون عيسى قد مات ، وإثبات أن الله — رفعه إليه حيا بجسده وروحه .

وفسروا قوله — تعالى — ﴿ إنى متوفيك ﴾ بأنه سبحانه ينيمه ويرفعه إليه فى تلك النومة أخذا من قوله — تعالى — ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ فكما أن معنى التوفى هنا الإنامة ، فكذلك يكون معنى التوفى فى آية آل عمران — وجعلوا الواو فى قوله : ﴿ ورافعك إلى ﴾ للتشريك فى الحكم وعليه ، فالمعنى عندهم — أن الله حكم على عيسى بالنوم والرفع إذا قلنا إن التوفى بمعنى الإنامة ويمكن القول بأن معنى متوفيك آخذك وافيا ، بجسدك وروحك من توفى فلان دينه من فلان أى أخذه وافيا ، وعليه فالمعنى آخذك وافياً وأرفعك إلىّ .

وحملوا قوله تعالى عن عيسى فى سورة المائدة (فلما توفيتنى) على أنه كلام صادر من عيسى لله يوم القيامة ، وهو فى هـذا اليوم

سيكون قطعا قد بعث بعد الموتة التى أذاقها الله له بعد نزوله حيا من السماء إلى الأرض وأما قوله (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت) فهو إخبار من عيسى عليه السلام عن أهم ما يؤول إليه أمره ككل واحد من البشر ، يولد ويموت ، ثم يبعث حيا ، وما يقع بين ذلك من تآمر أعدائه عليه ومحاولتهم قتله ورفع الله له من بينهم حيًّا ، إنما هى أمور لا يفيد ذكر عيسى لها مستمعيه شيئًا فى تلك اللحظة التى كلمهم فيها من مهده .

وأما قوله (وإنه لعلم للساعة) فهو دليل على أنه سينزل إلى الأرض ويكون كما أخبر عنه الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم مصلحا لما فسد من أمور الناس ، توطئة وتمهيدا لأحداث تأتى بعدها الساعة .

والضمير فى قوله تعالى (قبل موته) يعود إلى عيسى لا محالة ، إذ هو المراد من الضمائر الواردة فى الآيات السابقة على هذه الآية . وهو المراد من الآية اللاحقة لها .

فالتساوق فى أسلوب القرآن يقضى بأن يجعل الضمير فى قوله (قبل موته) لعيسى ، لأن القول بعود الضمير فى (قبل موته) على غير عيسى فصل للآية عن سياقها وسباقها ولحاقها فلا معنى له .

دعائم الرأى الثانى وتأويلات أصحابه :

وأما القائلون بأن الله قد أمات عيسى بعد ما نجاه من أيدى أعدائه ، ثم رفع روحه إليه تطهيرا له من الذين كفروا وتكريما

له وتعظيما ، فقد بنوا رأيهم هذا على أن القرآن الكريم لم ينص صراحة على رفعه إلى السماء حيا بجسده وروحه ، وعلى أن السماء مكان للروحانيات لا للجسديات ، وعلى أن القول بهذا يدعم قول المسيحيين بأن ابن الإله قد رفعه أبوه إليه ليُجلسه بجانبه فى السماء ، وفسروا التوفى فى قوله — تعالى — (إنى متوفيك) وقوله (فلما توفيتنى) بالإماتة وجعلوا الرفع لاحقا للتوفى أخذا من قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) واعتبروا قول عيسى المحكى عنه فى سورة مريم (ويوم أموت) إخبارا منه عن أنه سوف يموت ، فلو كان يعلم أنه سيرفع إلى السماء حيا لقال بعد ما أرفع إلى السماء وأعود إلى الأرض ، ولكنه لم يقل هذا ، فدل على أنه لم يرفع حيا ، وجعلوا الضمير فى قوله ـ تعالى ـ (وإنه لعلم للساعة) عائدا على — محمد — صلى الله عليه وسلم ، أو على القرآن ، أو على عيسى ، ولكن على معنى أن الله سيعيد إليه الحياة قبيل الساعة ، حتى يجعله علما لها ، وجعلوا الضمير فى قوله قبل موته عائدا على كل كتابى يموت ، على معنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى فى اللحظات الأخيرة من حياته ولكن هيهات .. هيهات أن ينفعه ذلك .

هذا فيما نرى تحرير لمحل النزاع بين المسلمين فى هذه المسألة ، وتصوير لما فهمه الفريقان مما جاء فى القرآن الكريم عنها .

وقد انتصر كل فريق لمذهبه وأخذ يؤيده بما استطاع من الحجج والبراهين عقلية كانت أو نقلية ، ويفند أدلة أصحاب الرأى الآخر وبراهينهم .

أدلة أصحاب الرأى الأول على صحة رأيهم :

فأما أصحاب الرأى الأول : وهم القائلون بأن الله عز وجل قد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيا بجسده وروحه فقد أيدوا مذهبهم هذا بالأدلة الآتية :

أولا :

(ا) وردت من جهة النقل آيات كثيرة فى القرآن تنص على رفع عيسى عليه السلام ، وهذه الآيات ، وإن لم تصرح برفع جسد عيسى عليه السلام فإنها لم تصرح برفع روحه أيضا ، وعهدنا بالقرآن أنه إذا تحدث عن شخصية من الشخصيات لم يقل فى حديثه عن تلك الشخصية إنه يتحدث عنها جسداً ، وروحا ، أو جسدا فقط ، أو روحا فقط ، بل يذكر اسم المتحدث عنه ، أو وصفه الدال عليه ، إكتفاءاً بدلالة الاسم أو الوصف على ذات المسمى أو الموصوف جسداً وروحا .

ألا ترى إلى قوله — تعالى — فى حق النبى — صلى الله عليه وسلم (سبحان الذى أسرى بعبده)[١] ولم يقل بروحه وجسده ، وقوله فى حق إدريس عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا)[٢]

فقد فهم أكثر العلماء من هذه الآية أن الله رفع إدريس بروحه وجسده إلى السماء الرابعة وأنه أمر ملك الموت أن يقبض روحه هناك ، ومع ذلك لم يقل بجسده وروحه .

(١) الاسراء : ١ (٢) مريم : ٥٧

وقوله تعالى فى حق يونس (فالتقمه الحوت وهو مليم)[٣] ولم يقل فالتقم جسده ، بينما نجد القرآن عندما يتحدث عن مكانة شخص من الأشخاص أو شىء من الأشياء يصرح بذكر هذه المكانة ، كما فى قوله تعالى عن نبيه — صلى الله عليه وسلم — (ورفعنا لك ذكرك) .

وقوله — تعالى — عن المساجد (فى بيوت أذن الله أن ترفع)[٤] .

وقوله — تعالى — (نرفع درجات من نشاء)[٥] .

وقوله — تعالى — عن المؤمنين والعلماء (يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات)[٦] .

فدل هذا على أن النص برفع عيسى عليه السلام يعنى رفع جسده وروحه إذ اسم الشخص أو وصفه الدال عليه لا يطلق على الروح دون الجسد ، فالقول برفع روحه فقط حمل للكلام على غير وجهه فلا يعتد به .

(ب) وردت فى السنة المطهرة أحاديث كثيرة تبلغ فى مجموعها حد التواتر تدل على أن عيسى عليه السلام ، سوف ينزل إلى الأرض بأمر الله — تعالى — ليقيم العدل فيها ما شاء الله له أن يعيش ، ثم يموت كسائر الناس .

من هذه الأحاديث ما يأتى :

١ — روى البخارى ومسلم بسندهما عن أبى هريرة رضى الله عنه ،

---

(٣) الصافات : ١٤٢ (٤) النور : ٣٦

(٢) الأنعام : ٨٣ (٦) المجادلة : ١١

واللفظ للبخاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ا. هـ(١)

قال ابن كثير بعد ما ذكر هذا الحديث فى تفسيره وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلوانى وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به ، وأخرجه البخارى ومسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى به وأخرجاه من طريق الليث عن الزهرى ، ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبى حفصة ، عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون فيكم ابن مريم حكما عدلا ، يقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ويفيض المال ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين .

قال أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل) موت عيسى ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات ا. هـ(٢)

٢ - « روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق

---

(١) صحيح البخارى ط المطبعة الأميرية كتاب الأنبياء ، وصحيح مسلم كتاب الايمان جـ٢ ط المطبعة المصرية ص ١٨٩

(٢) تفسير ابن كثير ط الشعب المحققة المجلد الثانى ص٤٠٦ ، ٤٠٧

أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا ، فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته »[1] ا . هـ .

٣ — « روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين ، لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيهلكه . . » إلى آخر الحديث[2] .

٤ — روى مسلم فى صحيحة بسنده عن النواس بن سمعان عن النبى ﷺ حديثاً طويلا حول الدجال وما يكون من أمره قال فيه :

« فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن حـ ١٨ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ط المطبعة المصريه ومكتبتها .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن حـ ١٨ ص ٧٥ ، ٧٦ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين[١] واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة . .) إلى آخر الحديث[٢] قال النووى ما نصه : — (فيبعث الله عيسى ابن مريم) أى ينزله من السماء حاكما بشرعنا .

قال القاضى رحمه الله تعالى نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى وخاتم النبيين وبقوله صلى الله عليه وسلم لا نبى بعدى وبإجماع المسلمين أنه لا نبى بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غيرها شىء من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق فى كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس .

---

(١) المهروذتان بذال معجمة أو بدال مهملة الثوبان المصبوغان بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن حـ ١٨ ط المطبعة المصرية ص ٦٧ وما بعدها .

٥ — « روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء إخوة لعلاة أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الآمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون »[1] .

إلى آخر ما جاء فى الكتب الستة وغيرها من الأحاديث الكثيرة الدالة على نزول عيسى حياً إلى الأرض ثم وفاته عليه السلام بعد أن يقتل المسيح الدجال وينشر الأمان والإيمان فى الدنيا كلها .

(ج) القول برفع عيسى عليه السلام بجسده وروحه حياً إلى السماء ثم نزوله إلى الأرض ، وموته فيها هو قول الكثيرين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم ، والجمهرة من الأئمة الهداة الأعلام ، فالقول بخلاف هذا الرأى مخالفة صريحة لما يشبه الإجماع فلا يعبأ به .

ثانيا : استدلوا من جهة العقل — بالإضافة إلى ما ذكرناه سلفا من تفسيراتهم لآيات القرآن الواردة فى رفع عيسى عليه السلام على أن الله رفعه إلى محل كرامته حيا بجسده وروحه بما يأتى :

(١) مسند أحمد ص ٢٧٠

(ا) إن الخصوصية لعيسى عليه السلام هي في رفعه حياً بجسده وروحه إلى السماء، وبقائه فيها إلى الأمد المقدر له - ولا يصح أن يحمل التوفى على الإماتة لأن إماتة عيسى فى وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول، وقد نزه الله السماء أن تكون قبوراً لجثث الموتى، وإن كان الرفع بالروح فقط فأى مزية لعيسى فى ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحق أنه عليه السلام - رفع إلى السماء حياً بجسده وروحه وكما كان - عليه السلام - فى مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة، كان فى نهاية أمره آية ومعجزة باهرة، والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول وهى من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق الرسل - عليه الصلاة والسلام ا. هـ بتصرف[1].

(ب) القول برفع عيسى عليه السلام بعد موته. يشبه إلى حد كبير ما زعمه المسيحيون من أن عيسى قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه فيه، وصعد إلى السماء ليجلس بها هناك إلى جوار أبيه، فنشر مثل هذا الكلام بين الناس والتحمس له أمر قد يلبس على الناس دينهم ويوقعهم فى الشكوك والأوهام فلا داعى له، لأن الأولى بنا كمسلمين أن نعمد إلى كتاب الله وسنة رسوله أولا وقبل كل شيء فما وجدناه فيهما آمنا به وصدقناه ولو كان على غير ما تألفه العقول وتعرفه، إذ قدرة الله - تعالى - لا يعجزها شيء ونحن نؤمن بهذا ونذعن فلا يليق بنا أن نفرق بين شيء وشيء بالنسبة لقدرة الله تعالى فنقول هذا

---

(١) تفسير سورة آل عمران للدكتور محمد سيد طنطاوى ط مطبعة السعادة ص ١٥٨

ممكن وهـذا غير ممكن بل ما أخبر الله بوقوعه فهو حق وصدق ولو لم تدركه العقول، وتألفه الأفهام .

أدلة أصحاب الرأى الثانى على صحة رأيهم :

وأما أصحاب الرأى الثانى — وهم القائلون بأن الله — تعالى — أمات عيسى بعد ما نجاه من كيد أعدائه ثم رفع روحه إليه — فإنهم لما لم يجدوا من النقل مستنداً صريحاً لرأيهم هذا ، لجأوا إلى التأويلات العقلية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في نزول عيسى — عليه السلام — إلى الأرض آخر الزمان ليجعلوا منها أدلة تؤيد مذهبهم وتناصرهم .

فأما الآيات القرآنية فقد أسلفنا تأويلهم لها ورأيهم فيها قبل ذلك. وأما الأحاديث النبوية الصحيحة فقد أولوها بأحد أمرين .

أولهما : أنها أحاديث آحاد وأحاديث الآحاد لا يعمل بها فى العقائد ، ومسألة رفع عيسى عليه السلام مسألة اعتقادية فلا يعمل بهذه الأحاديث فيها .

وثانيها : أنه لم ترد فى هذه الأحاديث كلمة واحدة تنص على رفع عيسى بجسده وروحه ، بل كل ما جاء فيها أنه سينزل إلى الأرض ، ولا يلزم من النزول أن يكون من ارتفاع إذ يجوز أن يحمل النزول على المجىء أو التقدير أو الوقوع أو الجعل كما وردت به اللغة العربية ، ونصت عليه آيات القرآن فى أكثر من موضع ، قال تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾[1] أى جعلنا فى الحديد قوة وبأسا .

---

(١) الحديد : ٢٥

وقال ﴿قل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين﴾[1] أى قدر لى مكانا طيبا .

وقال ﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾[2] أى وقع وقال ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾[3] أى منحكم وأعطاكم .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزل فى هذه الأحاديث ليست إلا بمعنى يجيء ، ومن الممكن أن يحى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة ، وليس ذلك بمستبعد قط على الله ويضيف الأستاذ الإمام محمد عبده تأويلا آخر لما جاء فى أحاديث النبى ﷺ عن المسيح الدجال والمسيح عيسى عليه السلام فيقول :

إن الدجال ليس إلا رمزا للخرافات والدجل وأن ذلك يزول بشريعة الإسلام الغراء وبالقرآن والسنة التى حلت محل ما اعتقده اليهود فى مسيح يأتى ليملأ الأرض عدلا ونوراً.[1]

هذا ما أولوا به أحاديث رسول الله ﷺ فى نزول عيسى عليه السلام بعد رفعه إليه سبحانه كما أخبر القرآن .

ثم أورد الدكتور أحمد شلبى أحد أنصار هذا الرأى تأييدا له عدة مقولات للعلماء رأى أنها تصلح أدلة لنصرة هذا المذهب وتأييده فقال ما نصه :[2]

---

(١) المؤمنون : ٢٩ (٣) الصافات : ١٧٢

(٣) الزمر : ٦

(١) انظر تفسير المنار ج ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ص ٤٧ وما بعدها

أما السيد محمد رشيد رضا فقد أضاف إلى هـذه الدراسة نقطة جديدة هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى وقـد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجـاه الفكر الإسـلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلى نص كلام هذا الباحث الـكبير :

ليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين .

ويضيف هـذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعـالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقا لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مـع اتجاهات الإمام محمـد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول :

أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى مرة أخرى ، ويثير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر أنهـا بالإضافة إلى أنهـا أحاديث ليست متواترة — لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأول ، ويمـكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ، فإنهم فى خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم فى الفـكر الإسلامى

بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر فى القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعمق فى هذه القرون ويختتم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد البعض أن النصوص تفيد هـذا وترجحه فله أن يعتقد فى ذات نفسه وأن يلتزم ولا يلزم .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : ليس فى القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله كما قال تعالى فى ادريس « ورفعناه مكانا عليا » فحياة عيسى حيـاة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بازاء قوله تعالى : « ورافعك إلى » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهرا وباطنا لله تعالى ، فقوله « إلى » هو كقول الله عن لوط « إنى مهاجر إلى ربى » فليس معناه إنى مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله » .

وفى كتاب « فى ظلال القرآن » عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة يقول المفسر :

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالفة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس .

ونجيء الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالى وله فى هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض فقرات بنصوصها .

وأميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط وأن جسمه فى مصيره كأجساد الأنبياء كلها ، وتنطبق عليه الآية « إنك ميت وإنهم ميتون » والآية « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وبهذا يثبت أن عيسى مات – ومن رأيى أنه خير لنا نحن المسلمين – وكتابنا لم يقل قولا حاسما أبدا ، إن عيسى حى بجسده – خير لنا منعا للاشتباه من أنه ولد من غير أب ، وأنه باق على الدوام مما يروج لفكرة شائبة الألوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن عيسى مات وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا الا بروحه فقط ، حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة .

وأنتهى من هذا الكلام إلى أنى أرى من الآيات التى أقرؤها فى الكتاب أن عيسى مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين

ويثير الأستاذ صلاح أبو اسماعيل نقاطا دقيقة تتصل بالرفع فيقول: إن الله ليس له مكان حسى محدود حتى يكون الرفع حسيا ، وعلى هذا ينبغى تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة والمنزلة ، ثم إن رفع الجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يرى الآن ، وأنه يحتاج إلى

ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ، ومن خواص الأجسام على العموم وهو مالا يتناسب فى هذا المجال ، وأحب أن أجيب على من قال إن فى مقدور الله أن يوقف خواص الجسم فى عيسى، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يرى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم ... معناه العودة إلى الروحانية أو شىء قريب منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأى الذى يعارض رفع عيسى بجسمه وبعض الناس يقولون إن عيسى رفع بجسمه وروحه فاذا سئلوا : إلى أين ؟ وما العمل فى خواص الجسم ؟ قالوا لا نتعرض لهذا ، وهو رد ليس فيما نرى شافيا .

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو اسماعيل الذى يتساءل قائلا : إذا كان رفع عيسى حيا معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا اعتقد « الأستاذ صلاح أبو اسماعيل » أن كلمة « متوفيك » تعنى وعدا من الله بنجاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يعصمه من الناس : ا . هـ

موقفنا من هذه الأفكار :

وبعد ، فهذا ما استدل به كل فريق على صحة ما ذهب إليه وارتآه فى رفع عيسى عليه السلام ، والذى يبدو لنا بعد هذا العرض المستفيض لأدلة الفريقين أن الرأى القائل بأن الله ـ تعالى ـ قد رفع عيسى عليه السلام حياً بجسده وروحه إلى محل كرامته فى السماء هو أسلم وأحكم .

أما كونه أسلم فلأنه مستقىً من القرآن الكريم ومن صحيح

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا المسلك السلامة كل السلامة من شطط العقل ، وكثرة تأويلاته وتبريراته لأمور لا مدخل له فيها ، ولا مجال له فى رفضها أو قبولها .

وأما كونه أحكم فلأنه مستمد من الكتاب والسنة أيضاً ، وكفى بهما حاكمين فى كل ما عز على العقل إدراكه أو تصوره ، فمن الحكمة إذن التسليم لحكمهما والرضا به ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾(١) .

وأن ما لجأ إليه أصحاب الرأى الثانى من تأويلات لآيات القرآن الواردة فى رفع عيسى عليه السلام ، ونصوص الأحاديث الصحيحة الواردة فى نزوله إلى الأرض بعد ذلك وادعاءهم أن رأيهم هذا هو رأى جمهرة العلماء ، والرأى المخالف لرأيهم هو رأى القلة من العلماء ، وزعمهم أن القول برفع المسيح حياً يدعم قول النصارى ويؤكده إلى غير ذلك مما قالوه تدعيما لرأيهم وتأييداً له إنما هو فيما نرى صرف للحقائق عن وجهها الصحيح من ناحية ، وتكلف فى تأويل الآيات والأحاديث لا داعى له من ناحية أخرى .

فأما كونه صرفا للحقائق عن وجهها الصحيح فلأن ما زعموه من كون رأيهم هذا رأى الجمهرة من العلماء ورأى مخالفيهم رأى القلة من العلماء غير صحيح ، بل الصحيح الذى عليه الأكثرون أن القول برفع عيسى حيا قول الكثيرين من الصحابة كأبى هريرة ، والنواس بن سمعان ، وعبدالله بن عمرو وغيرهم ، وقد تابعهم على هذا الرأى الكثرة

---

(١) المائدة آية ٥٠

من التابعين وأتباعهم ومن تلاهم بعد ذلك من الأئمة الأعلام ولم ينكره في العصر الأول إلا المعتزلة والجهمية فالقول بأن رأى هؤلاء هو رأى القلة غير المعتبرة ورأى الإمام محمد عبده ومن لف لفه هو رأى الكثرة المعتبرة صرف للحقائق عن وجهها الصحيح دون ما جدال ، ولأن ما زعموه من أن القول برفع المسيح حيا يوافق عقيدة النصارى أمر غير صحيح كذلك ، إذ النصارى يقولون برفع المسيح بعد موته وقيامته من قبره ، فالقائلون برفع روح المسيح بعد موته هم أشبه في قولهم هذا بالنصارى من القائلين برفعه حيا ، وفي هذا ما فيه من صرف الحقائق عن وجهها الصحيح .

وأما كون تأويلاتهم لآيات القرآن الواردة في رفع عيسى ونصوص الأحاديث الصحيحة الواردة في نزوله بعد ذلك إلى الأرض تكلفا لا داعي له فلأننا في غنى عن كل هذه التأويلات إذ ما المانع أن يرفع الله عيسى حيا بجسده وروحه إلى محل كرامته في السماء ؟

هل المانع كما يقولون هو أن عيسى سيكون أفضل من محمد لأنه حي ومحمد ميت ، والحي أفضل من الميت ؟

أي حي ، وأي ميت ، إن مرجع التفاضل بين الأنبياء إنما هو إلى الله سبحانه فمن حكم له بالأفضلية فهو الأفضل قال — تعالى — [تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض][1]

ثم إن حياة عيسى عليه السلام ليست حياة أبدية ، وإنما هي حياة إلى أجل معلوم ينتهي بموت عيسى عليه السلام قطعا ، فكل ما في الأمر

(١) البقرة آية ٢٥٣

أن عمره أطول من عمر سيدنا محمد ، فهل هذا يفضي إلى أفضليته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب لا . إذ لو كان هذا صحيحا لكان الذين عاشوا بعد رسول الله ﷺ لطول عمرهم عن عمره أفضل منه عليه الصلاة والسلام ولم يقل أحد بهذا .

وعليه فعيسى عليه السلام حيا كان أو ميتا ليس أفضل من محمد ﷺ ، وإذا انتفى هذا فما المانع إذن من رفع عيسى عليه السلام حيا بجسده وروحه إلى السماء ؟

وأي شيء يحملنا نستكثر ذلك على قدرة الله — سبحانه — ونحن الذين آمنا وصدقنا بأن — الله — أخرج عيسى من أنثى بلا ذكر وأي شيء يحملنا على تأويل آيات كتاب الله الكريم وأحاديث رسوله العظيم بما يوافق رأينا وهوانا .

ونحن نؤمن إيمانا راسخا بأن عقلنا قاصر عن معرفة غيب الله وإدراك ما فيه وأن الله بكل شيء عليم .

لذا كان رأينا أن القول برفع عيسى إلى السماء حيا أسلم وأحكم والله — تعالى — أعلى وأعلم .

خاتمـــــة

وبعـد . . . فقد كانت هذه دراسة تحليلية موضوعية لأهم العقائد المسيحية من منطلق القرآن الكريم ، والعقل السليم أردنا بهـا تبيين جوانب الحق للباحثين عنه فى كل مكان ، ولم نلبس رداء التعصب لحظة واحدة ونحن نـكتب فصول هذا الـكتاب ، بل تركنا للعقل حريتـه الـكاملة فى النقاش والجدال حتى تـكون النتائج المرجوة من وراء هذا العمل على خير ماتتمنى لها ونأمل .

وخلاصة ما أوصلنا إليه هذا البحث الطويل المضنى البعيد كل البعد عن التعصب والانحياز هى بإيجاز شـديد أن التوحيد حق لا شك فيه ، وأن التثليث باطل لا ريب فيه ، وأن اليهود ما قتـلوا عيسى المسيح وما صلبوه ولـكن شـبه لهم وأن من يقل بغير هذا فهو آثم قلبـه ﴿ والله بمـا تعملون عليم ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي العربى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بعون الله وتوفيقه ؟ دكتور هاشم جوده

١٥ شـوال سنة ١٤٠٠ هـ

٢٥ أغسطس سنة ١٩٨٠ م

مراجع الكتاب

(أ) القرآن الكريم :

١ — تفسير الكشاف للزمخشرى طبعة الحلبى .

٢ — تفسير الرازى للفخر الرازى طبعة المطبعة الحسنية بمصر .

٣ — حاشية الجمل على الجلالين للشيخ سليمان الجمل طبعة مطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

٤ — حاشية الصاوى على الجلالين طبعة الحلبى .

٥ — تفسير ابن كثير طبعة الشعب المحققة وطبعة الحلبى .

٦ — تفسير أبى السعود طبعة المطبعة المصرية .

٧ — تفسير القاسمى طبعة الحلبى .

٨ — تفسير البيضاوى طبعة بيروت .

٩ — تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠ — فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب طبعة دار الشروق .

١١ — صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

١٢ — كلمات القرآن للمؤلف السابق طبعة دار المعارف .

١٣ — تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى للأستاذ الشيخ محمود شلتوت طبعة دار القلم .

١٤ — التفسير الوسيط للجنة من العلماء طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٥ — المنتخب فى تفسير القرآن الكريم لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة شركة الإعلانات الشرقية .

١٦ — التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوى سور الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام طبعة مطبعة السعادة .

١٧ — البرهان فى علوم القرآن للزركشي طبعة الحلبي .
١٨ — الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة الحلبي .
١٩ - أسباب النزول للسيوطى طبعة شركة الإعلانات الشرقية .
٢٠ — دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ محمد الشنقيطى طبعة المدنى .
٢١ — قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار طبعة الحلبي .

(ب) السنة المطهرة :

٢٢ — صحيح البخارى المطبعة الأميرية .
٢٣ — صحيح مسلم المطبعة المصرية .
٢٣ — سنن ابن ماجه طبعة الحلبي .
٢٥ — مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل .

(ج) الأديان :

٢٦ — الكتاب المقدس طبعة عنتر .
٢٧ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم طبعة مطبعة صبيح وأولاده .
٢٨ — إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى طبعة دار التراث العربى تحقيق الدكتور أحمد السقا .
٢٩ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية .
٣٠ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للإمام ابن تيمية طبعة المدنى .
٣١ — مقارنة الأديان اليهودية والمسيحية للدكتور أحمد شلبي طبعة مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة .
٣٢ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
٢٣ — محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربى الطبعة الرابعة .

٣٤ — نسخة خطية عن المسيحية بقلم الأستاذ إبراهيم خليل أحمد
٣٥ — التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالى، طبعة مطبعة حسان بالقاهرة .
٣٦ — قذائف الحق للمؤلف السابق منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .
٣٧ — بين الديانات والحضارات للأستاذ طه المدور طبعة بيروت
٣٨ — دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام تأليف الأستاذ منصور حسين وكيل النائب العام طبعة الشركة المصرية للطباعة
٣٩ — الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى الكتاب الشريف للشيخ يوسف أحمد نصر الدجوى طبعة مطبعة النهضة الأدبية
٤٠ — الله واحد أم ثالوث للأستاذ محمد مجدى مرجان طبعة دار الهنا الحديثة الناشر دار النهضة العربية .
٤١ — المسيح إنسان أم إله للمؤلف السابق طبعة المطبعة الحديثة الناشر دار النهضة العربية .
٤٢ — هل المسيح هو الله للقس ميخائيل طبعة المطبعة التجارية الحديثة الناشر مكتبة النيل المسيحية .
٤٣ — المستشرقون والمبشرون للأستاذ إبراهيم خليل أحمد طبعة مطبعة العالم العربى .
٤٤ — القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى طبعة دار المعارف .
٤٥ — بنو إسرائيل فى القرآن والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى طبعة مطبعة السعادة الطبعة الأولى .

(د) مؤلفات أخرى :

٤٦ — حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين للشيخ يوسف النبهانى

٤٧ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة .

٤٨ — نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة للأستاذ محمد زاهد الكوثرى طبعة مطبعة القدس بشبرا .

٤٩ — عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام للشيخ الغمارى طبعة مطبعة عاطف .

٥٠ — شرح البيجورى على الجوهره للشيخ إبراهيم البيجورى طبعة مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

٥١ — حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للأستاذ عباس العقاد طبعة المؤتمر الإسلامى الطبعة الأولى .

٥٢ — الإسلام المظلوم لابراهيم على أبو الخشب طبعة دار الفكر الحديث الطبعة الأولى .

فهرست

	صفحة
إهـــداء	٣
مقدمـــة	٥

تمهيـــد

إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورد شبهات المشككين فيها	٩ — ٤١
الشبهة الأولى وردها	١٠
الشبهة الثانية وجوابها	٢٠
معجزات النبي الحسية	٢١
معجزاته المعنوية	٢٤
البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل	٣٢
البشارة بالنبي فى التوراة	٣٢
البشارة بالنبي فى الانجيل	٣٨

البـــاب الأول

حقية القرآن الكريم	٤٢ — ٤٦
طرق النقل عند المسلمين	٤٢
القسم الأول	٤٢
القسم الثانى	٤٣
القسم الثالث	٤٤
القسم الرابع	٤٤
القسم الخامس	٤٤
القسم السادس	٤٥

الفصل الأول صفحة

الادلة على حقية القرآن من القرآن وغيره ٤٧ - ٨٢
الأدلة على حقية القرآن من القرآن ٤٧
الأدلة من غير القرآن على حقية القرآن وثبوته ٦٣
الوعد بدخول المؤمنين المسجد الحرام ٦٥
وعد المؤمنين بالتأمين والتمكين والسلطان ٦٦
تبشير المؤمنين بالفتح والنصر ٦٧
الوعد بهزيمة الغالب وانتصار المغلوب ٦٨
أحوال أهل الكتاب ٦٩
الحكم بإيمان القلة وكفر الكثرة من أهل الكتاب ٧٠
بشارات من الله للمؤمنين ٧١
عقوبات اليهود ٧٥

الفصل الثاني

شبهات الكتابيين حول القرآن وردها ٨٣ - ١١٦
الشبهة الأولى ٨٣
دفع هذه الشبهة ٨٣
الاختلاف فى العهدين القديم والجديد ٨٤
التدليل من نصوص التوراة على وقوع الاختلاف فيها ٨٤
التدليل من نصوص الانجيل على وقوع الاختلاف فيها ٨٥
الأخطاء فى العهدين القديم والجديد ٨٧
التدليل من نصوص التوراة على وقوع الأخطاء فيها ٨٧
التدليل من نصوص الأناجيل على وقوع الأخطاء فيها ٨٩
وقوع التحريف فى التوراة ٩١
التحريف بالتبديل ٩١
التحريف بالزيادة ٩١

صفحة

التحريف بالنقص ٩٢
الشبهة الثانية ٩٣
رد هذه الشبهة ٩٣
الشبهة الثالثة ٩٨
الجواب على هذه الشبهة ٩٨
الشبهة الرابعة ٩٨
دحض هذه الفرية ٩٩
المثال الأول ٩٩
المثال الثانى ١٠٤
المثال الثالث ١٠٦
المثال الرابع ١٠٧
المثال الخامس ١١٠

الباب الثـــانى

مناقشة القرآن للمسيحيين فى الصلب وعقيدة التثليث ١١٧

الفصل الأول

مناقشة القرآن لمسيحيين فى عقيدة التثليث ١١٩-٢٤٧
العقيدة فى المسيحية الصحيحة ١١٩
العقيدة فى المسيحية المحرفة ١٢٧
أسباب تحريف المسيحيين لعقيدة التوحيد بعد المسيح ١٢٧
مجمع نيقية وإرساء عقيدة التثليث ١٢٢
مواءمة المسيحية بين التوحيد فى التوراة والتثليث فى المسيحية ١٢٨
عقيدة التثليث كما هى عند المسيحيين ١٤١
تبريرات مسيحية لجعل عقيدة الثالوث مقبولة ١٤٤
تشبيهات مسيحية لتقريب عقيدة التثليث ١٤٨

السر فى جعل الأقانيم ثلاثة	١٤٩
اختصاصات الثالوث وأعماله	١٥١
الأسس التى بنى عليها الثالوثيون تأليهم للمسيح	١٥٧
عقيدة التثليث فى ميزان العقل السليم	١٦٢
تأملات فى وظائف الثالوث	١٦٣
البراهين العقلية على بطلان الجمع بين التثليث والتوحيد	١٦٧
نهاية هذه الأبحاث	١٧٢
مناقشات عقلية لأسس تأليه المسيح عند دعاة الثالوث	١٨٠
عقيدة التثليث فى ميزان القرآن الحكيم	١٨٢
آيات الحجاج فى سورة البقرة	١٨٦
آيات الحجاج فى سورة آل عمران	١٩٣
حديث السورة عن قضية الألوهية	١٩٤
حديث السورة عن الرسالة	١٩٧
القول الفصل فى عيسى المسيح	١٩٩
آيات الحجاج فى سورة النساء	٢٠٩
دعوة اليهود إلى الإيمان الصحيح	٢١٠
إرشاد النصارى إلى العلاج السليم	٢١٠
حقيقة عيسى عليه السلام	٢١٣
دعوة النصارى إلى الإيمان الصحيح	٢١٤
آيات الحجاج فى سورة المائدة	٢١٦
أخبار عن أهل الكتاب تؤكدها سورة المائدة	٢١٦
النداءات الإلهية لأهل الكتاب فى السورة	٢١٧
أخبار عن عيسى عليه السلام تؤكدها سورة المائدة	٢٢٠
دلالة قصة المائدة على عبودية عيسى لله تعالى	٢٢١

ما سيكون من أمر عيسى يوم القيامة	٢٢٢
حكم الله على المغالين فى عيسى عليه السلام	٢٢٣
تعليقات مسيحية على الآية الكريمة وردها	٢٢٥
دعاوى مسيحية	٢٢٨
نقض هذه الدعاوى وإبطالها	٢٢٩
مناقشات هادئة مع البابا شنودة الثالث فى محاضرته عن التثليث والتوحيد	٢٣٢
الفصل الثانى	
مناقشة القرآن للمسيحيين فى صلب المسيح	**٢٤٨ - ٣٢٤**
موقف اليهود من صلب المسيح	٢٤٨
قصة صلب المسيح وقيامته عند النصارى عقلا ونقلا	٢٥٠
ثبوت القصة عندهم من جهة النقل	٢٥٠
ثبوت قصة الصلب عند النصارى من جهة العقل	٢٥٠
لماذا صلب المسيح	٢٥١
قصة الصلب بين المسيحية والديانات القديمة	٢٥٣
جدول المقارنة بين المسيحية والديانات الأخرى فى قصة الصلب	٢٥٥
قصة الصلب عند النصارى وأسبابها فى ميزان العقل السليم	٢٦٣
نظرة عقلية فى أسباب الصلب عند النصارى	٢٦٣
نظرة عقلية فى قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل	٢٦٧
نظرة فى أدلة النصارى على صحة الصلب من جهة العقل	٢٧٢
قصة الصلب وأسبابها فى ميزان القرآن الحكيم	٢٧٤
تأويل هذه الآيات	٢٧٦
التأويل المسيحى لآيات الصلب فى القرآن	٢٨٣
بيان بطلان هذه التأويل	٢٨٥

أدلة من الكتاب المقدس على صدق القرآن فى نفى الصلب عن المسيح عليه السلام ٢٨٦
شبهات المسيحيين حول مسألة صلب المسيح وردها ٣٠٠
آراء المسلمين فى رفع المسيح ٣٠٤
سر اختلاف العلماء فى رفع عيسى ٣٠٥
دعائم الرأى الأول وتأويلات أصحابه ٣٠٦
دعائم الرأى الثانى وتأويلات أصحابه ٣٠٧
أدلة أصحاب الرأى الأول على صحة رأيهم ٣٠٩
أدلة أصحاب الرأى الثانى على صحة رأيهم ٣١٦
موقفنا من هذه الأفكار ٣٢١
خاتمـــة ٣٢٥
مراجع الكتاب ٣٢٦
فهرس ٣٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٤٢٢ / ١٩٨٠